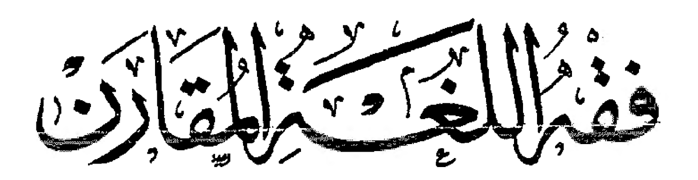
فقه اللغة المقارن

تأليف
الدكتور ابراهيم السامرائي

دار العلم للملايين
بيروت

فقه اللغة المقارن



تأليف

الدكتور ابراهيم السامرائي

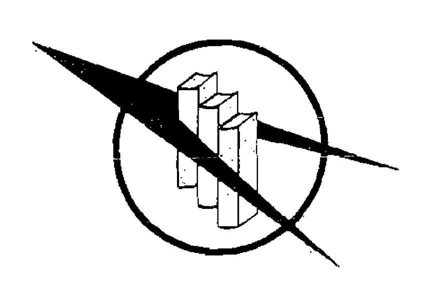
دار العلم للملايين
بيروت



مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب ١٠٨٥ - تلفون: ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
برقياً: ملايين - تلكس: ٢٣١٦٦ ملايين

بيروت - لبنان



الطبعة الثالثة

كانون الثاني ١٩٨٣

تمهيد

هذه دراسات في فقه اللغة ، تتصل طائفة منها بالعربية وحدها ، كما تفيد من اسلوب المقارنات والموازنات بين اللغات السامية في طائفة اخرى . وقد قمت بهذه الدراسات يحدوني دافع بحث المشكلة اللغوية الخطيرة في هذا المجتمع العربي الذي تبرز فيه هذه المشكلة بجلاء، وأنا آمل ان أضيف شيئاً في هذه الدراسات، ثقة مني ان الجهود المختلفة في طرائق البحث تعين على فهم المشكلة اللغوية .

وما زال في العربية حتى يومنا هذا ، مجال للبحث والدرس بالرغم من الجهود النافعة التي قام بها الاقدمون .

وقد نشرت طائفة من هذه البحوث في المجلات العراقية مثل « سومر » ومجلة المجمع العلمي العراقي ، ومجلة كلية الآداب ، ومجلة كلية التربية ، والمعلم الجديد ، بعد ان أضفت اليها أشياء جديدة مما هداني اليه البحث واعادة النظر بصورة متواصلة ، كما ضممت اليها بحوثاً لم انشرها ، وأنا اجمع هذا الشتيت من الابواب في كتاب خاص لتتيسر الفائدة لطلاب العلم والمعنيين بالموضوعات اللغوية بوجه خاص .

مقدمة

ألفت الامم كافة لغاتها واستعملتها حتى أدى بها الامر الى الاعجاب الذي تجاوز الحد المعقول . وقال كل بقدم لغته وافتخر بمجدها الاثيل ، وانها باقية على الدهر ، فزعم الصينيون ذلك ، وادعى الارمن ان لغتهم صاحبة الشرف وأن اللغات الاخرى فروع عليها ، ذلك ان الله – جلت قدرته – قد جبل آدم من تربتهم ، وانه درج في ارضهم ، وهم من اجل ذلك ورثة لغته الاولى . وكل هذا دعاوى لا تتفق والبحث العلمي التاريخي .

وزعم العبرانيون ان العبرية هي اللغة الاولى ، وان الله قد علّم آدم هذه اللغة الشريفة وهم يبنون دعواهم هذه على ما جاء في الاصحاح الثاني من سفر التكوين[1] : « وجبل الرب الاله من الارض كل حيوانات البرية ، وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية» .

وجاء الآراميون فنادوا بشرف لغتهم وانها كانت لغة السيد المسيح وأمه العذراء . وانها لغة الاسفار المقدسة ، فقد كتب بها سفرا دانيال وطوبيا وسفر يهوديت وسفر عزرا وسفر استير .

واعتقد الاغريق ان لغتهم ذات شرف ومجد عظيمين وانها لغة الحكمة ، وانها خلاصة ما يصل اليه العقل البشري ، وانها ذات أسرار تنبني على عبقرية

---

١ – سفر التكوين ، الاصحاح الثاني ، الآية ١٩ ، ٢٠ .

خارقة ، وان الالياذة والأوذيسا نموذج لهذه الموهبة اللسانية العالية ، وقد جذبتا بروعتها جمهور المتأدبين وقد غمقتا بلغة قديمة ، ولا سبيل الى فهمها وتذوقها الا بدراسة خاصة لنصوصها . وقد أسرف بعضهم فظن ان الاغريقية مرآة ينعكس عليها النظام الكوني في أبهى حلله ، وانبثقت عن هـذه النظرة الفلسفية قواعد نحوية وفلسفية عامة ، ولكنها لا تتعدى الاغريقية .

ثم جاء المسلمون فبحثوا في العربية واعجبوا بها ، وسحرتهم لغة التنزيل فكان ما كان من دراسات في مسألة الاعجاز ، وجرتهم هذه الدراسات الى القول بالتوقيف والاصطلاح في الكلام على العربية والى هذا ذهب احمد بن فارس من أئمة اللغة في القرن الرابع معتمداً على قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » [2] ، وهو يشير الى قول ابن عباس : « ان الله علمه الاسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار واشباه ذلك من الامم وغيرها » [3] . ولم يقتصر ابن فارس على القول بالتوقيف في اللغة ، فعنده ان الخط العربي توقيف لظاهر قوله عز وجل : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » [4]. وقال جل ثناؤه : « والقلم وما يسطرون » [5] . وان أول من وضع الكتاب العربي اسماعيل (ع) ، وضعه على لفظه ومنطقه [6] .

ويأتي ابو الفتح عثمان بن جني من علماء القرن الرابع الهجري فيعرض المسألة نفسها في « باب القول على اصل اللغة » أإلهام هي أم اصطلاح ، وابن جني يعرض

---

٢ — البقرة ٣١ .

٣ — ابن فارس ، الصاحبي ٥ .

٤ — العلق ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

٥ — القلم ١ .

٦ — ابن فارس ، الصاحبي ٧ .

للمسألة فيذكر عدة آراء في الموضوع ، وهو يقول في اول هذا الباب : « ان اكثر اهل النظر على ان اصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح، لا وعي ولا توقيف». الا ان أبا علي رحمه الله قال لي يوماً : هي من عند الله ، واحتج بقوله سبحانه : « وعلم آدم الاسماء كلها » [٧] . وابن جني يعرض رأي القائلين بالتوقيف ويشرحه وكيف ان الله علّم آدم اسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات ، ثم يعود فيمثل للقائلين بأن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة. ثم ينقل ابن جني رأي من يقول ان أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ونحو ذلك . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهو يقول : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل .

وابن جني لا يقطع في ذهابه الى رأي من هذه الآراء ، وهو في عرضه لهذه الآراء متردد في الأخذ بأحدها وهو يقول : « واعلم انني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات على فكري . وذلك اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف ، والرقة ، ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر . فمن ذلك ما نبه عليه اصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوته على أمثلتهم ، فعرفت تتابعه وانقياده ، وبُعد مراميه وآماده ، صحة ما وفقوا لتقديمه منه . ولطف ما اسعدوا به ، وفرق لهم عنه . وانضاف الى ذلك وارد الاخبار المأثورة بانها من عند الله جل وعز ، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه — وانها وحي .

ثم اقول في ضد هذا : « كما وقع لاصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا ، على تأمل الحكمة الرائعة الباهرة ، كذلك لا ننكر ان يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا

---

٧ — ابن جني ، الخصائص ١/٤٠ .

— وان بعد مداه عنا — من كان ألطف منا اذهاناً وأسرع خواطر وأجرأ جناناً . فأقف بين الخلتين حسيراً ، وأكاثرهما فانكفىء مكثوراً ، وان خطر لي فيما بعد ، يعلق الكف باحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتها ، قلنا به »[8] .

وقد أشرت الى انهم أحبوا العربية وتعلقوا بها ومن اجل ذلك توهموا ان آدم كان يعرف العربية ، ونسبوا اليه اشعاراً ، كما نسبوا للجن اشعاراً أخرى ، وهم يرون : « ان اكثر من ضل من اهل الشريعة عن القصد فيها ، وحاد عن الطريقة المثلى اليها ، فانما استهواه واستخف حلمه وضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة ، التي خوطب الكافة بها ، وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيها وأحنائها »[9] . وانت تحس حين تقرأ في الاخبار ان لسان أهل الجنة عربي مبين، وانت تقرأ قوله تعالى : « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي »[10] ، فتعلم قيمة العربية وشرفها عندهم . وقد اخرج ابن عساكر في تاريخه ، عن ابن عباس ، ان آدم عليه السلام كان لغته في الجنة العربية ، فلما عصى سلبه الله العربية وتكلم بالسريانية ، فلما تاب رد الله عليه العربية »[11] . ومن اجل هذا فالعربية عندهم أفضل اللغات وأوسعها ، ذلك انها لغة التنزيل ، قال تعالى : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك ، لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين »[12] . ولهذا فقد كان اللحن في العربية بمنزلة الضلال كما جاء في الحديث ان رسول الله (ص) قال لرجل لحن : ارشدوا أخاكم فانه قد ضل، وقال ايضاً رحم الله امرءاً أصلح من لسانه[13] .

---

٨ — ابن جني ، الخصائص ٤٧/١ .

٩ — ابن جني ، الخصائص ٢٤٥/٣ .

١٠ — سورة النحل ١٠٣ .

١١ — السيوطي ، المزهر ٣٠/١ .

١٢ — ابن فارس ، الصاحبي ١٢ .

١٣ — ابن جني ، الخصائص ٢٤٥/٣ .

وقد أحب هؤلاء العربية فدرسوها واهتدوا لمسائل دقيقة فيها. قال الفرّاء: «وجدنا للغة العرب فضلاً على لغة جميع الامم اختصاصاً من الله تعالى وكرامة اكرمهم بها، ومن خصائصها انه يوجد فيها من الايجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات» [14].

ومن اعجابهم بالعربية انها عندهم فاقت سائر اللغات في رشاقة ألفاظها، وحسن بنائها بحيث لا يوجد فيها من الثقل والاعوجاج ما يوجد في غيرها من اللغات التي تمت الى العربية بقرابة النسب وهي اللغات السامية. ولعل من الطريف ان نورد خبراً ذكره ابن الاثير في المثل السائر: «وحضر عندي في بعض الايام رجل من اليهود، وكنت في الديار المصرية، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد لمكان علمه في دينهم وغيره، وكان كذلك فجرى ذكر اللغات، وان العربية هي سيدة اللغات، وانها اشرفهن مكاناً، وأحسنهن وضعاً، فقال ذلك الرجل: كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخراً فنفت القبيح من اللغات قبلها وأخذت الحسن؟ ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة، فاختصر ما اختصر، وخفف ما خفف، فمن ذلك اسم الجمل، فانه عندنا في اللسان العبراني (كوميل) ممالاً على وزن فوعيل، فجاء واضع العربية وحذف منها الثقيل المستبشع، وقال: «جمل» فصار خفيفاً حسناً، وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر أشياء كثيرة» [15].

على ان هذا الاعجاب بالعربية لا ينصب الا على الفصيح منها فلم يأبهوا باللسان الدارج السائر الذي يبتعد عن الفصيح، وتمسكهم بالفصيح أدى الى نظرة ضيقة شاعت في نقدهم للنصوص، فقد حصروا الفصيح من لسان العرب في لغة

---

١٤ – القلقشندي، صبح الاعشى ١٤٩/١.

١٥ – ابن الاثير، المثل السائر ١٩١/١ (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر ١٩٤٨).

الجاهليين والصدر الاول للاسلام وهذه النظرة الضيقة لم تفد العربية، فضاع شيء من العربية لم يصلنا ، لانهم لم يهتموا به لبعده عما توهموه فصيحاً .

وظلت الدراسات اللغوية ملازمة حالة واحدة عبر العصور فلم يجد فيها شيء وما كان من اللاحق الا ان يؤكد ما قاله الاقدمون وينسج على منواله . حتى جاء العصر الحديث بعلومه وحضارته فجدت علوم ، وعفت اخرى ، وكان من ذلك ان ظهر علم اللغة الحديث وأفادت اللغات الاوروبية من مناهجه الجديدة ، غير ان المعنيين بالعلوم اللغوية من العرب لم يفيدوا من الاساليب الجديدة ، وهكذا ظلت الدراسات اللغوية العربية باقية في طرائقها القديمة .

في تاريخ المشكلة اللغوية

١

الاهتمام باللغة أمر تستدعيه ضرورة قائمـــة ، ذلك ان المشكلة اللغوية من المشكلات الخطيرة ، ومن اجل ذلك نشطت المجامع العلمية في الاقطار العربية في العمل على حل هذه المشكلة القائمة ، وتبرز المشكلة في أن العرب في يومنا هذا لا يتكلمون بالفصيح من العربية ، فالعامي الدارج هو المستعمل ، وأمر العامي مشكلة من المشكلات ايضاً ، فهناك لهجات مختلفة باختلاف البلاد ، ثم ان البلد الواحد مشتمل على لهجات وطرق في التعبير مختلفة ايضاً ، وربما صعب على العربي من شمالي العراق ان يفهم من قروي من سكنة الاهوار في الجنوبي من العراق .

ومسألة تقريب العامية من الفصيحة أمر يتعلق بالزمن الطويل ، فليس من الممكن القيام بمشروع او بحث للوصول الى هذا الهدف الخطير ، وأنا أقول متعلق بالزمن ، لعلمي ان خير الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا هو نشر العلم والثقافة بين أبناء البلد الواحد ، بحيث يتيسر لجميع أبناء البلد قسط من العلم والمعرفة ، ومن شأن هذا أن يعمل على رفع مستوى اللغة المستعملة ، التي هي قريبة من الفصيحة . ونستطيع ان ندلل على قربها من الفصيحة اذا نظرنا الى اللغة التي يستعملها المثقفون اليوم في محادثاتهم وفي استعمالاتهم اليومية ، فهي لغة في مجموعها تكاد تخلو من اللفظ العامي الدخيل ، فمجموعة ألفاظها على العموم فصيحة ويبدو قربها من الفصيح اذا وازنا بين هذه اللغة التي يستعملها المثقف — وهو من اسرة

جاهلة – واللغة التي يستعملها سائر افراد اسرته والتي هي موغلة في العامية الدارجة .

ولا بد ان نعرض لهذه اللغة القريبة من الفصيحة بالبحث، التي نحن سائرون اليها في مستقبلنا القريب او البعيد لنحدد صفاتها وميزاتها التي تتميز بها ثم نخلص من ذلك الى البحث التاريخي لنقرر مرحلة من مراحل تاريخ العربية الطويل ، فالتاريخ اللغوي من الامور الغامضة ، ذلك ان الباحث لا يهتدي الى المراحل التطورية في هذا التاريخ الطويل . وربما انقطعت عنه حلقات طويلة وضاع أثرها وبهذا فليس من الممكن رسم تاريخ محكم الحلقات لهذه اللغة ، فلقد ضاع من أصولها شيء كثير ، ومن اجل هذا فهي بدع في اللغات الحية المتطورة على قوتها واصالتها وحيويتها وقابليتها في مسايرة الزمن وتطوره . ولقد أثر عن أبي عمرو ابن العلاء انه قال : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لانتهى اليكم علم وشعر كثير [1] » .

وأنا أفترض ان تكون هذه اللغة القريبة من الفصيحة ، والتي تكاد تخلو من أي لفظ دخيل عامي ، متخففة من قيود الاعراب ، فالكلمات فيها ساكنة الاواخر ، ولعل هذه المرحلة مهمة في العود الى الفصيح المعرب كما هي الحال في اللغة المكتوبة ، التي ورثناها في التراث العربي ، كما في لغة القرآن الكريم .

ولا بد أن نعرض للاعراب عرضاً تاريخياً فنقول : لقد احتفظت اللغة العربية الفصيحة بظاهرة الاعراب ، وهي من صفات العربية الموغلة في القدم ، في حين ان سائر اللغات السامية – عدا الاكدية – قد فقدت الاعراب منذ اقدم العصور، وقد دل على هذا الاعراب بقايا نجدها في العبرية والحبشية [2] ، وأما في اللغة

---

١ – ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ٣٣ .

٢ – Bergstraesser ، التطور النحوي ص ٣٠ .

الاكدية فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية في النصوص القديمة ، ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت الى حركتين هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر ، ولم تلبث هذه المرحلة طويلاً حتّى تطورت الى مرحلة الحركة الواحدة وهي الكسرة الممالة .

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها أوجد الاعراب من النبطية كما تؤيد ذلك النقوش التي عثر عليها . وقد ذهب Noldke المستشرق الالماني الى أن النبط كانوا يستعملون الضمة في حالة الرفع، والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر ، ولا يعقبون هذه الحركات بالنون[٣] . وعدم وضع النون بعد الحركات يشبه ما هو شائع في قسم من لهجات العربية الدارجة ، ومن ذلك ما هو مستعمل في لهجة أهل الموصل في العراق ، وفي غير الموصل كما في الاقطار العربية الاخرى .

ويرى المستشرق E. Littmann ان أواخر الكلمات في اللهجة النبطية قد يحدث فيها تغيير بحسب مواضعها في الاعراب[٤]. وللاعراب أثر في اللغة العبرانية يتبينه الباحثون في حالتي المفعول به وفي ضمير التبعية[٥]، على ان هذا الاثر ضئيل جداً ، فقد أوشكت تخلو لغة العهد القديم من الاعراب . غير ان علامة النصب في العبرية القديمة هي الفتحة الطويلة التي نشأ عنها حرف الهاء ، والهاء المتطرفة في هذه اللغة تشبه الالف اللينة ، ومن اجل ذلك تعامل معاملة احرف المد ، وتظهر هذه في آخر الاسم المنصوب بنزع الخافض ، كما في آخر الظرف المنصوب (ليلا)[٦] وتعني (ليل) ، و (عتا)[٧] وتعني (حين) . وكما تلحق

٣ – The Noldke, Die Semitischen sprachen. Leipzig 1899, S. 51 f.

٤ – E. Littmann Inscriptions, Leiden 1914 p. 37 ff.

٥ – ولفنسون ، تأريخ اللغات السامية ص ١٥ .

٦ – تكتب الهاء في العبرية في آخر الاسم ولا تلفظ .

٧ – ربما قابلت هذه الكلمة في العربية (حتى) فقد قرأ ابن مسعود (عتى حين) في قوله =

هذه العلامة الظروف ، فانها تلحق المصدر فينصب كما هو في المفعول المطلق في العربية ، ولكنها في هذه الحالة تكون متلوة بميم زائدة (للتمييم) الذي يقابل التنوين في العربية ، مثال ذلك (يومام) وتعني (يوماً) و (حنّام) وتعني (مجاناً) ، والمتتبع لشوارد النصوص في اللغة العبرية ربما وجد آثاراً تشير الى شيء يشبه الضمة والكسرة ، ولعلها بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين في العبرية القديمة [٨] .

ويعلل المحدثون – وجلهم من المستشرقين – ظاهرة الاعراب في العربية وفي سائر اللغات السامية بخلو هذه اللغات من ادغام للكلمات اي وصل كلمة بكلمة لتتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منهما كما في اللغات الآرية [٩] . وليس من حجة علمية تاريخية تثبت صحة هذه الدعوى ، والذي ثبت في التحقيق العلمي ان في العربية تراكيب كثيرة ، وانها استفادت من التركيب لتكثير المعاني والمباني ، وقد اعتمد البناء في العربية على التركيب بصوره المختلفة ، وكان مذهب الخليل بن أحمد ان الكلمتين اذا ركبتا ولكل منهما معنى وحكم أصبح لهما بالتركيب حكم جديد [١٠] . وتبع الخليل في مقالته جمهور الكوفيين ومنهم الكسائي والفرّاء . ومن أجل ذلك فليس عدم التركيب علة في الاعراب ، وذلك لوجود التركيب والاعراب في العربية في الوقت نفسه .

ويختلف الرأي في دلالة الحركات على المعاني الاعرابية بين القدماء والمحدثين

= تعالى (ليسجننه حتى حين) (يوسف ٣٥) وهي لغة هذيل التي نهاه عمر ان يقرىء الناس بها انظر الزمخشري ، الكشاف ٣/٦٨٤ ، مطبعة الاستقامة ١٩٤٦ . وقراءة ابن مسعود من شواذ القراءات ، انظر ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن .

٨ – انظر (النون في اللغة العربية) ، الجزء الثالث من مجلة كلية الآداب والعلوم ١٩٥٨ .

٩ – Carl Brockelmann, Grundriss, I. S. S.

١٠ – ابن جني ، سر صناعة الاعراب « حرف الكاف » .

في اللغة العربية . وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدامى هو الخليل بن أحمد ، ذكر سيبويه[11] ان الخليل قال : « ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحروف ليوصل الى التكلم به والبناء هو الساكن لا زيادة فيه » . ولعل الجدل في دلالة هذه الحركات على المعاني الاعرابية وعدم دلالتها على ذلك، دار بين تلاميذ سيبويه والكسائي فذهب جمهورهم مذهب الاول، وذهب آخرون مذهب الثاني .

ويمثل رأي الذاهبين الى ان الحركات دوال على معانٍ اعرابية ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي ، فقد نقل السيوطي في الاشباه والنظائر[12] قوله : « ان الاسماء لما كانت تعتورها المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني ، جعلت حركات الاعراب تبين عن هذه المعاني وتدل عليها ليتسع لهم في اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة » .

ويمثل رأي الطائفة الاخرى قطرب ابو علي محمد بن المستنير وهو تلميذ سيبويه ، قال قطرب : انما أعربت العرب كلامها ، لان الاسم في حال يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقباً للاسكان ، ليتبدل الكلام . ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ، ولا في حشو بيت ولا بين احرف متحركة ، لان في اجتماع الساكنين يبطئون في كثرة الحروف المتحركة ، ويستعجلون ، وتذهب الصلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الاسكان[13] .

---

١١ — سيبويه ، الكتاب ٢/٣١٥ .

١٢ — السيوطي ، الاشباه والنظائر ٧٦/١ — ٧٨ .

١٣ — المصدر السابق ٧٩/١ .

وفي هذا الرأي توضيح وإبانة لرأي الخليل الذي أسلفنا ذكره . وممن ذهب مذهب قطرب من المحـــدثين الدكتور ابراهيم انيس ، ولكنه حلا له أن يلتزم بالرأي مفصّلاً فيه وكأنه أول من قال بهذا الرأي [14] . والوجه في هذا الرأي ان هذه الزوائد الاعرابية يلجأ اليها لامور فنية (Technique) ، وهو ان الموسيقى والانسجام يستدعيان هذه الزوائد الاعرابية ، ومعنى هذا انه ليس للحركات الاعرابية مدلول ، وان الحركات لم تكن تحدد المعاني في اذهان العرب الاقدمين ، وهي لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الاحيان لوصل الكلمات ببعضها [15] . ويرى الدكتور أنيس أن «النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الاعراب ، وقاسوا بعض الاصول ، رغبة منهم في الوصول الى قواعد مطردة منسجمة» [16] . ثم انه يفترض افتراضاً لا يقوم على أساس علمي تاريخي ، فيقول : «ولعلهم تأثروا بما رأوه حولهم من لغات كاليونانية ، ففيها يفرق بين حالات الاسماء التي تسمى Cases ويرمز لها في نهاية الاسماء برموز معينة» [17] . ولقد فاته ان اليونانية تختلف نحواً وطبيعة عن العربية ، ولم يكن واضع النحو عارفاً او متأثراً باليونانية في الثقافة العربية الاسلامية شائع عند الكتاب المصريين، فالى مثل هذا ذهب كل من الدكتور طه حسين والاستاذ احمد امين والدكتور ابراهيم مدكور [18] ، والدكتور ابراهيم سلامة [19] . وقد بنى ابراهيم مدكور رأيه في تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو على أمور :

---

١٤ – ابراهيم انيس ، من اسرار اللغة ص ١٤٢ .

١٥ – المصدر السابق ص ١٥٨ .

١٦ – المصدر السابق ص ١٣٩ .

١٧ – المصدر السابق ص ١٧١ .

١٨ – ابراهيم مدكور ، مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، ١٩٤٨ – ١٩٤٩ (منطق ارسطو والنحو العربي) .

١٩ – ابراهيم سلامة ، بلاغة ارسطو بين العرب واليونان .

١ — اعتبار القياس أصلاً من أصول النحو وتحديده ووضعه على نحو ما حدده القياس المنطقي ثم التشابه بين ما جاء من تقسيم الكلمة عند سيبويه الى اسم وفعل وحرف وما جاء من تقسيمها عند أرسطو الى اسم وفعل وأداة .

٢ — ظهور النحو السرياني في مدرسة نصيبين في القرن السادس الميلادي على مقربة من النحاة العرب الاولين ، ثم ترجمة عبد الله بن المقفع لمنطق أرسطو التي تعد كما يقول ثروة جديدة نقلت الى العالم الاسلامي ، ثم تلمذة بعض السريان على الخليل بن احمد كحنين بن اسحاق الطبيب السرياني المعروف الذي كان له أثر في نقل علوم اليونان . وقرر الدكتور ان حنيناً قد عاصر الخليل وسيبويه ، وليس مذكور اول من ذهب الى هذا ، فقد قال بهذه المقالة قدماء ومحدثون .

ومن القدامى ممن ذهب الى هذا ابن ابي أصيبعة في « عيون الانباء »[٢٠] ونقل هذه الرواية القفطي[٢١]، وقد ذهب الاستاذ احمد امين هذا المذهب من المحدثين[٢٢]، ورد هذه الاقوال يقوم على ان الخليل لم يعاصر حنيناً ، فوفاة الخليل كانت في سنة ١٨٠ او قبل ذلك او بعده بقليل ، وان ولادة حنين لم تكن قبل سنة ١٩٤ ، فلم يدرك اذاً حنين الخليل ولا رآه ، والزعم باطل من اساسه . والقول بهذا التأثر نتيجة تقليد هؤلاء المحدثين للمستشرقين في اقوالهم ، فالى مثل هذا ذهب « دي بور » في تاريخ الفلسفة في الاسلام[٢٣] .

ويستدل الدكتور ابراهيم أنيس بخلو اللهجات الاقليمية الحديثة من الاعراب

---

٢٠ — ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ١/١٨٤ .

٢١ — القفطي ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ١١٧ .

٢٢ — احمد امين ، ضحى الاسلام ١/٢٩٨ .

٢٣ — دي بور ، تأريخ الفلسفة في الاسلام .

على عدم شيوعه في اللغة العربية في مراحلها الاولى [٢٤] ، على اننا لا يمكننا ان نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلا على ان الاعراب ظاهرة لم تكن موجودة في العربية الاولى [٢٥] ، وقد رأينا ان اللغات السامية جميعها كانت معربة ثم زال اعرابها في العهود التي تعاقبت على مراحلها الاولى . وقد أطال الدكتور علي عبد الواحد وافي في الرد على زميله الدكتور أنيس في كتابه « فقه اللغة » .

وقد عرض الاستاذ ابراهيم مصطفى للموضوع نفسه ، فقرر ان الحركات دوالّ على معانٍ ، بل ان من اصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني ، ثم هو يقول : « وما كان للعرب ان يلزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل الحرص ، وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً . ونحن نعلم ان العربية لغة « الايجاز » وأن العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السبيل الى ذلك ويحذفون الكلمة اذا فهمت والجملة اذا ظهر الدليل عليها ، والأداة اذا لم تكن الحاجة ملجئة اليها . وعنده ان الفتحة ليست علامة اعراب ، ولا دالة على شيء ، وانما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، فهي بمثابة السكون عند العامة [٢٦] وأما الضمة فهي علم الاسناد أما الكسرة فانها علم الاضافة [٢٧] . ورأي الاستاذ ابراهيم مصطفى في دلالة الفتحة غريب ، فقد دلت المقارنات على ان الفتحة وجدت في حالة النصب في كثير من اللغات السامية ، ولم يكن هناك سبب للفتحة « المستحبة » كما أسماها . ويرى الاستاذ Marcel Cohen ان هذه القواعد المتشعبة الدقيقة وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الادبية . أما لغة

---

٢٤ – ابراهيم انيس ، من اسرار اللغة ص ١٣٩ .

٢٥ – علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ص ١٣ .

٢٦ – ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ٥٠ .

٢٧ – المصدر السابق ص ٨٠ – ١٠٠

التخاطب ، فلم تكن معربة [٢٨] . وهو يستدل على ذلك بأن قواعد هذا شأنها في التشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب ، وانما هو من اختصاص اللغة الفصيحة ، لغة الصفوة المهذبة . أما الاستاذ « فك » المستشرق الالماني فيرى ان الحركات صفة من صفات العربية ، وسمة من أقدم سماتها اللغوية ، والتي فقدت في اخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة [٢٩] . وعنده ان العربية حافظت في مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات الاقليمية في الحواضر .

وأريد الآن ان أبسط رأياً ، وهو أن العربية التي ورثناها ، والتي نعرف من أمرها الشيء الثابت الصحيح ، لا تتعدى الاسلام في التاريخ الزمني كثيراً . ومعنى هذا ان العربية الممثلة في لغة التنزيل ، هي العربية التي نقيم عليها البحث والدرس ، وما العربية الجاهلية الا شيء من هذه العربية الاسلامية ، ولا أريد ان أقــول بنظرية الانتحال ، ففي الجاهلية أدب كثير ، فيه الصحيح وفيه الموضوع ، ولكني لا استطيع ان اجعل مادة للدرس والبحث ، هذه النصوص الجاهلية التي لا نعرف عن بدايتهـــا ونهايتها كثيراً ، وأترك هذه النصوص الاسلامية وفي مقدمتها كتاب الله . والعربية – ممثلة في القرآن – لغة عالية سلخت من تاريخها مراحل طويلة ، حتى انتهت الى هذا الشكل من الكمال . والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على ان لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين وقضت بذلك على آثار اللهجات الاقليمية . وأريد ان اخلص الى ان هذه اللغة العالية قد ثبتت من أصول اللغة وقواعدها ، وانها التزمت الاعراب

---

٢٨ – Marcel Cohen, Les Langues du monde عن فقه اللغة ، للدكتور علي عبد الواحد وافي ، ص ١٣٠ .

٢٩ – « يوهان فك » ، العربية (ترجمة النجار) ص ٣ .

الذي لم يكن شائعاً ومستعملاً على نحو ما التزمت به نصوص القرآن وسنأتي على اثبات هذا الرأي . ومعنى هذا ان العربية في لهجاتها المتعددة لم تكن متقيدة بهذه الضوابط الثقيلة ، ولكن هذه اللغة هي التي جعلت الاعراب السمة الملازمة للعربية ، التي أريد لها ان تكون كذلك .

والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على الجهود التي بذلت كي تسود لغة التنزيل في وضوحها والتزامها الاعراب ، وقد أشرنا الى خبر قراءة ابن مسعود حين سمعها عمر بن الخطاب .

وما استطاعت لغة القرآن والحديث ان تأتي على اللهجات الدارجة المحلية ، أو قل على العربية المستعملة السهلة ، والتي تتخفف من قيد الضوابط الثقيل . ومن هنا فالعربية شفيعة التعبير منذ ان كانت ، ذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ، ملتزمة بضوابط الاعراب ، ولغة اخرى يقولها الناس ويستعملونها دون ان يلزموا انفسهم بعناء هذه الضوابط ، وربما تعدى الامر مسألة الاعراب الى الالفاظ نفسها . فقد يكون في ألفاظ الثانية ما هو بعيد عن العربية ، وانه قد دخل فيها نتيجة اتصال العرب انفسهم بغيرهم من الاقوام والاتصال حاصل في كل عصر ، فالعرب في اطراف الجزيرة قد تهيأ لهم ان يتاخموا أقواماً غيرهم ، فلم تسلم بذلك سليقتهم . ومن اجل ذلك حرص عمر على الاخذ بقراءة تعتمد على لغة قريش ، والى مثل هذا كان يرمي عثمان من جمعه القرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة فينبذوا ما كان عندهم مما هو مغاير لما اتفق عليه . ولا يعدم الباحث ان يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب وكتب النحو من هذا الباب شيئاً كثيراً من القراءات . ومرد ذلك ان الناس قد فطروا على أساليب في التعبير خاصة بهم ، وبذلك قرأوا ، وان طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة اعتبرت من شواذ القراءات . والشواذ من القراءات هي ما خلا تلك التي انتشرت بواسطة القارىء المشهور

ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، كقراءة ابن مسعود وقراءة أبي بن كعب واختيار الحسن البصري وأمثالهم ، وهي تعد في باب الشواذ [٣٠] ، وقد ألف غير واحد من الاقدمين في موضوع الشواذ كالعكبري في كتابه اعراب القراءات الشاذة ، والاهوازي وابن عطية والمهدي ولم نعرف مؤلفات هؤلاء ولم يصل الينا منها شيء ، كما اندثر كتاب اللوامع في القراءات وكتاب المحتوى للداني .

ومن أمثال هذه الشواذ التي لا تدل الا على اللهجات الدارجة او اللهجات الاقليمية ما جاء من شواذ سورة الفاتحة :

قرأ أبو السواد الغنوي « هياك » [٣١] بالهاء المكسورة في الآية الخامسة « اياك نعبد » وقد قرأ عمرو بن فايد « اياك » بالتخفيف ، وقرأ جناح بن حبيش « نستعين » بكسر النون [٣٢] .

وجاء من شواذ البقرة : قراءة يحيى بن وثاب « ولا تقربا هذه الشجرة » بكسر الشين وبالياء حكاه ابو زيد [٣٣] . وقراءة الشجرة بابدال الياء من الجيم اثبات للهجة من اللهجات التي تلتزم هذا الابدال الذي ما زال حاصلاً في لهجات القرويين في جنوبي العراق ، وقد قرىء « بين المر وزوجه » بدون همزة مع تشديد الراء [٣٤] .

---

٣٠ — ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن (المقدمة) .

٣١ — المصدر نفسه ، « شواذ سورة الفاتحة » .

٣٢ — المصدر نفسه .

٣٣ — المصدر نفسه ، « شواذ سورة البقرة » .

٣٤ — المصدر السابق ، « شواذ سورة البقرة » .

وقرأ مسلمة بن محارب « بعولهن » من قوله تعالى : «وبعولتهن أحق بردهن» بجزم التاء [٣٥] ، ومعلوم ان « البعولة » جمع « بعل » كما أن « السهولة » جمع «سهل» وعندي ان اختلاف القوم في صيغ الجموع ، راجع الى اللهجات الاقليمية ومعنى ذلك ان كل قبيلة ألفت صيغة من صيغ الجمع لاسم معين ، في حين ان القبيلة الاخرى ألفت صيغة اخرى [٣٦]

وجاء في سورة المائدة قراءة بعضهم « لعبا » بكسر اللام واسكان العين في قوله تعالى : « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً » .

وجاء في شواذ سورة الاعراف « الجمل » في قوله تعالى : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » بضم الجيم وتشديد الميم وفتحها ، وهي قراءة ابن عباس [٣٧] ، ومعلوم ان صيغة (فعل) من صيغ جموع التكسير بضم الفاء وفتح العين وتشديدها ، لا يكون مفردها الا فاعلا مثل « راكع » وجمعها « ركع » ، في حين ان مفرد (جمل) هو (الجمل) بضم فاسكان ومعناه الحبل [٣٨] . وقد قرأ أبو السمال (الجمل) بفتح الجيم واسكان الميم [٣٩] .

ومن شواذ سورة طه قراءة عكرمة « اهس » [٤٠] بالسين في قوله تعالى : « اهش بها على غنمي » .

---

٣٥ – المصدر السابق .

٣٦ – المصدر السابق ، (شواذ سورة المائدة) .

٣٧ – الزمخشري ، الكشاف ٣/١٠٣ ؛ وانظر اللسان مادة «جمل» .

٣٨ – حدث في انجيل متى ١٩/٢٤ ، تصحيح مثل هذا بين دلالة « الجمل » على الحبل دون الحيوان المعروف . انظر : Bar Bahlūl, Lexicon 500 .

٣٩ – ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن .

٤٠ – المصدر السابق ، (شواذ سورة طه) .

ومن شواذ سورة الانبياء قراءة ابن عباس « حضب »[٤١] بالضاد في قوله تعالى : « انكم وما تعبدونِ من دون الله حصب جهنم » وقرىء « حضب » باسكان الصاد ، وقرىء « حطب » بالطاء .

ومن شواذ سورة الحج جاء في كلمة « صلوات » احدى عشرة قراءة[٤٢] في قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيَع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله » . والقراءات هي « صلوات » بفتحتين وهي « صلوات » بضمتين على قراءة أبي العالية والكلبي والضحاك ، و « صلوات » بضم فاسكان على قراءة جعفر بن محمد وهي (صلون) بضم الصاد فلام فواو ونون و « صلوب » بالباء ، و « صلوت » بفتح فاسكان ، و « صلواث » بضم الصاد واسكان اللام وثاء مثلثة في الآخر ، و « صلوثا »[٤٣] بثاء في الآخر مع ألف الاطلاق . والكلمة جمع صلاة وهي تعني الكنيسة والكلمة سريانية[٤٤] بخلاف ما ذهب اليه الزمخشري من انها عبرانية ، وتذييل الكلمة بالالف بقصد التعريف . ولعل صيغ جموع التكسير يمكن أن ترد الى صيغ محدودة ، وذلك ان بعضاً منها يحصل من صيغة اخرى باستخدام المد مثلاً ، فكلمة « تارة » تجمع على « تير » ، ولكنها تصبح « تيار » باطلاق الفتحة[٤٥] . وهذا يدل على أن صيغ جموع التكسير وصيرورتها على هذه الكثرة ناتج عن اللهجات الاقليمية ، اذ من المعلوم ان اقليماً من الاقاليم يطيل في الحركات حتى تصبح مداً ، ومن هذه ايضاً « أسد » بضم الهمزة واسكان السين او ضمها ، فاذا اشبع الضم على السين

---

٤١ – الزمخشري ، الكشاف ١٣٦/٣ .

٤٢ – ابن خالويه ، مختصر شواذ القرآن (شواذ سورة الحج) .

٤٣ – الزمخشري ، الكشاف ١٦٠/٣ .

٤٤ – القرداحي ، اللباب مادة (صل) .

٤٥ – الجوهري ، الصحاح مادة (تير) .

صار مدأ وصارت الكلمة « أسود » ، ومثل هذا « أحبة » و « أحباء » وكثير غيره .

ويدلنا على اشارة هذه الصيغ الى موضوع اللهجات ما يوجد في اللغة الحبشية من صيغ جموع التكسير ودلالتها على الموضوع نفسه[٤٦] .

ونستطيع ان نوجز ان القراءات في القرآن تقوم على تغيير في الحركات وتغيير في الابنية والصيغ وتغيير في الاصوات وتغيير في الالفاظ ، ومجموع هذا يدل على ان طرق التعبير الخاصة وجدت طريقها الى لغة التنزيل ، ولم تجد في ذلك جهود التوحيد . والقراء يختلفون حتى في موضوع الاعراب الذي التزمه جميعهم ، فهذا يرفع ما ينصبه ذاك ، وذاك يخفض ما يرفعه هذا[٤٧] . وقد حمل هذا على انه خطأ من كتاب الوحي. فقد روى أبو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي المتوفى سنة ١٩٣ . عن هشام بن عروة بن الزبير المتوفي سنة ١٤٦ . عن أبيه عن عائشة انها قالت : ثلاث احرف في كتاب الله هن من خطأ الكاتب وهي قوله تعالى : « ان هذا لساحران »[٤٨] ، وفي قوله تعالى : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة »[٤٩] ، وفي قـــوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون »[٥٠] . وقد حقق النحويون في حديث عائشة حول غلط الكاتب ، وحديث عثمان في قـــوله : « أرى فيه لحناً » ، فاعتلوا لكل حرف منها ،

٤٦ – Dillman : Grammatik der celhiopischen Sprache, p. 537

٤٧ – ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٩ .

٤٨ – سورة طه ٦٣ .

٤٩ – سورة النساء ١٦٤ .

٥٠ – سورة المائدة ٦٩ .

واستشهدوا الشعر، فقالوا في «ان هذا لساحران» هي لغة بلحادث بن كعب[51]، فهم يقولون: «مررت برجلان»، و «قبضت منه درهمان»، و «جلست بين يداه»، و «ركبت علاه» وأنشدوا لهوبر الحارثي[52]:

تزود منا بين أذناه ضربة دعته الى هابي التراب عقيم

كما اعتلوا لسائر المواضع السابقة علة مناسبة.

وشيوع اللحن في مختلف الطبقات، دليل على ان هذا الاعراب ثقيل لا تحتمله سليقة العرب اللغوية، وكان ذلك في صدر الاسلام وقبل ان يتم اختلاط العرب بغيرهم ذلك الاختلاط العظيم الذي تم في العصور المتأخرة، ثم ان شيوع اللحن لم تسلم منه طبقة المثقفين ولا العلية من القوم ولا العلماء، فلم تسلم لهشيم بن بشير محدث أهل العراق سليقته اللغوية، فكان يلحن في كلامه ويشير الجاحظ الى مخالفته المحدثين ما التزم من قواعد الاعراب[53].

وكان عبد الملك بن مروان يحذر أبناءه من اللحن، وكان يقول لهم: «ان اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه، وأقبح من الشق في ثوب نفيس»[54].

وشيوع اللحن في زمان عمر بن الخطاب معروف، فقد روى ان عمر سمع

---

٥١ – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٣٦.

٥٢ – ابو زيد، النوادر ٥٨.

٥٣ – الجاحظ، البيان والتبيين ٣/٥.

٥٤ – ابن قتيبة، عيون الاخبار ٣/١٥٣.

اعرابياً يقرأ قوله تعالى : « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بجر رسوله فنبهه على الخطأ ، وكان ذلك سبباً في وضع النحو ان صحت الاخبار [٥٥] .

والاخبار في وضع النحو كثيرة لا مجال لذكرها هنا ، ولكنها في مجموعها تشير الى ان اللحن في هذه الفترة المتقدمة كان شائعاً ، وشيوعه في قراءة القرآن مما عجل في وضع هذه الضوابط النحوية للحفاظ على لغة التنزيل من العبث . وشيوع اللحن دليل ايضاً على ان للقوم لغة يتخففون فيها من الضوابط الثقيلة وهي اللغــة المستعملة وهي لغة الكثير من الناس ، ولغة التخاطب في الحياة اليومية .

على ان هذه اللغة العامة التي استعملها الناس لم تكن بعيدة عن لغة الكتابة في مادتها اللغوية ، وكأن من شرط هذه اللغة مجانبة الاعراب ، والى هذا يشير الجاحظ في قوله : « وان وجدتم في هذا الكتاب لحناً او كلاماً غير معرب ، ولفظاً معدولاً عن جهته ، فاعلموا اننا تركنا ذلك ، لان الاعراب يبغض هذا الباب ويخرجه عن حده الا أن احكي كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء كسهل بن هرون وأشباهه » [٥٦] .

والمشكلة اللغوية قائمة في عصرنا كما أسلفنا ، وذلك لان العربية الفصيحة المكتوبة هي غير العربية المستعملة في التخاطب وغير اللهجات الدارجة التي لم ترق الى لغة المثقفين وهي في مادتها نماذج متأخرة متدهورة ، وليس قيــام المشكلة على هذا الوجه بمستحيل الحل . فشيوع الثقافة وتيسير المعرفة لابناء العربية على شكل عام كفيل برفع مستوى اللغة الى الحد الذي كانت عليه العربية في مختلف عصورها ، فلم يسلم عصر من عصور التاريخ اللغوي من ازدواج

---

٥٥ – ابن الانباري ، نزهة الالباء ٤ .

٥٦ – الجاحظ ، البخلاء (طبعة الحاجري) ص ٣٣ .

في اللغة ، وقد شاهد علماء العربية الاقدمون مثل الخليل بن احمد وسيبويه والكسائي وعيسى بن عمر وغيرهم لغة عامية يستعملها جمهور الناس ، ولقد أثر عن الكسائي انه وضع رسالة في لحن العامة . ولغة العامة غير لغة العلية فقد ذكر ابو هلال العسكري : ان العامي اذا كلمته بكلام العلية سخر منك وزرى عليك، كما روى عن بعضهم انه قال لبعض العامة : بمَ كنتم تتنقلون [٥٧] البارحة؟ فقال : « بالحمالين » ولو قال له : « ايش كان نقلكم لسلم من سخريته . فينبغي ان يخاطب كل فريق بما يعرفون » [٥٨] .

وربما كانت العامية الدارجة قريبة من الفصيحة لغة الكتابة ، وذلك بسلامة أبنيتها وبتخير ألفاظها الصحاح العربية ، ولكنها متحللة من ضوابط الاعراب ، فالمتكلمون بهـــا يلتزمون الاسكان في جميع صورها ، وهذا ما نصبو اليه في تقريب العامية من الفصيح. وسبيل هذا كما أسلفنا نشر المعرفة بين الناس والزمان كفيل بتحقيق هذا .

٥٧ – اي تأكلون النقل كاللوز والجوز والفستق .

٥٨ – ابو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين (طبعة الاستانة) ص ٣٣ .

في تاريخ المشكلة اللغوية

٢

للغة تاريخ نتبين فيه أصل اللغة ونشوءها وتطورها والمراحل التي قطعتها في عمرها الطويل حتى نصل في هذا البحث الى ما آلت اليه في عصرنا الحاضر ، كما ان لسائر العلوم تاريخاً نهتدي فيه للاصول التي قامت عليها تلك العلوم ، ولسائر المراحـــل التي مرت عليها . والبحث في العربية يؤدي بنا الى التزام الناحية التاريخية ، واذا قلت : ان اللغة العربية بدع بين اللغات فلا أراني أعدو الصواب كثيراً، ذلك اننا لا نعرف تاريخ هذه اللغة في مراحلها الاولى اذ ليس من المعقول ان هذه اللغة بدأت بهذه النصوص الشعرية الجاهلية . فهذه النصوص الجاهلية تقدم للباحث نماذج عالية من العربية ، وهذه النماذج لا يمكن ان تكون بأي حال من الاحوال من البدايات في اللغة ، فلا بد ان تكون العربية قد قطعت قبل هذه النصوص مراحل اخرى من تاريخها لم تكن فيها على هذا المستوى العالي من حيث قدرة اللغة على اداء المعاني ومن توفر المادة العربية للتعبير عن النواحي المادية وانصرافها الى المعنويات من الامور توسعاً ومجازاً . ولا اريد ان اخوض في موضوع الصحيح والمنحول من هـــذه النصوص ، فليس ذلك بضائر قيمة النصوص اللغوية ، وانها صورة للحياة الجاهلية ، ذلك ان وجود المنحول من هذه النصوص لا يمنع من وجود الصحيح ونسبته الى قائليه .

ولا بد ان نبين ان الآثار الادبية في العصر الجاهلي شعرية في الغالب، والنثرية

منها قليلة جداً ، وهي ان وجدت ، فلا يصح الاطمئنان اليها . والى هذا ذهب الكثيرون من الذين عنوا بتاريخ الادب الجاهلي . ولا اريد ان أخضع الامثال القديمـــة الجاهلية للمادة التي لا يطمأن اليها ، فالامثال – على انها نثرية – لا نستطيع ان نعدها من النثر العالي الذي يقصد اليه الباحثون في تاريخ الادب ، ذلك انها مادة شعبية تعكس التجارب التي مرت بها المجتمعات القديمة . والامثال تعرض لاية أمة من الامم ولا سيا البدائية منها .

على ان الباحث في النصوص الشعرية الجاهلية واجد فيها من عيوب النظم شيئاً لا يجده في النصوص الشعرية في العهود الاسلامية ، وهذه العيوب تتعلق بالحفاظ على الوزن في الشعر .

وهذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها الا بالناحية التاريخية . واعني بذلك ان هذه النصوص لم تكتمل موسيقاها وانها مرحلة من مراحل التطور الفني من حيث المبنى في القصيدة العربية . وانت واجد هذا الخروج عن ضوابط الوزن عند سائر الشعراء الجاهليين ، فدونك معلقة امرىء القيس لتجد فيها قوله :

اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وقوله :

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيا يوم بدارة جلجل

وقوله :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر الا لبسة المتفضل

وقوله :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل

وقوله :

قمدت له وصحبتي بين ضارج　　وبين العذيب بعد ما متأملي

وانت واجد شيئاً من هذه المخالفات في شعر طرفة بن العبد كقوله :

كأن البرين والدماليج علقت　　على عشر او خروع لم يخضّد

وقوله :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه　　فان القرين بالمقارن مقتدِ

ومنه ما جاء في قصيدة زهير ، كقوله :

رعوا ما رعوا ظمئهم ثم أوردوا　　غماراً تفرّى بالسلاح وبالدمِ

وهذه من السمات البارزة في القصيدة الجاهلية ، وربما كان منه في شعر المخضرمين من الشعراء . وهو من غير شك دليل على ان القصيدة العربية الجاهلية في طور التكوين من الناحية الفنية Technique وانها منتقلة من مرحلة الى اخرى وفي كل مرحلة من هذه المراحل تستفيد شيئاً لاستكمال عناصرها الفنية .

ولم يؤثر عن الجاهليين نصوص نثرية كثيرة كما هي الحال في الشعر ، وسبب ذلك معروف عند الباحثين في تاريخ الادب الجاهلي ، وليس من غرضنا في هذه المقالة ان نعرض لهذا الموضوع . على انه لا بد ان نقرر ان أمة تتسع لغتها لهذه النصوص الجميلة العالية من الادب لا بد ان يكون لديها شيء من النثر ، ولكن هذه النصوص النثرية التي نفترض وجودها لم تصل الينا . اذاً فالباحث في النثر العربي مضطر ان يبتدىء بالقرآن الكريم ويعد نصوص القرآن بداية هذا اللون الادبي من الناحية الواقعية ، وهو مضطر ايضاً ان يفترض ان النثر العربي لا بد ان يكون قد مر بمراحل تاريخية .

ولغة القرآن واسلوبه يطلعان الباحث على مستوى رفيع من حيث المبنى وغزارة المادة اللغوية ، ومن حيث قدرة هذه القوالب اللفظية على الاعراب عن دقائق المعنى ، وخواطر الفكر ، ولعل هذا كان السر الذي حدا بالباحثين الى القول بالاعجاز في القرآن .

والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على ان لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين وقضت بذلك على آثار اللهجات الاقليمية ، وأطلعت المجتمع العربي الاسلامي الاول على نموذج عالٍ لهذه اللغة ، فأخذوا بها . وفي القرآن ينكشف الستار عن عالم فكري تحت شعار التوحيد لاول مرة في تاريخ اللغة العربية ، بحيث لا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة الا نموذجاً ضعيفاً له ، من حيث ظاهر وسائل الاسلوب ، ومسالك المجاز والدلالة [1] . والى مثل هذا ذهب المستشرق الفرنسي الكبير « ريجيس بلاشير » في محاضرة له ، فهو يقول : ومنذ ظهور الاسلام لم تعد اللغة العربية آلة عادية للكلام والتخاطب ، ولا لغة انسانية محضة بل شيئاً آخر . نعم لن نفهم جوهر العربية وكيانها ، بل لن نستطيع لها فهماً ان نحن اهملنا أهمية هذا « الحدث القرآني » هذا الحدث الذي بفضله تجاوزت اللغة حدود الانسانية المحضة [2] .

والبحث في تاريخ العربية يدلنا على الجهود التي بذلت كي تسود لغة التنزيل في وضوحها والتزامها الاعراب ، ولتكون لغة عامة يعرفها كل العرب لا أثر فيها للغات الخاصة التي اعتاد كل طائفة منهم استعمالها والقراءة بها ، فقد ورد ان عمر بن الخطاب قد سمع رجلاً يقرأ (عتى حين) في قوله تعالى : (ليسجننه حتى حين) [3] ، فقال من اقرأك ؟ قال ، ابن مسعود ، فكتب اليه : ان الله أنزل

---

١ — يوهان فك ، العربية ٥ .

٢ — ر . بلاشير ، مجلة الفكر التونسية ، العدد الخامس ١٩٦٠ ص ١٦ .

٣ — يوسف ٣٥ .

هذا القرآن عربياً ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل [4] .

وما استطاعت لغة القرآن والحديث ان تأتي على اللهجات الدارجة المحلية ، او قل على العربية المستعملة السهلة ، والتي تخفف من قيود الضوابط الاعرابية الثقيلة . ومن هنا فالعربية شفعية التعبير منذ ان كانت ، ذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ، وهي ملتزمة بضوابط الاعراب ، ولغة اخرى يقولها الناس ويستعملونها دون ان يلزموا انفسهم بعناء هذه الضوابط ، وربما تعدى الامر مسألة الاعراب الى الالفاظ نفسها ، فقد يكون في ألفاظ الثانية ما هو بعيد عن العربية ، وانه قد دخل فيها نتيجة اتصال العرب انفسهم بغيرهم من الاقوام ، والاتصال حاصل في كل عصر ، فقد تهيأ للعرب في اطراف شبه الجزيرة العربية ان يتاخموا أقواماً غيرهم ، فلم تسلم بذلك سليقتهم . ومن اجل ذلك حرص عمر على الاخذ بقراءة تعتمد على لغة قريش ، والى مثل هذا كان يرمي عثمان من جمعه القرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة فنبذوا ما كان عندهم مما هو مغاير لما اتفق عليه .

ولا يعدم الباحث أن يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب وكتب النحو من هذا الباب شيئاً كثيراً من القراءات . ومرد ذلك ان الناس قد اعتادوا على اساليب في التعبير خاصة بهم ، وبذلك قرأوا . وان طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة قد اعتبرت من شواذ القراءات . ونتبين من البحث في لغة القرآن ان هذا الحدث القرآني العظيم قد عمل على توحيد العربية وطبعها بطابع خاص فيه الشمول وفيه العموم بحيث تيسر لهذه اللغة ان تكون لغة العرب عامة وانها تغلبت على الكثير من معالم اللهجات السائرة .

---

٤ – الزمخشري ، الكشاف ٣/٤٦٨ .

ووجود اللهجات السائرة وتنصلها عن التمسك بقيود الاعراب دليل على ظهور مرحلة جديدة في تاريخ العربية أوشكت ان تعم لولا ما كان من أمر لغة التنزيل . وفي هذه المرحلة الجديدة تخففت العربية من ضوابط الاعراب .

على ان المعلومات التي بين أيدينا عن اللهجات الخاصة لا تتعدى الاشارات الموجزة والعلامات التي لا تعدو ان تكون ملاحظات لا تكون في مجموعها مادة كافية لرسم صورة للهجة من اللهجات في بداية القرن الاول الهجري ، ذلك ان النحويين واللغويين قد جمعوا هذه الملاحظات منذ ان بدأوا في تثبيت قواعد العربية ، وظلت هذه الملاحظات تتناقل من جيل الى جيل دون تصنيف وضبط بحيث لا نستطيع ان ننسب على وجـــه التحديد أية اشارة من هذه الاشارات اللغوية الى أصحابها ، والامثال كثيرة للبرهنة على ترددهم وعدم تحريهم وجه الصواب في هذه الاشارات بحيث يبدو فيها للباحث أثر الاصطناع والكذب والتقليد فقد جاء في كتب الادب قول هوبر الحارثي :

تزود منا بين أذناه ضربة دعته الى هابي التراب عقيم[٥]

وفي البيت التزام المثنى الالف في جميع الاحوال ، وهي لغة بني الحارث بن كعب ، وهي عند هؤلاء قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها الفاً فيقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت ثوبان[٦] . وفي هذه اللغة ان الف حرفي الجر (الى) و (على) تبقى على حالها اذا كان مدخولها ضمير غائب أو مخاطب ، كما جاء في النوادر لابي زيد الانصاري ، ان المفضل الضبي ذكر لبعض اهل اليمن قوله :

أي قلوص راكب تراها طارو علاهن فطر علاها[٧]

---

٥ – لسان العرب ١٠/٦٤ ، ١٩/١٦٣ ، ٢٠/٢٢٦ .

٦ – ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ابن فارس ، الصاحبي ٢٠ .

٧ – ابو زيد ، النوادر ٥٨ ، ابن فارس ، الصاحبي ٢٠ .

ولم ينسب السيوطي هذه اللغة لبني الحارث بن كعب وحدهم ، فقد عزاها لبني العنبر وبني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومزدادة وعذرة [8] .

وهذه الاشارات لا تتجاوز مسائل الابدال والقلب وسائر الحركات ومـــا يتعلق بشيء قليل من الامور الصوتية ، ولم يعدها بعضهم من المستساغ المقبول ، فالسيوطي يحشرها في باب « الرديء المذمـــوم من اللغات » [9] كالكشكشة والكسكسة والتلتلة والعنعنة والفحفحة والعجعجة وغيرها . كما انها غير منسوبة نسبة صحيحة كما أشرنا ، فالعنعنة لغة قيس وتميم عند السيوطي ، وهي تعرض في لغة قضاعة عند الثعالبي [10] ، وفي لسان العرب غير هذا [11] .

واذا كانت هذه اللهجات لا تعطي الا صورة شوهاء غير كاملة لمرحلة لغوية في تاريخ العربية ، فهـــل لنا ان نجد ذلك في تاريخ اللهجات العربية الجنوبية كالمعينية والحمـــيرية والسبئية أو في اللحيانية والثمودية والصفوية والنبطية ؟ والجواب عن هذا السؤال ان بين هذه اللهجات جميعها وبين العربية الفصيحة كما عرفناها في لغة القرآن او في لغة ما صح من النصوص الجاهلية فروقاً بعيدة ، ومعنى ذلك انه ليس من المعقول اتخاذ اية لهجة من هذه اللهجات صورة للعربية الاولى ، او صورة للمرحلة التي سبقت الفصيحة المعروفة في لغة القرن الاول الهجري . ونحن نطرق هذا السبيل لعدم توفر النصوص الصحيحة المدونة في هذه المرحلة اللغوية التي ننشدها ، ثم اننا نجرب هذه التجربة لان بين ايدينا من

---

٨ – السيوطي ، همع الهوامع ١/٤٠ .

٩ – السيوطي ، المزهر ١/٢٢١ .

١٠ – الثعالبي ، فقه اللغة .

١١ – لسان العرب : قال الفراء : تميم وقيس واسد ومن جاورهم يجعلون الف (أن) اذا كانت مفتوحة عيناً .

هذه اللهجات نصوصاً مكتوبة وهي النقوش التي اهتدى لها العلماء في بحوثهم التنقيبية . على ان طائفة من هذه النقوش مكتوبة بالآرامية وهي اللغة الثقافية كما هي الحال في النقوش النبطية [١٢] ، فقد كتب النبط نقوشهم بالآرامية وان كانت لغتهم عربية [١٣] .

ويتبين من هذا العرض ان المواد الضرورية لم تتوفر لنا لمعرفة المرحلة اللغوية التي سبقت عصر القرآن ، فلا بد اذن ان نسلك سبيلاً آخر للوصول الى شيء مما نصبو اليه ، وذلك بالرجوع الى نصوص العربية المثبتة في كتب اللغة والادب والنحو ونستقرئها استقراءً دقيقاً لنخلص الى موضوعات تؤلف منها مادة لغوية اتصفت بها المرحلة السابقة لعصر القرآن .

وهذه المادة اللغوية تشتمل على معلومات تتعلق بالابنية والصيغ والاوزان كما تتعلق بمسائل خاصة ببناء الكلمة في العربية وكيف توفر لبنية هذه الكلمة الانسجام والتكافؤ الموسيقي ، ولنعرض الآن لهذه المسائل .

١ — الابتداء :

والذي نلاحظه ان العربية لا تستسيغ الابتداء بالساكن من الحروف ، ولذلك قرر الخليل بن احمد ان «حرف اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف» [١٤] . والعربية لا تجيز هذا كما أجازت ذلك اللغات الاجنبية الكثيرة ، ولهذا يستعان بالهمزة المفتوحة للتوصل الى النطق بالساكن متخذة وسيلة او قل معبراً الى هذا الساكن من الحروف ليظهر في سكونه .

١٢ — Dhorme, Langue et écriture sémitique.

١٣ — دوسو ، تاريخ العرب في سوريا ٢٧ .

١٤ — الخليل ، الجزء المطبوع من كتاب العين ص ٢ عن المخزومي في الخليل بن احمد الفراهيدي ١٧٦ .

وكان يقول – بعد تمثيله للخماسي من الافعال – : « الالف التي في اسحنكك واقشعر واسحنفر واسبكرّ ليست من اصل البناء ، وانما ادخلت هذه الالفات في الافعال وأمثالهـا من الكلام لتكون عماداً وسلماً للسان الى الحرف الساكن[15] » .

وسأل الخليل جماعة فقال : كيف تلفظون بالحرف الساكن ، نحو ياء غلامي وباء اضرب ودال قد ؟ فقالوا له : نقول ياء وباء ودال ، فلم تعجبه اجابتهم ، لانهم انما لفظوا بالاسم ولم يلفظوا بالحرف ولم يحكوه ، كما هو في غلامي واضرب وقد . فقال لهم : اقول : إب وإي واد ، فالحق الفاً موصولة . قال : كذلك أراهم صنعوا بالساكن ، ألا تراهم قالوا : ابن وامم حيث اسكنوا الباء والسين ، وانت لا تستطيع ان تكلم بساكن في اول الاسم كما لا تصل الى اللفظ بهـذه السواكن فألحقت الفاً حتى وصلت الى اللفظ بها ، فكذلك هذه الالفات حتى تصل الى اللفظ بها كما ألحقت المسكن الاول في الاسم[16] .

والكلمة العربية اتصفت بالتكافؤ والانسجام بين اجزائها في الحركات والاصوات ، ومن اجل ذلك يؤتى بالهمزة التي يستعان بها على النطق بالساكن مكسورة او مفتوحة ، او مضمومة اذا كان الحرف الذي يلي الساكن مضموماً مثل أستنصر وأعترف فتضم الهمزة ، ليتماثل الصوت ويكون العمل فيهما على وجه واحد[17] .

والذي أريد ملاحظته في هذا الباب هو القول بأن المرحلة السابقة لهـذه العربية الفصيحة كانت تجيز الابتداء بالساكن ، والذي يقوي هذا الافتراض

---

١٥ – المصدر السابق .

١٦ – سيبويه ، الكتاب ٢/٦٢ .

١٧ – المصدر السابق ٢/٢٧٢ .

عندي قولهم : ان أمر الثلاثي في العربية همزته همزة وصل ، والناطق الجيد لهذه البنية لا يحس بهذه الهمزة ، فلسانه ينطلق بالضاد في كلمة اضرب (الامر) قبل ان ينطلق بشيء اسمه الوصل ، واجادة النطق تستدعي محو هذه الالف اطلاقاً. وعلى هذا جاء نطق المغاربة في ايامنا هذه ، فهم ينطلقون بالساكن في افعال الامر الثلاثية ، ومن اجل ذلك فان ما ندعوه بالنبر «Accent Tonique» يكون عندهم واقعاً في نهاية الكلمة. ومثل هذا ننطلق بالساكن اذا بدأنا بالاسماء التي نصوا على ان ألفاتها للوصل كما في « ابن» و « اسم » فاننا ننطلق بالساكن او بشيء فيه سكون او بنصف الساكن ان أسعفتنا لغة الاصطلاح، حتى يتم النطق بالكلمة على الوجه اللازم .

ووجود هذه الناحية ربما كان دليلاً على الابتداء بالساكن في العربية التي سبقت هذه المرحلة الفصيحة، كما يقوي هذا القول استساغة الانطلاق بالساكن في سائر اللغات السامية الاخرى ، بل ربما كانت الآرامية السريانية أشد قبولاً للبدء بالساكن من المتحرك ، ومن اجل ذلك صارت هذه الناحية من ميزاتها الظاهرة .

٣ — التقاء الساكنين :

اختصت العربية من بين سائر اللغات السامية بهذه الناحية مراعاة منها للتكافؤ والانسجام في بنية الكلمة الواحدة وفي اتصال الكلمة بغيرها حتى يجيء الكلام العربي على هيئة مخصوصة موسيقية منسجمة .

على ان الباحث في غرائب العربية وفرائدها واجد من هذا الباب شيئاً وهو قليل جداً ، وقلته ذات دلالة خاصة ، فهو يشير الى وجود التقاء الساكنين في تلك المرحلة اللغوية السابقة للمرحلة المعروفة، والا فكيف نعلل وجود الساكنين في كلمتي (حمارّة) و (صبارّة) في قولهم : حمارة القيظ وصبارة القر ، ومثل

هذا ما حدث من التقاء الساكنين في اسماء الفاعلين من الافعال الثلاثية المضعفة مثل (حالّ) و (مادّ) ، ذلك ان العربية توجب الادغام في هذه الالفاظ ووجوب الادغام يستدعي التقاء الساكنين ، والذي أراه ان من العرب من كان يجيز فك الادغام مخالفة للقياس المعروف ، ومطارعة منه لسنن العربية التي لا تحتمل التقاء الساكنين فكان يفك الادغام في هذه الالفاظ وعلى هذا جاء قول المتنبي :

فلا يبرم الامر الذي هو حالل   الى آخر البيت . . .

وليس معقولاً ان يحمل هذا على تخطئة المتنبي ، فقد كان عالماً بشوارد اللغة والنحو فلا يجوز ان يكون جاهلاً بهذا ، ثم انه لم يلجأ الى ضرورة شعرية فقد كان في طوقه ان يتحاشى هذه الضرورة – ان صحت – باستعمال مرادفة لكلمة حال (حالل) وذلك كثير ميسور . أما الذي سوّغ له استعمال الكلمة ، أحتمال فك هـــذا الادغام في لغة من لغات الناس في ذلك الزمان هروباً من التقاء الساكنين ، كما هي الحال في ايامنا هذه في لغتنا العامية الدارجة ، فهناك من يلتزم ادغام هذه الالفاظ محتملاً التقاء الساكنين كما ان هناك من يلجأ الى فك الادغـــام هروباً وتخلصاً فيقول مثلاً (دازز) و (شادد) بدلاً من (دازّ) و (شادّ) .

وقد هربت العربية من احتمال التقاء الساكنين في بنية الكلمة الواحدة الثلاثية الساكنة العين ، اذ يلتقي فيها ساكنان العين واللام لأن اواخر الكلمة سواكن اذا لم تدخل هذه الكلمات في جمل او اذا وقف عليها كما تقول (فخذ) باسكان الخاء في (فخذ) المكسورة الخاء [18] . وفي خزانة البغدادي ان الفعل الذي عينه حرف حلق وكان على (فعل) بكسر العـــين فلك فيه أربع لغات كالحال في

١٨ – المبرد، الكامل ٢/٤/ ١١ .

(فخذ)[١٩] ، وفي (الاقتضاب) :جواز تخفيف عين (فعل) مضموم العين ومكسورها[٢٠] .

وفي المحتسب لابن جني : ما سمع فيه (فعل) بضم الفاء واسكان العين الا وسمع فيه (فعل) بضم الفاء والعين[٢١] ، ومنه اسكانهم نحو (رسل) و (عجز) و (عضد) و (كتف) و (كبد)[٢٢] .

والحكمة في هذا التحريك هو الهروب من التقاء الساكنين كما بيناه . على اننا نجد مثل هذا في لهجتنا العامية البغدادية في الاسماء الثلاثية التي نضطر الى تحريك عينها بحركة مناسبة هروباً من التقاء الساكنين فنقول (فعل) بكسر العين مجاراة لكسرة الفاء ولالتقاء الساكنين كما في (اسم) و (عجل) ، ونقول (تمر) بضم الميم و (قبر) باسكان العين فيهما . والسبب في ذلك ما بيناه لاننا لو رجعنا الى نطق هذه الكلمات في لهجة عامية اخرى ، ولتكن اللهجة المصرية لوجدنا المصريين ينطقون هذه جميعاً باسكان العين احتمالاً منهم لالتقاء الساكنين .

واذا أردنا استقراء النصوص الفصيحة وجدنا هذه الناحية في الافعال المضعفة المزيدة بثلاثة احرف كما في أوزان (افعالّ) مثل (احمارّ) وهذه الافعال قليلة وقلتها تشير الى انها من بقايا المرحلة السابقة اللغوية التي أشرنا اليها. فهذه الصيغة قديمة وهي دالة على المبالغة، وهي ثقيلة لوجود الساكنين، ثم تخففت في الاستعمال فخضعت لسنة العربية الفصيحة في المرحلة اللاحقة فاستحالت الى (احمرّ) وهي في المعنى نفسه ، والمبالغة حاصلة فيها ، وليس كما علل الصرفيون بأن المبالغة في

---

١٩ – البغدادي ، الخزانة ١٠١/٤ .

٢٠ – ابن السيد ، الاقتضاب ٢٠١ .

٢١ – ابن جني ، المحتسب ١٩٠/١ .

٢٢ – ابن جني ، الخصائص ٧٥/١ .

الاولى اكثر . ومن هذا قولهم : غارّ الطائر فرخه بتشديد الراء في (غارّ)[٢٣]، ففي هذا الفعل قد التقى الساكنان ، ومنه ايضاً (غارت الناقة في الحلب) ، وما قلناه في (احمارّ) و (احمرّ) يصدق على قولهم (غارّ) فقد تخفف هذا الفعل حتى لجأ الاستعمال الى (غرّ) الثلاثي المضعف وفي ذلك كفاية وغناء .

٣ – ابدال احد التضعيفين بالياء :

وما زلنا نحمل على الخطأ او على طريقة العوام في لهجتهم الدارجة قولهم (استمريت) باسناد الفعل المضعف الى تاء الفاعل . وفي العربية الفصيحة شيء من هذا وهو قليل ، ولعل قلته راجعة الى انه من البقايا اللغوية القديمة التي تشير الى مرحلة لغوية قديمة قد سبقت الفصيح المعروف والممثل في لغة التنزيل والحديث . والى هذا ذهب المبرّد في شرح كلمة (التقضّي) في قول العجاج :

تقضّي البازي اذا البازي كَسَر

والتقضّي الانقضاض والعرب تبدل الياء من احد التضعيفين فيقولون (تظنيت) والاصل (تظننت) لانه من الظن[٢٤] . ومنه (قصصت) و (قصيت)[٢٥] . والمستقرىء للنصوص اللغوية واجد من هذا الموضوع شيئاً يصلح ان يكون مادة مفيدة للبحث .

٤ – اسم المفعول :

في اسم المفعول من الفعل الثلاثي الاجوف فذلكة لغوية فنقول : (مبيع) من

---

٢٣ – المبرد ، الكامل ١/٣٧ .

٢٤ – المبرد ، الكامل ٢/٢٦٠ .

٢٥ – ابن السيد ، الاقتضاب ١٣٧ .

(باع) ومصون من (صان) ، وهذه الفذلكة داخلة في باب الاعلال وليس بنا حاجة لشرحه في هذا المقام ، وانما نريد ان نقول : ان لهجاتنا الحديثة الدارجة لا تلجأ الى هذا الاعلال ، بل تصوغه على وزن مفعول فتقول (مبيوع) ، وهذه الصيغة واردة في الفصيح من العربية ولكنها مسموعة وسماعها يخالف القياس المشهور ، وهو دليل على انه من البقايا اللغوية القديمة التي تتسم بها المرحلة السابقة التي أشرنا اليها .

وقد جاء من هذا الباب (مصوون) و (مقوود) و (معوود)[٢٦] . وفي القاموس اسعده فهو مسعود[٢٧] . واكمده فهو مكمود[٢٨] . وألقح الفحل الناقة فهي (ملقوحة)[٢٩] . وهذه الامثلة تشير الى ان وزن (مفعول) هو أصل في صيغة اسم المفعول ولا يختص بهذه الصيغة الفعل الثلاثي ، ولعل في هذه الامثلة دليلاً على قدم هذه الصيغة في مراحل اللغة الاولى .

٥ – مطل الحركات :

أفرد ابن جني في كتاب الخصائص فصلاً لموضوع مطل الحركات والمراد بمطل الحركات مد الحركات، وقد استفادت العربية من هذا المد كثيراً في تنويع الصيغ وتكثير المعاني . فقد مدت ضمة العين في المضارع كما في (ينبع) فصار (ينبوع) ومثل هذا (يحمور) و (يخضور) و (يعفور) ، وقد انتقلت هذه الصيغ في العربية الى الاسمية وهو كثير في اللغة . على انه لا تخفى الصلة في هذه الالفاظ بين الفعلية والاسمية فعلاقة اللون واضحة وربمـــا هي التي سوغت هذا الانتقال

---

٢٦ – المصدر السابق ٢٧٤ - ٢٧٥ .

٢٧ – الفيروزابادي ، القاموس ، مادة سعد .

٢٨ – لسان العرب ، مادة كمد .

٢٩ – المصباح المنير ، مادة لقح .

اللغوي . ونستطيع ان نفترض ان يكون اصل الفعل المضارع في مرحلة لغوية قديمة على هذا الشكل . ومعلوم ان بين الاسم والفعل المضارع شبهاً ولهذا سمي بالمضارع لانه مضارع للاسم المعرب . والتسمية بالافعال المضارعة قديمة جداً فقد عرف (يغوث) و (يعوق) [٣٠] من آلهة اليمن .

ومما يتعلق بباب مطل الحركات كلمة (اليعقيد) وهو العسل يعقد بالنار حتى يخثر ، وقيل طعام يعقد بالعسل ، ومنه اليعضيد وهي بقلة زهرها أشد صفرة من الورس وقيل غير هذا [٣١] .

ونستطيع ان نرد فاعول الى مطل الحركات فالعمود لا بد ان كان (عامود) ثم خفف الى (عمود) وليس لنا ان نحمل العامود على الكلام العامي فمثله الشاقول والناعور وكثير من اسماء الادوات .

وفي كتب اللغة نصوص تشهد على هذا الباب فقد أنشد ابو علي الفارمي لابن هرمة يرثي ابنه :

فانت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجـــال بمنتزاح

وأراد بمنتزح .

وهذه المواد تعطينا بعض الشيء عن خصائص العربية القديمة قبل ان تتوحد وتنسجم في قالبها المعروف الفصيح .

٦ – صيغ الفعل المجرد :

المعروف عند الصرفيين انهم صنفوا الافعال الثلاثية في ستة اوزان ورتبوها

---

٣٠ – الكلبي ، الاصنام ٥٧ .

٣١ – الزبيدي ، تاج العروس ، انظر مادتي عقد وعضد .

حسب ورودها في الكثرة ، غير ان الناظر في النصوص وفي كتب اللغة يجد فيها شيئاً يؤدي به الى الاعتقاد ان هذه الافعال لم تكن مستقرة ولا سيما في القرن الاول الهجري ، وان فعلاً من الافعال مثلاً قد يكون على الوزن الاول (باب نصر) عند قوم من الناس ، ولكنه من (باب ضرب) عند آخرين . ويبقى هذا التردد في اعتبار وزن الفعل طوال القرن الاول والقرن الثاني ، حتى اذا تم تثبيت قواعد اللغة ، استقرت هذه الافعال على حال ثابتة ولا سيما الافعال التي يكثر تداولها في التخاطب والكتابة على الاقل

ولقد ورد شيء من هذا الذي نذهب اليه على ألسنة علماء اللغة ، فقد قال ابو زيد الانصاري : اذا جاوزت المشاهير من الافعال فأنت بالخيار بين الضم والكسر [٣٢] . وقال الفرّاء : الاصل في المضارع الكسر [٣٣] .

وهذا التردد في معرفة الاوزان وضبطها وتثبيتها قد تم في لغة القرآن بالرغم من ان كتب اللغة ظلت تذكر اللغات المختلفة في وزن الافعال التي اختلفوا فيها ، فقد قالوا في (فسد) هو من باب (نصر) عند قوم، وهو من باب (كرم) على رأي آخرين . وهذه الحال تدل على ان الافعال الثلاثية في المرحلة السابقة لعصر القرآن لم تكن مستقرة على حال وكان الحكم فيها للقائلين يؤلفون بين حركاتها كما يشاءون .

٧ – الجموع :

الجموع من المواد اللغوية القديمة ، وقد احتفظت بها اللغة العربية . وربما دلت

---

٣٢ – الفيروزابادي ، مقدمة القاموس .

٣٣ – لسان العرب ، مادة اتى .

كثرة الجموع في العربية على اختلاف اللهجات ولا سيما جموع التكسير، ويعني هذا اننا نجمع كلمة واحدة على عدة صيغ من صيغ الجمع (Chème) فالشيخ يجمع على (شيخة) ويجمع على (شيوخ) بضم الشين وعلى (شيوخ) بكسر الشين وعلى (اشياخ) ، ومثل هذا كلمة (الحب) بكسر الحاء فتجمع على (احباب) ، و (حبان) بكسر الحاء وتشديد الباء ، و (حبوب) و (حببة) بكسر الحاء، و (حب) بضم الحاء [٣٤] . ومثل هذا كثير في اللغة العربية وهو دليل على ان الجمع لم يستقر على حال وانه يشير الى المرحلة التي كانت فيها اللغة غير مستقرة على صيغ ثابتة ، ومن اجل هذا حدثت هذه الكثرة في الصيغ ، وسبب هذه الكثرة راجع الى اختلاف الاقوام واختلاف الجهات .

وفي جمع المذكر السالم ألفاظ سماها النحاة الاقدمون بالملحقات وذلك لعدم انطباق الشروط التي اتفقوا عليها في جمع الاسم هذا الجمع المعروف وبقاء هذه الالفاظ التي ألحقت بجمع المذكر السالم يشير الى مرحلة لغوية قديمة ، تلك المرحلة التي لم تتقيد فيها اللغة بضوابط واضحة . وهذه الالفاظ هي ألفاظ العقود مثل (عشرون) واخواتها ، وارضون ووابلون واهلون وعالمون ، ومن هذا الباب اصول ثنائية (Bilitère) مثل (بنون) و (مئون) و (قلون) و (سنون) و (عضون) كما في قوله تعالى : « الذين جعلوا القرآن عضين » [٣٥] أي فرقوه اعضاء ، ومثله (عزين) جمع عزة اي فرقة . ومنه ثبة قد جمعت على (ثبون) كما في قول عمرو ابن كلثوم :

فأما يوم خشيتنا عليهم   فتصبح خيلنا عقباً ثبينا [٣٦]

---

٣٤ – لسان العرب ، مادة حبب .

٣٥ – سورة الحجر ٩١ .

٣٦ – معلقة عمرو بن كلثوم ضمن شرح العشر ١١٦ .

ويتبين من هذا ان هذه المواد اللغوية المتخلفة عن مرحلة قديمة بقيت في العربية الممثلة في لغة القرآن ولغة النصوص الجاهلية التي يطمأن الى صحتها .

٨ – الابنية الغريبة :

واقصد بالابنية تلك الصيغ التي وجدت في النصوص اللغوية القديمة والتي لم يكتب لها الشيوع لثقلها ولطول بنائها والتي عدت من باب الغريب مرة ومن باب الوحشي المهجورة مرة اخرى .

ولا بد من ضرب الامثال على هذه الابنية الغريبة لنخلص الى نتيجة من النتائج ، جاء في النوادر لابي زيد المبرنتي [٣٧] هو الغضبان الذي لا ينظر الى احد وكان على ابي زيد ان يأتي بالشاهد لنكون على بينة ، وهذه الناحية من العيوب في المعجم العربي القديم لانهم لا يهتمون باستقراء الاستعمال لتأييد المعنى الذي ينصون عليه ، وربما كان هذا حجة لمن يقول بالاصطناع والاختراع في المعاني ، وان اللغوي يلجأ الى هذا الباب ليظهر انه عارف باللغة وفرائدها . ومثل هذا كثير في كتب اللغة المطولة . ولا بد من دليل آخر على اصطناع هذه الالفاظ وهو انهم يذكرون للفظ الواحد معاني عدة لا علاقة بينها ، فقولهم : محبنطىء وهو العظيم البطن ، والممتلىء غيظاً . والحرنجم هو الذي يريد الامر ثم يكذب فيرجع [٣٨] ، في حين ان (احرنجم) عندهم بمعنى اجتمع ووجه العلاقة بين الاسم والفعل غير موجود اطلاقاً .

وقد أفرد ابن دريد في الجمهرة في الجزء الثالث باباً للاوزان الغريبة كالفعلل مثل الهمرجل للخفيف السريع ، والشمردل للطويل والدلهمس للجريء الماضي

---

٣٧ – ابو زيد ، النوادر ١٣٠ .

٣٨ – المصدر السابق ١٩٨ .

على الليل ، والجلنفع للصلب الشديد والملنكد للصلب الشديد والعدبّس للشديد الخلق .

وفي وزن الفعلول الشغموم للناقـــة القوية والطحلول والصعلوك للفقير ، والقرضوب للص ، واللمموظ للشره والنهم ، والصحمور للعظيم البطن .

ومن الفيعلى ، الهيذبى والخيزلى .

ومن الفيعلول ، الناقة العيسجور النشيطة ، والخيتعور للذي لا يدوم على العهد .

ومن الفعوال ، القرواح للنخلة الملساء .

ومن الفيعول ، العيثوم الناقة الغليظة . وسيهوج وسيهوك اسمان توصف بهما الريح .

ومن الفيعال ، الهيذام وهو الصارم[39] .

وهذه الابنية الغريبة كثيرة اجتزأنا بهذا القدر منها ، ونريد ان نقول فيها شيئاً هو ان الغالب فيها ذو دلالة مادية فلا ينصرف الى الناحية المجازية وان المعاني التي ترد في هذه الابنية متعلقة بالاوصاف الحسية كالطول والقصر والضخامة والعظم والدقة وشدة الخلق والسرعة والخفة وغير هذا مما هو داخل في هـــذا الخصوص . والخلق والاصطناع واضح في هذه الابنية فالالفاظ التي تعني شدة الخلق فيها كثيرة ومختلفة . وهي تنصرف للانسان تارة وللحيوان تارة اخرى .

ولكن هذه الابنية على العموم قديمة ، وان الالفاظ التي وضعت هـــذه

---

٣٩ – ابن دريد ، الجمهرة ٣/٣٨٠ .

المعاني من هذه الصيغ تقليداً وحكاية لما كانت عليه الابنية في اللغة القديمة في مراحلها الاولى .

وأنا اذ انهي هذه المقالة أود ان أقول ان عملي كان استقراء النواحي اللغوية التي يمكن ان تكون مادة مهمة في مراحل اللغة القديمة ، اما اعطاء صورة واضحة المعالم لهذه اللغة في تلك المراحل فليس سهلا ، ذلك اننا مفتقرون للنصوص الثابتة المدونة كما في سائر اللغات الحية .

الفعل والنظام الفعلي في العربية

عدّ الاقدمون الفعل عنصراً جوهرياً في العبارة او الجملة ، وهو كذلك عند المحدثين من اللغويين عامل مهم في بناء الجملة .

وقد اختلفت الامم في اشكال الفعل ، فهو في العربية لا يتعدى الماضي والمضارع[1] ، في حين انه يحتوي على صور مختلفة متعددة في اللغات الهندية — الاوروبية Indo - Europeanne . وليست العربية بدعاً بين اخواتها الساميات في هذا الباب ، فالباحثون في هذه الاسرة اللغوية يذهبون الى قلة صور الفعل Forme فيها .

وقد اهتم النحاة العرب في الفعل وبحثوا فيه بحوثاً طويلة ، وأعطوه من الاحكام ما هو معروف ، مقيد في الاسانيد ، وسنأتي الى الكلام عليه . ولقد خلّف السلف في هذا الباب كتباً كثيرة ، قصرها اصحابها على الفعل واوزانه ومعانيه .

ولعل طائفة منهـــا كانت اشبه بالمعجمات اللغوية ، فكتاب الافعال لابن القوطية[2] يظهر مدى اهتمام الاقدمين بالفعل ومعانيه وصوره . وقد أعاد احد

---

١ — اما الامر فليس لنا الا ان نلحقه بالمضارع فهو صورة منه يؤدي معنى خاصاً . والى هذا ذهب النحاة الكوفيون . انظر «الانصاف» لابن الانباري ، المسألة ٧٢ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ : ٢٦٨ .

٢ — هو ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم ، المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الاصل المتوفى سنة ٣٦٧ للهجرة .

العلماء ترتيب هذا الكتاب ، وأضاف اليه شيئاً آخر ، وبوّبه تبويباً خالف فيه الاصل ، وهو ابن القطاع من علماء القرن السادس الهجري [٣] .

وأنت اذا نظرت الى احد هذين الكتابين تبينت غنى العربية في هذا الباب واهتمام اللغويين في هذه المادة ، حتى انهم توسعوا فيها ، فاشتقوا الافعال من أصول جامدة ، ليس فيها معنى الحدث . وسنأتي الى الكلام على هذا الموضوع .

على اننا لا بد ان نستدرك فنقول : ان الاقدمين على اهتمامهم الزائد بالفعل ومعانيه وصوره لم يبحثوا في زمان الفعل وتحديداته ، فالماضي هو الحدث الذي مضى « Accompli » ولكن هذا الذي مضى لا نعرف في أي زمان من الماضي ، فهو يصدق على حدث مضى قبل لحظات ، وعلى آخر مضى عليه زمان طويل ، وهذا التوسع او قل التساهل مبعثه قلة ضبط الازمنة في النحو العربي .

فلا يستطيع المستقرىء لكلام العرب ان يحدد الزمن تحديداً كالذي نعرفه في غير اللغات السامية ، وهو ان استطاع ذلك ، فبالقرينة والاشارات الاخرى التي يحتوي عليها النص . ولعل حيرتهم وقلة بحثهم في هذه الناحية ، تبدوان فيما أسموه بالمضارع ، فالتسمية لا تشير الى زمن معين محدد معروف ، وانما تشير الى شبه هذا بالاسم ، فهو مضارع للاسم ، وتأتي مضارعته للاسم من ناحية حركة آخره [٤] . ثم انهم حين أرادوا ان يدلوا على زمن هذه الصيغة أشاروا الى الحال والاستقبال . وأمر الحال والاستقبال في هذه الصيغة متروك للنص ، تحـــدده القرائن والاشارات .

---

٣ — هـــو ابو القاسم علي بن جعفر السعدي الافريقي المعروف بابن القطاع الصقلي المصري المتوفى سنة ٥١٥ للهجرة .

٤ — انظر : Marcel Cohen, Systeme verbal Semitique, p. 10

وليس لنا ان نتبين في العربية ضوابط واضحة تشير الى اتفاق الازمنة او ما يسمى بـ « Concordance de temps » . فليس صحيحاً ان تدل صيغة على زمنين مختلفين ، لم يحدد كلا منهما ضابط متميز بالنسبة للآخر .

ولا ندري ما المراد بالحال وكم هو طول هذه الفسحة الزمنية ، ثم اذا انطلقنا من هذا الى المستقبل ، لا نهتدي الى اين نصل بالمستقبل ، فهو فسحة زمنية طويلة .

ووقوفهم في البحث عند هذا الحد من حيث الناحية الزمنية ، دليل على ان الباحثين الاقدمين في النحو لم يتأثروا في الامور الجوهرية بالفكر اليوناني ، ونحن اذا أردنا ان نجد آثار المَنطق في النحو لا نجده الا في التقسيمات وفي الاحكام العامة المطلقة ، كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول .

ولكن القائلين بتأثر المسلمين بالفكر اليوناني لا يقتصرون على هذا الحد فعندهم ان الفكرة الزمنية والبحث فيها كان نتيجة لتأثر هؤلاء بالنحو اليوناني ، وقد قال بهذا المستشرقون [٥] وغير المستشرقين من المشارقة الذين تأثروا بهم ولزموا أقوالهم [٦] .

فقد قالوا : ان القياس النحوي متأثر بالقياس المنطقي الأرسطي ، والرد على هذا الزعم ميسور سهل ، ليس هذا مجال البحث فيه .

---

٥ – انظر : M. G. Demombynes et Blachère, Grammaire p. 36

٦ – انظر مقالة الدكتور ابراهيم مدكور في مؤتمر مجمع فؤاد الاول للغة العربية ١٩٤٨ – ١٩٤٩ وموضوعها منطق ارسطو والنحو العربي . وانظر تعليق المستشرق الفرنسي L. Massignon عليه . وانظر تعليق Gibb على الموضوع وذهابه الى ان النحو العربي والنحو السرياني نشآ في وقت واحد . والى هذا ذهب E. Littmann في محاضراته .

وأعود فأقول : لو كان واضع النحو متأثراً في الامور الجوهرية بالنحو اليوناني ، لنحا في تحديد الزمن منحى الاغريق ، ولبحث في قضية الزمن وتحديده كما بحثوا ، ولوقفنا اليوم في عصرنا الحديث على جلية الامر ، وصرنا لا نحار في قوله تعالى : « قل فلمَ تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين » [٧] .

فالفعل « تقتلون » مضارع ولكن النص لا يشير الى الحال او الاستقبال وانما يشير الى الزمن الماضي .

ولا نستطيع ان نهتدي الى الماضي المستمر « durable » في العربية بصورة واضحة دقيقة . ونحن اذا وجدنا قولهم « كان يعاشر مشيخة قريش » [٨] وهو متضمن لفكرة الاستمرارية . ومثل هذا كثير في كلام العرب ، فالاستمرارية حاصلة ، ولكننا لا نستطيع تحديد الفسحة الزمنية فيها ، او قل ان الصيغة لم تشر الى زمن محدود قصير [٩] . فقد جاء في ابن هشام ما نصه : « فوالله انه ليضع رحل رسول الله (ص) اذ أتاه سهم غرب فأصابه وقتل » .

ومن اهتمام العربية بالفعل غلبة الجملة الفعلية [١٠] على كلام العرب ، ذلك اننا لو

---

٧ – سورة البقرة ٩١ .

٨ – الاغاني ، دار الكتب ، الجزء السادس ، ص ٩٦ .

٩ – Th. Noldeke, Zur Grammatik des classischen Arabisch, p. 68

١٠ – حين انص على الجملة الفعلية في هذه المقالة اريد منها ما كان فيها الفعل طرفاً في الاسناد فهو مسند ابداً ، وعلى هذا فقولنا : « جاء محمد » جملة فعلية مؤلفة من مسند ومسند اليه . ثم اذا قلنا : « محمد جاء » لم يتبدل شيء في حقيقة الاسناد فطرفا الاسناد هما كما كانا في الجملة الاولى ، وهي بهذا جملة فعلية ايضاً مؤلفة من مسند ومسند اليه ، والمسند اليه هو الفاعل في كلتا الجملتين . والى هذا ذهب نحاة الكوفة ، فقد اخلوا الفعل من قولهم : « محمد جاء » من الضمير الذي عده البصريون فاعلا . ولا اريد ان اقول في الفرق بين قولهم محمد جاء وجاء محمد ، ان الاول يفيد التجدد ، والثاني يفيد الحدوث . كما ذهب اليه البلاغيون ، انظر السكاكي ، مفتاح العلوم ٢١٣ .

نظرنا الى كتاب من كتبهم فاحصين على طريقة الاحصاء في ايامنا ، لاهتدينا الى صدق هذه الدعوى . ولا نريد ان نعلل هذه الظاهرة الكلامية ، لان التعليل ربما اخرجنا عن هذا البحث اللغوي . وقد فعل هذا الاستاذ علي الجارم في مقالة له فزعم « ان العقلية العربية تقتضي ان تكون الجملة الفعلية الاصل ، والغالب الكثير في التعبير ، لان العربي جرت سليقته ، ودفعته فطرته الى الاهتمام بالحدث في الاحوال العادية الكثيرة . وهي التي لا يريد فيها ان ينبه السامع الى الاهتمام بمن اوقع منه الحديث او التي لا يهتم هو فيها بمن وقع منه الحديث ، فالاساس عنده في الاخبار ان يبدأ بالفعل ، عدا الفرس وعاد المسافر ...[11]

وقد يلتجىء العربي الى الجملة الاسمية اذا كان القصد الى الفاعل والى الاسراع بازالة الشك فيمن صدر منه الفعل ، فيبدأ بذكره اولاً قبل ان يذكر الفعل لكي يخصصه ، او لكي يبعد الشبهة عن السامع ويمنعه ان يظن به الغلط او التزيد[12] .

ولا أريد ان اعلق على مقالة الجارم ، فهي تعليلات فكرية فلسفية ، ولا يهم الباحث اللغوي غير بحث الصيغ والاساليب . وربما كان سلوك هذا المذهب ابتعاداً عن الحقيقة اللغوية التي هي موضوع البحث .

ولقد اهتم النحويون كافة في مسألة الاعراب ، فذهب الاقدمون الى ان

---

١١ – علي الجارم ، مجمع اللغة العربية ، الجزء السابع ، ص ٣١٧ لسنة ١٠٩٥٣ .

١٢ – يشترط الجارم ان تصدر الجملة باسم وهو مسند اليه ولو كان المسند فعلا وهذا مذهب كثير من النحويين .

ومما تجب الاشارة اليه ان هذه الجملة المصدرة بالاسم مسنداً اليه او قل – فاعلا – متلواً بمسند هو الفعل ، كثرت في عربيتنا الحديثة . وسبب ذلك يرجع الى ان هؤلاء الكاتبين متأثرون بالاساليب المترجمة ، ويتبين صدق هذا في الاخبار التي تذيعها وكالات الانباء وفي الاقاصيص المترجمة ، ثم سرت هذه الظاهرة الى كتابات اخرى .

الاعراب أثر يجلبه العامل . ومن هنا كان بحثهم في العامل ، فالبصريون يرون ان الفعل صاحب العمل سواء تقدم أم تأخر وسواء كان ذلك مذكوراً ام مقدراً . وكثر حديثهم عن العوامل فقد ألـّف ابو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ للهجرة كتاب العوامل ومختصره ، وألف الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة كتاب « العوامل المئة » . ولم يكن البصريون وحدهم مهتمين بمسألة العامل فقد بحث فيه غير البصريين من نحاة الكوفة . وظل منهج القوم على هذه الحال الى ان تصدى ابن مضاء القرطبي لهؤلاء يفسد عليهم نظريتهم في العامل في كتابه « الرد على النحاة »[١٣] . وهو يكرر رأي ابن جني في الخصائص عند كلامه عن العوامل اللفظية والعوامل المعنوية ، ومذهبه الى ان العمل الاعرابي في الحقيقة للمتكلم ونسبته لغـــيره لملابسة خاصة[١٤] . ثم بحث الموضوع الاستاذ ابراهيم مصطفى من المحدثين ، هذا القول بتوسع وتصرف .

وانتهى الى ان الحركات بعضها علم على معنى اعرابي ، فالضمة علم الاسناد ، والكسرة علم الاضافة ، اما الفتحة فحركة لا تدل على شيء[١٥] .

والبحث في دلالة الحركات جاء متأخراً ، فلم يشر اليه رؤوس الطبقة الاولى من النحويين ، فقد جاء عن الخليل انه قال : « ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه »[١٦] . والى هذا ذهب ابراهيم أنيس من المحدثين في كتاب « من اسرار اللغة »[١٧] .

---

١٣ — ابن مضاء ، الرد على النحاة ٨٥ ، ٨٦ .

١٤ — ابن جني ، الخصائص ١/١١٠ .

١٥ — ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ٥٠ .

١٦ — سيبويه ، الكتاب ٢/٣١٥ .

١٧ — ابراهيم انيس ، من اسرار اللغة ١٤٢ .

ولعل العلة في ذهاب الاقدمين هذا المذهب في التعلق بالعامل هو تأثرهم بالمنهج الفلسفي الذي يقول بالعلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، ولا يصح جرياً على هذا ان يكون حدث من غير محدث . وقد تعلق البصريون اكثر من غيرهم بهذه الدعوى وأرادوا ان يفيدوا منها في البحوث النحوية واللغوية ، فآل الامر الى خلط وتعقيد وابتداع ابواب ليس من الصعب ان تبعد من دائرة النحو واللغة .

وقد أشار الاقدمون الى هذا ، وقالوا بضعف العلل النحوية وابتعادها عن اللغة وحقيقتها ، ومن هؤلاء ابن جني في باب « علل العربية أكلامية أم فقهية » ما نصه : اعلم ان علل النحويين – واعني بذلك حذاقهم المتفننين ، لا الفافهم المستضعفين – اقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين[18] . والى هـــذا اشار ابن فارس في قوله :

مرت بنا هيفاء مجدولة تركية تنمي لتركي
ترنو بطرف فاتن فاتر أضعف من حجة نحوي"[19]

ولم يسلم حتى هؤلاء القدامى من هذا الخلط ، فلم ينصرفوا في بحوثهم اللغوية الى المذهب اللغوي الصحيح، ولم يستطيعوا ان يجنّبوا بحوثهم هذا الدخيل الذي لا يمت للبحث اللغوي بصلة . ومن يتعقب كتاب الخصائص لابن جني يجده يتخبط في مسائل لا علاقة لها بالبحث اللغوي، وانما هي من تأثير المنهج الكلامي الذي أشرنا اليه . ولم يدفع ابن مضاء مسألة العامل وينكرها تمسكاً بالبحث العلمي اللغوي الصحيح ، فهو ظاهري المذهب والعقيدة وهو من اجل هذا يريد ان يسود حكم الظاهر على المسائل اللغوية والنحوية ايضاً .

---

١٨ – ابن جني ، الخصائص ١/٤٨ .

١٩ – انظر ابن خلكان ، ترجمة ابن فارس ١/٣٦ .

وتمسك البصريين بالعامل هو التمسك الذي يرجع الى اصل فلسفي ، اوقعهم في مآزق أحالت النحو العربي الى تخليط ابعد ما يكون عن البحث اللغوي السليم . فقد وقفوا عند قوله تعالى « وان أحد من المشركين استجارك »[20] ، فقالوا بفاعلية أحد ولكن لفعل محذوف يفسره المذكور ، ومن هنا نشأ عندهم ما أسموه بالجملة المفسرة التي لا محل لها من الاعراب .

ومبعث كل هذا انهم لا يخلون الفعل من ضمير الاسم السابق ، مدفوعين بالنظر الفلسفي . وموقف الكوفيين من هـــذا انهم أجازوا ان يخلى الفعل من الضمير وهم يوردون شاهدهم المعروف ، وهو قول الزباء :

مـــا للجمالِ مشيُها وئيدا   أجندلاً يحمِلنَ أم حديدا[21]

ومن هنا يظهر ان النحويين ، بصريين وكوفيين ، متفقون في قولهم بالعامل، غير انهم يختلفون في مقدار اخذهم به . فالفعل عند كثير من نحاة الكوفة لا يعمل في الفاعل ، فالعامل عند الكسائي ليس لفظ الفعل وانما كونه داخلاً في الوصف اي كونه متلبساً بالفعل[22] .

ولعل عدم جواز خلو الفعل من الفاعل عند البصريين ، أوقعهم في مأزق آخر في باب التنازع ، وهو ان يتقدم عاملان او اكثر ويتأخر عنهما او عنها معمول يصلح ان يكون معمولاً لكل واحد مما تقدم ، كقولهم مثلا : « قـــام وقعد اخوك » فقد قال البصريون بإعمال الثاني لقربه ، واختار الكوفيون إعمال

---

٢٠ – التوبة ٦ .

٢١ – السيوطي ، الهمع ١٥٩/١ ، شرح الاشموني على الالفية ٤٣/٢ عن مدرسة الكوفة .

٢٢ – السيوطي ، الهمع ١٥٩/١ .

الاول لسبقه، غير ان الفرّاء قد ذهب الى انه اذا اتفق العاملان في طلب المرفوع فالفعل لهما جميعاً [٢٣] .

ومن اهتمام النحويين بالفعل ألحقوا به في الاعمال اسماء الافعال واسماء الفاعلين واسماء المفعولين والصفات المشبهة ، وأفعل التفضيل وأمثلة المبالغة . واسماء الفاعلين عند الكوفيين أفعال دائمة .

ومن اهتمام العربية بالفعل انها تأخذه من الاسماء ، اقول من الاسماء التي تثبت اصالتها في الاسمية . فكلمة « اسم » لم تخرج من السمو او الوسم على الخلاف بين البصريين والكوفيين [٢٤] ، وانما هي كلمة قديمة وجدت في سائر اللغات السامية فأفادت منها العربية فصاغت منها فعلاً هو « سمّي » . ولم يلتفت النحويون الى هذا ، وانما شغلوا انفسهم في الكلام عن همزة الاسم [٢٥] .

والباحث في الافعال ثلاثية ام غير ثلاثية يجد ان طائفة منها ذات اصول جامدة ، فالفعل « رأسَ » مأخوذ من الرأس والرأس كلمة وجدت في اللغات السامية كافة وهكذا في « كبده » أي اصاب كبده ، وصبع بـــه وله وعليه مأخوذ من غير شك من الاصبع . وهناك أفعال مأخوذة من اعضاء الجسم كقولهم « نابه » « ينيبه » وهو من الناب . و « ورك » من الورك ، وتورك بالمكان أقام به ، ولعل الفعل « ترك » بناء على افتعل للفعل « ورك » .

---

٢٣ – الرضي ، شرح كافية ابن الحاجب ٧٩/١ .

٢٤ – ابن الانباري ، الانصاف المسألة الاولى .

٢٥ – يرى الخليل ان همزة الاسم زيدت للتوصل الى النطق بالساكن ، الكتاب ٦٦/٢ .

ومن هذا الباب « فخذه » أي أصاب فخذه . وربما كان هناك علاقة بين « ضرع » وهو اسم وبين « رَضَعَ » وهو فعل[26] .

واذا أردنا ان نستوفي هذا الباب وجدنا حشداً كبيراً من الافعال لا ترجع الا الى اسم جـــامد صريح ، فالتامر واللابن مأخوذان من التمر واللبن، وتمره اطعمه التمر ، ولعل « بات ترجع الى البيت ، وابتنى صار له بنون » .

ولقد انقطعت الصلة في كثير من الاحيان بين المادة الفعلية وبين الاصل الاسمي . فكلمة الجن وهي كلمة قلبها البحث اللغوي فردّها الى اصول غير سامية ، هي التي ولدت لنا « جن » بمعانيها المختلفة بحيث صار الباحث لا يقرب بين هذا الاسم والفعل . وقل مثل ذلك في كلمة « الانس » وهو اسم ، والفعل « أنس » وليس من شك ان الفعل خارج من الاسم. أما المصدر « أُنس » فلا نرى الا أنه معمول على الفعل .

ومن اهتمامهم بالفعلية انهم حسبوا كثيراً من الادوات افعالاً ، فأداة النفي « ليس » فعل جامد عندهم، ولم يقولوا بتركيبها ، ويفصلوا القول فيه . وهكذا قل في بئس ونعم وعسى ، وربما اعتبروا « لات » فعلاً معتمدين على قوله تعالى : « وأن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً »[27] .

ولقد أعطت كلمة « ال » أبنية فعلية ، وكلمة « ال » كلمة سامية وتعني

---

٢٦ – انظر محاضرات بول كراوس على طلبة كلية الآداب في القاهرة ١٩٤٣ .

٢٧ – الحجرات ١٤ .

الاله . وكان يحيى بن يعمر[٢٨] يقرأ « جبرَ إلّ » بتشديد اللام ، وقال بعض المفسرين الإلّ هو الله واحتج بقوله تعالى : « وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة » . وقال ابو عبيدة الإلّ العهد .

وخلاصة القول ان الفعل يحتل في العربية مكانة عظيمة لمّا تحظَ بالدراسة اللازمة .

٢٨ — يحيى بن يعمر ، نحوي مشهور ، انظر نزهة الالباء لابن الانباري .

التركيب والبناء في العربية

دفعني الى الكتابة في هذا الموضوع ما ذكره المستشرق الالماني Brockelmann في دراسته المطولة المقارنة في اللغات السامية ، وهو : أن ليس في اللغات السامية ادغام للكلمات [1] . ولا يريد بالادغام في مقالته ما أراده النحويون في هذا المصطلح الذي أفردوا له بحثاً طويلاً مسهباً في كتبهم . وانما يريد به وصل كلمة بأخرى بحيث يتكون منهما كلمة واحدة ذات معنى مؤلف من معنى الكلمتين المستقلتين .

ولعله اصاب لو استعمل « التركيب » مصطلحاً لغوياً لما اسماه بالادغام . وكأنه احس ان في العربية شيئاً كثيراً من المركبات ، وهذا الشيء الكثير يفسد عليه رأيه ، فاستدرك ان التركيب غير قديم في اللغات السامية ، وان هذه اللغات كانت خالية مما اسماه « بالادغام » في عصورها القديمة ، وليس من حجة علمية تاريخية تثبت صحة هذه الدعوى .

والذي ثبت في التحقيق العلمي ان في العربية تراكيب كثيرة ، وانها استفادت من التركيب لتكثير المعاني والمباني . وقد اعتمد « البناء » في العربية على التركيب بصوره المختلفة ولعل من المفيد ان انبه اني لم أرد «بالبناء» المصطلح النحوي الذي يقابل الاعراب ، وانما أردت به بنية الكلمة Structure .

---

[1] - Brockelmann Grundriss I, S. 5.

ويدخل التركيب في بنية كل من الاسم والفعل والحرف ، ولعل التركيب في الحروف يشير الى قدم هذه الوسيلة في العربية ، وسنعرض للادوات التي أفادت من التركيب على مر العصور وكر الدهور ، فلزمت صورتها المعروفة والتي ورثتها العربية واستعملتها وكأنها كلمات مستقلة . ولو نظر الباحث في هذه الكلمات لوجدها مركبات استفادت من التركيب ، ولا سيما في صورتها المنحوتـــة ، والنحت لون من ألوان التركيب في العربية خضعت له الحروف والاسماء . وكان مذهب الخليل بن احمد : « ان الكلمتين اذا ركبتا ، ولكل منهما معنى وحكم ، اصبح لهما بالتركيب حكم جديد » [٢] . وتبع الخليل في مقالته جمهور الكوفيين ، ومنهم الكسائي والفرّاء ، وليس كما رأى الاستاذ طه الراوي من : أن الخليل قد شذ عن جمهرة النحاة في رأيه في الادوات المنحوتة [٣] . ولنا أن نعرض للادوات التي دخلها التركيب على طريقة النحت فلزمت صورتهـــا المعروفة الموروثة :

١ — لن :

وهي مركبة عند الكسائي من الكوفيين وحده ، وعنده انها مركبة من « لا » و « أن » وحذفت الهمزة تخفيفاً ، والالف للساكنين [٤] . وقول الكسائي في « لن » هو قول الخليل وهو صاحب الرأي فيه ، جاء في كتاب سيبويه :

فأما الخليل فزعم انها « لا أن » ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم ، كما قالوا : ويلمه ، يريدون وي لامه وكما قالوا يومئذ ، وجعلت بمنزلة حرف واحد[٥] .

---

٢ — ابن جني ، سر صناعة الاعراب (حرف الكاف) .

٣ — طه الراوي ، تاريخ علوم اللغة العربية ، ص ٢٨ .

٤ — الاشموني ، الشرح ٣/٢٨٣ . ابن هشام ، المغني (حرف اللام) .

٥ — سيبويه ، الكتاب ١/٤٠٧ ، والنص فيه غموض .

وعن الازهري : انه « حكى هشام عن الكسائي مثل هذا القول الشاذ عن الخليل »[٦] . على ان جمهور البصريين يرد هذه المقالة ويقول بعدم تركيب « لن » وانها : حرف بسيط برأسه وهو مذهب سيبويه لان الاصل في الحروف عدم التصرف[٧] . وليس اصله « لا » فأبدلت الالف نوناً كما ذهب جماعة من اللغويين[٨]. فذهب الفرّاء مثلاً الى ان أصل « لن » و « لم » لا فأبدلت الالف نوناً في احدهما وميماً في الآخر[٩] .

وما دام القدامى قـــد قربوا بين « لن » و « لم » فلا بد لنا من النظر فيها والقول بتركيبها وان لم ينص عليه متقدم من اللغويين والنحويين وقد قال بهذا المستشرق الالماني « برجشتراسر » فزعم : ان اصل النفي في العربية ان يكون بلا وما ، وان العربية قد اشتقت من « لا » أدوات منها : ليس ، ولن ، ولم ، وقال : « لن مركبة من « لا » و « أن » و لم « ربما كانت مركبة من « لا » و « ما » الزائدة »[١٠] .

وقال في مكان آخر حين عرض لحروف العطف : « ثم » خاصة بالعربية ويظهر انها مشتقة من « ثم » المقابلة لـ Sam العبرية ، و tamman الآرامية ، و « أو » سامية الاصل ، و « أم » حديثة عربية ، وأصلها : أما ، كما ان « لم » أصلها « lama » و « كم » أصلها «ka-ma»[١١] . والذي رأيته ان النحويـــين

٦ – ابن منظور ، لسان العرب ، مادة لن .

٧ – الزبيدي ، تاج العروس ، مادة ان .

٨ – المصدر السابق .

٩ – الرضى ، شرح الكافية ٢/٥ ٢٣ .

١٠ – برجشترامر ، التطور النحوي للغة العربية ، ص ١١١ .

١١ – المصدر السابق ، ص ١١٩ .

المتقدمين لم يقولوا بالتركيب وردوا هـذا الرأي الى الخليل والكسائي ، اما المتأخرون فقد قالوا بالتركيب ولا سيما اللغويين منهم، ومن هؤلاء ابن جني في سر صناعة الاعراب .

٢ – كأن :

وهي مركبة من الكاف و (أن) فأصل قولهم كأن زيداً عمرو ، انما هو : ان زيداً كعمرو ، فالكاف هنا تشبيه صريح وهي متعلقة بمحذوف . ثم انهم أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عليه عقدوا الجملة ، فأزالوا الكاف من وسطها وقدموها الى أولها لافراط عنايتهم بالتشبيه ولاجل تقديم الكاف فتحوا همزة « ان » [١٢] .

ويلتزم ابن جني قاعدة التركيب ويرفض ما عداها ، فهو يذكر رأي الخليل في « لن » وتركيبها ويقول به ويعقب عليه بقوله : « فهذا يدلك أن الشيئين اذا خلطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل ان يمتزجا . الا ترى ان لولا مركبة من « لو » و « لا » ومعنى « لو » امتناع الشيء لامتناع غيره ، ومعنى « لا » النفي أو النهي . فلما ركبا معاً حدث معنى آخر وهو امتناع الشيء لوقوع غيره . فهذا في « لن » بمنزلة قولنا كأن ومصحح له ومؤنس به وراد على سيبويه مـا ألزمه الخليل » [١٣]

٣ – لكن :

اختلف فيها النحويون فهي بسيطة عند البصريين [١٤] . وهي مركبة عنـد

---

١٢ – ابن جني ، سر صناعة الاعراب ، ص ٣٠٥ .

١٣ – المصدر السابق .

١٤ – الزبيدي ، تاج العروس ، مادة لكن .

الفراء من الكوفيين مِنْ « لكنْ » و « أنْ » فطرحت الهمزة للتخفيف ، ونون لكن للساكنين كقوله :

« ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل »[15]

وهذا علة نصبها الاسم عنده[16]

ويرى غير الفراء من اهل الكوفة انها مركبة من « لا » و « أن » و « الكاف الزائدة لا التشبيهية وحذفت الهمزة تخفيفاً »[17] .

ولعل السبب في اختلاف رأيهم في هذه المواد يرجع الى انهم لم يستكملوا أدوات البحث اللغوي في اللغة العربية وذلك يقتضيهم النظر في اللغات السامية الاخرى ليستطيعوا ان يقطعوا برأي علمي أصيل . ذلك ان النظر في العبرية يهدي الباحث الى القول بتركيب هذه المادة من « لا » و « كن » التي تعني في العبرية « هكذا » . وبهذا قال « برجشتراسر » في محاضراته الموسومة بالتطور النحوي للغة العربية[18] .

وقول بعض الكوفيين بتركيبها من « لا » والاحرف الزائدة الاخرى أقرب الى الصواب وأهدى الى الطريق الصحيح الذي توصـــل اليه بالفطنة والنظر السديد .

---

١٥ – ابن هشام ، المغني ٢٢٦/١ .

١٦ – الزبيدي ، تاج العروس .

١٧ – ابن يعيش ، شرح المفصل ٧٩/٨ . ابن هشام ، المغني ٢٢٦/١ .

١٨ – برجشتراسر ، التطور النحوي ، ص ١١١ .

٤ — ليس :

يرى الخليل انها مركبة من لا ايس فطرحت الهمزة والزمت اللام بالياء[١٩] . وهو قول الفراء ايضاً والدليل على ذلك قول العرب : « ائتني به من حيث ايس وليس أي من حيث هو ولا هو »[٢٠]

اما غير الخليل من البصريين فقالوا بخلافه . فهي عند ابن السراج حرف بمنزلة « ما » والى ذلك ذهب ابو علي الفارسي وابن شقير وغيرهم[٢١] . والقول بفعليتها واسميتها كثير ، قـــال ابن سيدة : « ليس كلمة نفي وهي فعل ماض وأصلها لَيِس بكسر الياء »[٢٢] .

وذهب ابن هشام الى انها فعل لا يتصرف ، وزنه فعل بالكسر ، ثم التزم تخفيفه ولم نقدره فعل بالفتح لانه لا يخفف ولا فعل بالضم ، لانه لم يوجد في يائي العين »[٢٣] .

وقول العرب « ائتني به من حيث ايس وليس » مفيد في هذا الباب ، ذلك ان « ايس » يعني الوجود و « ليس » يعني عدم الوجود .

والنظر في اللغات السامية يدل على هذا ، فالمادة « يش » في العبرية تفيـــد

---

١٩ — ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ليس .

٢٠ — الزبيدي ، تاج العروس ، مادة ليس .

٢١ — ابن هشام ، المغني ، حرف اللام ١/٢٢٧ .

٢٢ — ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ليس .

٢٣ — ابن هشام ، المغني ١/٢٢٧ .

الوجود والمادة « ايث » في الآرامية تفيد الوجود وقد ركبت « لا » مع هـذه المادة التي تفيد الوجود . والى هذا ذهب برجشتراسر في بحثه [24] .

ولو رجعنا الى العربية وقصرنا عليها البحث دون النظر في اللغات السامية لوجدنا فيها ما يؤيد القول بتركيب « ليس » من « لا » و « ايس » فقولهم «ايس» للدلالة على الوجود يقابله في العربية مادة « شيء » وهي مقلوب لكلمة « ايش » السامية ، والتي وجدت في العبرية مؤيدة هذا المعنى ، والتي تحجرت في العربية في جمل معدودة مقيدة في معجمات اللغة في قولهم « ايس » . فكأن « ليس » « لا ايس » اي انها من « لا ايش » ومعناها « لا شيء » ثم قوي التركيب على طريقة النحت فصارت ليس .

٥ – لات :

ولا بد للباحث في « ليس » أن يعرض لـ « لات » وهي أداة من أدوات النفي الحقت بليس وعملت عملها وقيدت بشروط .

وقد علل النحويون التاء في هذه الاداة فقال جماعة انها للتأنيث ، وقـال آخرون انها للمبالغة [25] ، وفاتهم انها مركبة ولم يفطنوا الى تركيبها . وهي لا تختلف عن ليس . وربما كانت « لا ايث » فصارت في العربية « لا ايت » ثم استفادت من النحت فصارت « لات » [26] .

---

٢٤ – برجشتراسر ، التطور النحوي ، ص ١١١ .

٢٥ – ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك .

٢٦ – جاء في ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ٤٠٣ ما ننقله لما فيه من فائدة في هذا الباب : « وقال بعض البغداديين : التاء تزاد في اول حين ، وفي اول اوان وفي اول الآن وانما هي «لا» ثم تبتدىء فتقول: تحين وتلان ». وربما كان في هذا مفتاح الامر في تركيب «لا» =

٦ – لهنك :

ذهب الفرّاء الى انها منحوتة وان اصلها : « والله انك كما روى عن ابي أدهم الكلابي : له ربي لاقول ذلك . بقصر اللام ثم حذف حرف الجر كما يقال : الله لافعلن ، وحذفت لام التعريف ايضاً كما يقال : لاه أبوك أي لله أبوك . ثم حذف الف « فعال » كما يحذف من الممدود اذا قصر كما يقال : الحصاد والحصد ، قال :

الا لا بارك الله في سهيل   اذا ما الله بارك في الرجالِ

ثم حذفت همزة انك »[٢٧] .

ولم يقل سيبويه بتركيبها . وقد ذهب الى انها كلمة تكلم بها العرب في حال اليمين ، وليس كل العرب تتكلم بها .

وعن سيبويه تقول العرب : لهنك لرجل صدق . يريدون . « ان » ولكنهم أبدلوا الهاء مكان الالف ، وروى ابن فارس قول الشاعر :

لهنـــك من عبيسة لوسيمة   على هنوات كاذب من يقولها[٢٨]

وقد قال الفراء بتركيب كثير من الادوات « فمنذ » مركبة عنده من « من » و « ذو » وحذفوا الواو تخفيفاً[٢٩] ، و « هلم » عنده مركبة من « هل أم » أي

= حيث ان من شرط اعمالها ان اسمها وخبرها اسما زمان وان يحذف الاسم غالباً ولم تجيء «لات» الا في قولهم :

لات حين مناص او ما حمل على الحين او ما يرادفه .

٢٧ – الرضي ، شرح الكافية ٢/٣٥٧ .

٢٨ – سيبويه ، الكتاب ٢/٤٧٤ . الصاحبي ، ص ٤ .

٢٩ – ابن يعيش ، شرح المفصل ٤/٩٥ .

أقصد فخففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على اللام وحذفت فصارت : هلم [٣٠] .

٧ — مهما :

هي مركبة عند الكوفيين من « مَه اسم فعل بمعنى اكفف زيد عليها « ما » فحدث بالتركيب معنى لم يكن » [٣١] . وهي عند البصريين مركبة من « ما » الشرطية زيد عليها « ما » فَسْتَثْقِل اجتماعهما فأبدلت الاولى هاءً [٣٢]

٨ — مهمن :

هي أداة كوفية أضافها الكوفيون الى أدوات الجزم [٣٣] واحتجوا بقول الشاعر :

أماويّ مهمن يستمع في صديقه أقاويل هذا الناس ماويّ يندم [٣٤]

وهي مؤلفة من (مه) و (من) وتركيبها كتركيب « مهما » ولم يقل بهـا البصريون [٣٥] . ودخل التركيب في الاسماء ، والمركبات من الاسماء معروفة في كل زمان ، وقد أفادت منها العربية في تكثير المعاني . وفي العربية قدرة على الاستفادة من هذا النوع ، وهي دائمة الاستفادة منه . وربما وجدنا في اللهجات

---

٣٠ — ابن يعيش ، شرح المفصل ٤٢/٤ .

٣١ — الاشموني ، الشرح ١١/٤ .

٣٢ — المصدر السابق .

٣٣ — المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ص ٢٦٦ .

٣٤ — الرضى ، شرح الكافية ٣٣٥/٢ .

٣٥ — ربما كانت هذه الاداة من استخدام التنوين في « مهما » كما استخدم التنوين في ما فصار « من » .

الدارجة الشيء الكثير من هذه المركبات . وللمجاورة والاتباع في العربية أثر في ذلك .

والمركبات على ضربين : ضرب يقتضي تركيبه ان يبنى الاسمان معاً ، وضرب لا يقتضي تركيبه الا بناء الاول . فمن الضرب الاول نحو العشرة وما نيّف عليها ، الا اثني عشر ، ونحو قولهم وقع في « حيصَ بيصَ » ولقيته « كفةَ كفةَ » ، و « صحرةَ بحرةَ » ، وهو جاري (بيتَ بيتَ) ، ووقع (بينَ بينَ) وآتيك (صباحَ مساءَ) و (يومَ يومَ) ، وتفرقوا (شغر بغَرَ) و (شذرَ مذرَ) و (خِذع مِذع) وتركوا البلاد (حيث بيث) و (حاث باث) ومنه (الخازِ بازِ) .

والضرب الثاني نحو قولهم افعل هذا بادى بدي وذهبوا أيدي سَبا ، ونحو معدي يكرب وبعلبك وقالي قلا [٣٦] .

والذي يلاحظ في هذا الباب ان العربية حين بنت جزئي المركب اختارت الفتح التماساً للخفة ، والخفة متطلبة في هذا الباب ذلك ان المركب كلمة طويلة ثقيلة . ومع هذا فقد جوز الفراء اعراب العدد المركب [٣٧] .

ولقد جد في العربية مركبات منحوتة اقتضاها الدين الاسلامي الحنيف ، وهذه المنحوتات أبنية نُحِتَ كل منها من كلمتين او اكثر ، كالبسملة ، والحمدلة ، والحولقة ، أو الحوقلة ، والهيللة ، والحسبلة ، والحيعلة ، والسمعلة ، فانها منحوتة من : بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ولا إله الا الله ، وحسبي الله ، وحي على الصلاة ، وسمع الله لمن حمده . وقد أشتق من هذه المنحوتات افعال رباعية فقيل : بسمل وحمدل وحَيعَل ...

---

٣٦ ـ الزمخشري ، المفصل ، ص ١٦٧ .

٣٧ ـ السيوطي ، همع الهوامع ، باب العدد .

وذهب ابن فارس الى ان اكثر الابنية التي تزيد اصولها عن ثلاثة منحوتة عن كلمتين مثل قول العرب للرجل الشديد : ضبطر ، من ضبط وضبر ، وفي قولهم صهصلق ، من صهل وصلق ، وفي الصلدم انه من الصلد والصدم [٣٨] .

وربما كان في الصلدم قول غير هذا فهو صلد ذُيّل بالميم خدمة للتميم مقابلة للتنوين . ومن المركبات المنحوتة قولهم « ايش » يريدون به أي شيء [٣٩] ، فقد نص عليه ابن السيد في شرح أدب الكاتب وصرحوا بأنه سمع من العرب . وقد وقع في شعر قديم : من آل قحطان وآل ايش . وقد استخدمت النون في بناء الرباعي من الاسماء فقيل ضيفن ، وهرشن ، وشدقن ، ورعشن ، كما استفيد من الميم فقيل خضرم وصلدم .

وقد دخل النحت في الافعال غير الثلاثية فالرباعي دحرج [٤٠] مؤلف من « دَحَرَ » و « دَرَجَ » . وقد ذهب هذا المذهب ابن فارس كما أشرنا الى ذلك. وقد ذهب الزمخشري في الكشاف الى ان قرضب آتٍ من «قرض» و «قضب» [٤١]. وبناء الرباعي في العربية جاء بطرق عدة منها :

١ – اضافة ميم ذيلاً أو كسعاً Suffite كقولنا حرجم .

---

٣٨ – ابن فارس ، الصاحبي ، ص ٢٢٧ .

٣٩ – الخفاجي ، شفاء الغليل ، ص ١٥ .

٤٠ – يرى بعض الباحثين الى ان الفعل دحرج آت من درّج ثم ابدل من الراء الاول حاء .

٤١ – يلوح ان الاصل في قرضب هو قضب والراء تعويض من الضاد الاولى . والتعويض بالراء ظاهرة سامية معروفة بالكلمة الآرامية « ترتين » تقابل « اثنين » في العربية والراء فيها عوض عن النون وكذلك « بر » و « برتا » الآراميتين تقابلان « ابن » و « بنت » ولا وجه للرباعي « فرقع » الا هذا السبيل فهو من « فقع » بتضعيف القاف .

٢ — الاستفادة من التنوين كما في ضامن وتضامن والاصل هو تضامّ .

٣ — الاستفادة من فك الادغام في المضعف والتعويض من الحرف الاول المضعف حرفاً آخر هو النون مثلاً كقولهم :

جندل وهو من جدّل ، قنطر وهو من قطرّ ، وفك الادغام والتعويض بالنون شهير في العربية ، فضمير المخاطب المنفصل أنت واخواته هو « ات » في سائر اللغات السامية . وقد ورد الادغام وفك الادغام في ألفاظ كثيرة مثل قبّرة قنبرة .

وكقولهم حنجرة وسنبلة ودمّلة ، ولعل فك الادغام هو الذي جاء بالفعل « انطى » وهو من أتـّى بمعنى أعطى . جاء في الآية الكريمة : « وآتى المال على حبه » ثم حدث ابدال بين التاء والطاء . ولهذا فقول القدامى « باستنطاء بكر » لا أساس له ، فهو من هذا الباب وليس الاستنطاء مقيداً ببكر دون غيرهم ، والدليل وجود الكلمة حية في سائر اقطار العربية .

وقد يعوض بالهاء : « فجمر » تصبح « جمهرَ » وهو من « جمّ » .

٤ — الاستفادة من الميم صدرا في الفعل Préfixe كقولهم مَسخَر ومَشدَق .

٥ — الاستفادة من الشين كسعا في الفعـــل كقولهم في اللسان الدارج « حركش » وهو لم يصبح فصيحاً بعد . والشين التي تذيل الافعال مقتطعة من « شيء » فقول العامي « دكَش » يريد بـــه دق شيئاً . وكقولهم « لا شي » و « يلاشي » وهو مركب منحوت من « لا » « شيء » .

٦ — وربما خرج العامي من الشين الى الجيم لفائدة معنوية ، فقوله « صخرج » اثبات لما فيه قوة الصخر وطبيعته ، ومنه « صفرج » اثبات لما فيه شيء من الصفرة .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بحث مقارن في التثنية

لقد ضاع من العربية شيء كثير . على ان مـــا انتهى من اللغات السامية الاخرى قليل جداً بالقياس الى الثروة الكبيرة في اللغة العربية . ومن اجل هذا لا يجد الباحث مادة وافرة يتخذ منها أدواته واسبابه في البحث ، ليتوصل بذلك الى اعطاء صورة واضحة جلية عن كثير من الحقائق اللغوية [١] .

موضوع التثنية في العربية واللغات السامية الاخرى من الموضوعات التي يحسن الوقوف عندها طويلاً ، ذلك أن مصادر البحث وجلها كتب النحو واللغة لا تقول الا الشيء اليسير .

والتثنية او المثنى ظاهرة لغوية وجدت في اللغات السامية ، واللغة اليونانية[٢] وفي السنسكريتية ولها آثار في اللغات الجرمانية [٣] ولكننا نستطيع أن نقرر ان التثنية ظاهرة سامية او قل عربية قبل كل شيء [٤] .

---

١ — ابن الانباري ، نزهة الالباء ، ص ٣٣ .

٢ — Cf. Gesenius, Bebrew Grammer, (Oxford 1910) p. 244.

٣ — Cf. Grim's Grammer 2nd ed., p. 814.

٤ — Cf. The Litevature on the Semitic dual in Grünert, Die Begriffs-Praponderanz und duale a potiori im Altarab. (Wien, 1886), p. 21.

والبحث في هذا الموضوع يستدعي النظر في الكلمة « اثنان »[٥]، من حيث هي من اسماء العدد ، ومن حيث هي من اسماء ايام الاسبوع ، وهذه الاسماء من اقدم الكلمات في اللغات السامية .

والاثنان اسما لليوم ، من ايام الاسبوع من الاسماء العربية الاسلامية . فلم يكن العرب في جاهليتهم يسمون أيامهم بأسامٍ مفردة كما سمتها الفرس غير انهم أفردوا لكل ثلاث ليال من كل شهر من شهورهم اسماً على حدة مستخرجاً من حال القمر وضوئه فيها[٦] ، ثم انهم كانوا يطلقون على يوم الاثنين (أهون او أهود)[٧] .

أما (الاثنان) من اسماء العدد فهي نقطة البدء في الموضوع، وهي مادة ذات صور كثيرة في معجمات العربية ، فمنهـــا الفعل ثنى والاسم ثني بكسر الثاء واسكان النون وربما كان منها اسم مفرد هو اثنَ او ثنَ وتنكب عنه الاستعمال مستغنياً بالواحد والأحد .

والمعنى الاصيل للمادة هو فكرة وجود شيئين او طرفين متلازمين او غير متلازمين ، ومن هذه الفكرة جاء الفعل ثنى بمعنى طوى ولوى فصار الشيء وكأنه ذو شقين ومنها ايضاً جاء (الثنيان) بضم الثاء للرجل الذي يلي السيد .

وقد افترضنا ان (للاثنين) اسماً مفرداً لم يألفه الاستعمال هو (ثن) وهو ثنائي وربما استند على نصف الحركة المتمثلة في همزة الوصل ليكون على ثلاثة . ثم حمل عليه الاستعمال لفظ المؤنث فقيل (اثنتان) او ثنتان والتاء فيها كالتاء

٥ – Cf. Philippi Z. D. M. G. XXXII, p. 21-98.

٦ – البيروني ، الآثار الباقية ، طبعة ساخو ، ليبسك ص ٦٣ – ٦٤ .

٧ – ابن سيدة ، المخصص ، الايام والليالي والشهور للفراء . ص ٦ .

في بنت واخت وكلتا . وهذه التاء علامة للتأنيث المحمول على التذكير قياساً كما حملوا على (ابن) (ابنة) وان وجدت بنت وهي صاحبة الاصالة [8] ولكن النحاة العرب قالوا : « واما تاء بنت واخت وهنت وكلتا وثنتان فليست لمحض التأنيث بل هي بدل من اللام في حال التأنيث ولذا سكن ما قبلها » [9] . وكأنهم اشترطوا في تاء التأنيث ان يفتح ما قبلها .

ولفظ (اثنان) من الالفاظ السامية فهو في اللغة العبرية (شنايمْ) Shnayim للمذكر و (شتايمْ) Shtayim للمؤنث ، وفي الاكدية (شين) للمذكر و (شتين) للمؤنث ، وفي الحبشية نجد (سنوي) و (سانيت) بمعنى اليوم الثاني من الاسبوع او الشهر . على ان الحال تختلف في الآرامية والسريانية فهي (ترين) trên للمذكر و (ترتين) tertên للمؤنث .

ولا زالت هذه اللفظة حية في لغة لبنان الدارجة وهم يستعملونها بمعنى الرفيق او الشريك في اللعبة التي تتطلب اثنين يقومان بها [10] . والراء في هذه اللفظة ليست أصيلة فهي من فك الادغام الحاصل في النون فيبدل باحدى النونين راء ، ويدلنا على هذا ان كلمة (برتا) Barta مؤنث (بر) Bar بمعنى بنت تجمع على (بنات) كما تجمع (بتْ) العبرانية والتي تعني بنت على (Bânôt) أي بنات وهو ايضاً من فك الادغام الكائن في تاء المفرد . وكذلك الحال في لهجة قروي جنوبي العراق اذ يقولون بت بكسر الباء للبنت ويجمعونها بنات .

---

٨ – انظر التطور النحوي ، ص ٦٢ .

٩ – الرضى ، شرح الكافية ٢/١٦١ . راجع مسألة الجنس في : Wensinck, Gender in the Semitic Languages.

١٠ – انيس فريحة ، مجلة الابحاث . آذار ١٩٥٨ .

وفي العربية ألفاظ تدل على معنى (الاثنين) مثل كلمة (زوج) كما في قوله تعالى : « والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » [11] .

ومن هذه الالفاظ (كلا) [12] للدلالة على المثنى المذكر ، وقد حمل عليها قياساً (كلتا) للدلالة على التأنيث . وليست هذه اللفظة مما اختصت بها العربية ففي اللغة الحبشية يوجد (كلأتو) للمذكر و (كلأتي) للمؤنث ، وفي حالة المفعولية توجد صيغة واحدة للمذكر والمؤنث وهي (كلأت) .

ولفظ كلأ يـــدل على الفصل والقطع والتنصيف ومن هنا نشأت فكرة التثنية [13] ، وفي العبرية توجد (كلآيِم) Kil'ayim للدلالة على المثنى .

والنحاة العرب بحثوا في هذه المادة ولا سيما في اعرابها فقالوا ان الالف في كلا علامة اعراب او هي دلالة مشيرة الى الاعراب ، ثم قالوا ان الالف في كلتا التأنيث وعند آخرين وهم جماعة اهل الكوفة ، ان الالف في كلا وكلتا للتثنية ثم قالوا ولم يستعمل واحدهما اذ لا احاطة في الواحد فلفظها كلفظ الاثنين سواء ، وقالوا ويجوز للضرورة استعمال الواحد كما في البيت :

في كلت رجليها سلامى زائده   كلتاهمـــا مقرونة بواحده [14]

وأهل الكوفة يقولون ان (كلا) من (كل) (بتشديد اللام) فحذفت اللام

---

١١ – سورة (ق) ٥٠ ، ٧ .

١٢ – Cf. Brockelmann, Grundriss, p. 455.

١٣ – Cf. A. Dillman, Lexicon Linguae Aethiopicae cum indice Latino.

١٤ – شرح الكافية ، الرضى ، ج ١ ص ٣٢ .

وزيدت الالف للتثنية والتاء للتأنيث [١٥] . والتاء في كلتا ليست مبدلة من الواو كما يرى الكوفيون ، وليست للالحاق كما يرى الجرمي بل هي للتأنيث كما بينا آنفاً .

والنحويون ربما كانوا يهرفون وذلك لانهم لم يفطنوا الى المقارنة في دراسة النحو واللغة ، ففاتهم نتيجة لهذا علم كثير .

والمثنى من الموضوعات النحوية التي لم تبرز البروز الواضح الا في العربية من اللغات السامية . فقد زال تماماً من اللغة السريانية ، ولم نعد نستطيع ان نتبين صيغة المثنى (tryanaya) الا في خمس كلمات هي :

(trên) اثنان للمذكر و (tertên) للمؤنث و (ma'tin) مئتان و (Mîsrin) وتعني مصر ... وهذه الكلمات بصيغة المثنى وان كانت مكسورة ما قبل الياء والنون فالمعروف عند الباحثين ان حركة ما قبل الياء والنون الفتحة [١٦] . وقد اعتاضوا عن التثنية بالعدد (ترين) و (ترتين) وهما اثنان واثنتان يسبقان الاسم المجموع فيقولون مثلاً (trên Gavrin) ويعني رجلان [١٧] .

وفي الآرامي الانجيلي Aramean Biblique فالتثنية مقصورة على اعضاء الجسم المزدوجة كما في (يداينْ) و (رجلاين) وعلامته الياء والنون . وهما في الآشورية ضيقة الاستعمال كذلك وعلامته الألف اللينة المتبوعة بالنون كما في apchan وتعني (حبلان) ، على ان النون تحذف اذا اسند الى ضمير كما في

١٥ – ابن الانباري ، الانصاف ، المسألة ٦٢ .

١٦ – القس بولس الكفرنيسي ، غراماطيق اللغة الآرامية السريانية ، ص ٥٠ .

١٧ – اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، لمطران يوسف داود .

Inâshu (عيونه) [١٨] ، وكذلك اقتصر في النصوص البابلية على اعضاء الجسم المزدوجة . ولا يوجد المثنى في الحبشية الا في بقايا متحجرة والعلامة (a) كما في عشرا ومعناها عشرون . وفي اللغة العبرية يستعمل المثنى في اعضـــاء الجسم المزدوجة وفي الادوات التي تتألف من شقين كالمقص والميزان مثل (يدايمْ) « Yaday im » وكلمات دلت على الجمع وجاءت على صيغة المثنى كما في (شمايمْ) سموات و (مايم) مياه . وتوجد فيها كلمات دلت على المفرد وهي بصيغة المثنى كما في (صهورايمْ) اي الظهيرة .

وعلامة التثنية في العبرية ياء وميم مفتوح ما قبلهما .

أما في اللغة الجنوبية فالتثنية في الاصل ان يلحق المثنى فتحة وياء في اللغة المعينية ay ثم زيـــد مدٌ ونون ân قبل العلامة الاولى كما في (معلياني) Ma'liyanay ، وفي اللغة السبئية يسبق المثنى لفظ (اثنـــين) مثل tani Namiran وتعني (نمران) [١٩] .

ونستطيع ان نتبين من هذا العرض ان علامة التثنية هي الالف والنون او اليـــاء والنون مسبوقة بالفتح الا ما جاء من الكلمات المشار اليها آنفاً . وسأخاص الى الوقوف عند علامة التثنية في العربية وقفة يستدعيها البحث .

والبحث في هذه الظاهرة اللغوية يؤدي الى ان نقول ان المثنى مادة لغوية اختصت بها العربية ولزمتها في الفصيحة من اقدم العصور حتى الآن، وقد تعدى الامر هذه الفصيحة الى اللهجات المحلية الدارجة كما سنرى . ولكننا لو فحصنا أقدم النصوص العربية التي يطمأن الى صحتها ومن هذه نصوص القرآن الكريم ،

---

١٨ — Cf. Brockelmann, Précis de liguistique Sémitique. p. 133.

١٩ — اغناطيوس غويدي ، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ، ص ١٣ .

لرأينا ان المثنى لم يكن ثابت القواعد محدود الصورة في هذه النصوص . فهناك تردد وترجح في صيغة المثنى نفسه وفي صيغة الفعل الذي اسند اليه فلم يتحمل هذا الفعل ضمير المسند اليه على هيأة التثنية ، وسنعرض لهذه النصوص لنتبين صحة هذه الدعوى :

قال تعالى : قد كان لكم آية في فئتين التقتا [20] ، وقد تمت المطابقة في هـــذه الآية .

وقال تعالى : ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما [21] ، ولم يراع في هذه الآية ان احد المتعاطفين وهو مسند اليه جمع وذلك ان الفعل وهو طرف في الاسناد قد تحمل ضمير التثنية .

وقال تعالى : فارتدا على آثارهما قصصاً [22] ، وقد تمت المطابقة في هـــذه الآيـــة .

وقال تعالى : فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ، ورفع أبويه وخرّوا له سجّداً [23] ، وفي هذه الآية جاء المثنى (ابويه) ثم عقب في الشق الاخير من الآية بالفعل (خرّوا) وهو مسند للجمع ولم تأت الآية (وخرّا) على التثنية ثم انه لما كان الفعل مسنداً لضمير الجمع جاءت الصفة منصوبة على الحال وهي مجموعة ايضاً . وقال تعالى : كلتا الجنتين آتت اكلها [24] ، ولم تتم المطابقة . والنحوي

٢٠ – آل عمران ، ١٣ .

٢١ – الانبياء ٣٠ ، انظر ابا عبيدة ، مجاز القرآن ص ٩ .

٢٢ – الكهف ٦٤ .

٢٣ – يوسف ١٠٠ .

٢٤ - الكهف ٣٣ ، انظر السيوطي ، همع الهوامع ، ج ١ ، ص ٤١ .

القديم لا يعدم ان يتلمس لما يراه في كتاب الله من تأويل وتعليل وتخريج فقد قالوا ان لفظ (كلا) او (كلتا) مفرد وقد حمل على اللفظ في هـــذه الآية وجاءت عندهم قاعدتهم ان الحمل على اللفظ افصح وأكثر . وقد استعملوا هذه القاعدة في كثير من الادوات اللغوية كما في الاسم الموصول (من) وفي كثير من اسماء الجمع مثل (ركب) و (وفد) ونحوهما .

وقال تعالى : هذا خصمان اختصموا في ربهم [٢٥] ، والمطابقة غير حاصلة في هذه الآية فقد اسند الفعل الى ضمير الجمع المذكور دون ان يسند الى ضمير الاثنين وهذا وجه من وجوه الكلام في الاسلوب القراني .

وقال تعالى : ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم [٢٦] ، والمطابقة حاصلة في هذه الآية بين المسند والمسند اليه . غير ان فيها مشكلة وهي مشكلة ان وعملها وسنعرض لها عرضاً خاصاً غير آبهين بأقوال النحويين في الموضوع .

وقال تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما [٢٧] ، والمطابقة حاصلة بين المسند والضمير في كلمة (ايدي) ، ولكن القول لنا في كلمة (ايدي) نفسها فهي جمع ولم تكن مثنى .

وقال تعالى : اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا [٢٨] ، والمطابقة تامة بين طرفي الآية .

---

٢٥ – الحج ١٩ .

٢٦ – طه ٦٣ .

٢٧ – المائدة ٣٨ ، انظر ابا عبيدة ، مجاز القرآن ، ص ٩ .

٢٨ – آل عمران ١٢٢ .

وقال تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما [29] ، والمطابقة غير حاصلة في هذه الآية . فقد اسند الفعل الى ضمير الجمع المذكر ، ولكن الضمير في الظرف هو ضمير المثنى .

وقال تعالى : فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين [30] ، وقد اسند الفعل (قال) في هــذه الآية الى ضمير المثنى اشارة لقوله (لها) و (للارض) ولكن الآية عادت فوضعت هذا المثنى بوصف الجمع المذكر العاقل في قوله (طائعين) .

وفي لغة القرآن كثير من الآيات الاخرى التي جاء فيها المثنى محافظاً عــلى المطابقة في الفعل والضمير . ولكن عدداً غير قليل من الامثلة لا تستقيم فيه هذه المطابقة التي أشرنا اليها كما عرضناها في الآيات السالفة الذكر .

ونستطيع ان نخلص من ذلك الى ان العربية القديمة حتى زمن القرآن وما بعد ذلك بقليل لم تكن تراعي المثنى من حيث ما يسمى في نظام تأليف الجمل (Syntaxe) . وعدم المراعاة ربما جاءت من ان المثنى داخل في حيز الجمــع وبذلك عومل في أمثلة كثيرة من القرآن الكريم كما ظهر من عرضنا للآيات . غير ان العربية الفصيحة قد حافظت على المثنى في الفترة التي تبعت الفــترة الاسلامية وحين تقدم النثر العربي ونشأ ما اصطلح عليه النقاد والمحدثون بالنثر الفني . ومن أجل ذلك قل ان نجد هذا التردد في الاساليب الكلامية في هــذه الفترة بين التثنية والجمع .

وقد رأينا ان علامة التثنية تتردد بين الالف والنون والياء والنون ، وقد

---

٢٩ - الحجرات ٩ .

٣٠ - فصلت ١١ .

يكون النون ميماً كما مر بنا ولم يخصص سائر اللغات السامية – ما عدا العربية – الالف والنون او الياء والنون بحالة اعرابية خاصة ، كما هو الحال في العربية . فكتب النحو تقيد المثنى بالالف والنون في حالة الرفع والياء والنون في حالتي النصب والجر . ونريد هنا ان نلقي ضوءاً على هذه الحقيقة اللغوية النحوية . ولا بد لنا ان نرجع الى آيات الله البيّنات ونقف قليلاً عند قوله « ان هذان لساحران » .

نجد في كتب اللغة « ان القراء يختلفون فهذا يرفع ما ينصبه ذاك وذلك يخفض ما يرفعه هذا »[٣١] . وقد حار الاوائل من المسلمين في تعليل هذه المسائل المشكلة ، فزعم بعضهم ان في القرآن لحناً ، فقد روى ابو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي المتوفى ١٩٣ للهجرة ، عن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام عن أبيه عن عائشة انهـــا قالت : « ثلاثة احرف في كتاب الله هن خطأ من الكاتب » . قوله : « ان هذان لساحران »[٣٢] ، وهذه قراءة ابن كثير وحفص، أما ابو عمرو بن العلاء فقد قرأ : « ان هذين لساحران » على الجهة الظاهرة المكشوفة وقد قرأ ابن مسعود : « ان هذان لساحران » بفتح همزة أن وهي بمعنى « نعم »[٣٣] . وقد قرأ أبي « ان هذان لساحران » باسكان نون « ان » .

وقد تكلم النحويون في مسألة اللحن هذه واعتلوا لكل حرف منها[٣٤] . فقد قال بعضهم ببناء « هذان » وقال غيره باعرابها[٣٥] ، وقد خلص غيره وعدها

---

٣١ – الطبري ، تفسير ١٧/١٢٠ .

٣٢ – ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص ٣٤ .

٣٣ – الزمخشري ، الكشاف ٣/٢٧ .

٣٤ – ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ٣٦ .

٣٥ – الرضى ، شرح الكافية ٢/١٧٣ .

لغة ونسبها الى بني الحارث بن كعب [٣٦] ، واستشهدوا الشعر فذكروا قول الشاعر : أحب منك الجيد والعينانا .

وذكروا ايضاً قول الشاعر :

واهاً لهند ثم واهاً واها　　يا ليت عيناها لنا وفاها
ان أباها وأبا أباها　　قد بلغا في المجد غايتاها

وليس القولان منسوبين .

غير ان اللسان قد أورد في هذه اللغة قول هوبر الحارثي :

تزود منا بين اذناه ضربة　　دعته الى هابي التراب عقيم [٣٧]

ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفاً فيقولون أخذت الدرهمان واشتريت ثوبان [٣٨] . وفي هذه اللغة ان ألف حرفي الجر « الى » و « على » تبقى على حالها اذا كان مدخولها ضمير غائب ومخاطب ، كما جاء في نوادر ابي زيد ، ان المفضل الضبي ذكر لبعض اهل اليمن قوله [٣٩] :

أي قلوص راكب تراها　　طاروا علاهن فطر علاها

ولم ينسب السيوطي هذه اللغة لبني الحارث بن كعب وحدهم ، فقد عزاها

---

٣٦ - المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

٣٧ - اللسان في ١٠/٦٤ ، في ١٩/١٦٣ ، في ٢٠/٢٢٩ .

٣٨ - ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ٣٦ ، ابن فارس ، الصاحبي ص ٢٠ .

٣٩ - ابو زيد ، النوادر ص ٥٨ ، ابن فارس ، الصاحبي ص ٢٠ .

لبني العنبر وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومزدادة وعذرة [٤٠] .

ويتبين من هنا ان التزام المثنى للألف والنون اسلوب في الكلام لا علاقة له بحال من احوال الاعراب . فهي تمثل لغة قسم كبير من العرب ، وهي بذلك مسألة من مسائل اللهجات الاقليمية ويؤيد هذا حال المثنى في لهجاتنا الحديثة الدارجة فكيف نفسر الياء والنون علامة في التثنية القديمة في النصوص العربية ؟ وهل هي حال خاصة بالنصب والجر ؟ هذا ما نشغل أنفسنا بالاجابة عنه .

اقول بأن الالف والنون علامة في التثنية في احوالها الثلاث كما دلت على ذلك لغة الجماعات التي أشارت اليها كتب النحو واللغة . ولعلي استطيع ان أقول ان الياء والنون علامة في التثنية لغة ايضاً تمثل قبائل معينة ، وجهات معينة . غير انه لم تنص المصادر على وجود شيء من هذه اللغة ، واقول ان المصادر لا تسعفنا كثيراً في التماس اللغات واللهجات وهو راجع الى أمور عدة منها :

١ – قلة المصادر التي بأيدينا لنتبين الصورة الواضحة للغة العربية في لهجاتها وتاريخ تطورها . وقد عرفنا ان شيئاً كثيراً من هذه الاسانيد قد ضاع وعفى عليه الزمان .

٢ – سوء تحري الرواة للهجات العربية مقيدة بالبيئة او الاقليم .

٣ – ارساء العربية على هيأة لغة الصدر الاول للاسلام ممثلة بالقرآن والحديث ، واهتمام المسلمين بهذه اللغة غيرة عليها وتعصباً لها ، وقد ذهب في هذه اللغة عناصر كثيرة من عادة اللهجات الاقليمية . ولعل جانباً مهماً من هـــذه الخلافات الاقليمية يبدو في كتب القراءات .

---

٤٠ – السيوطي ، همع الهوامع ١/٠٥ .

قلنا اذن ان الياء والنون لغة كالألف والنون في المثنى ، ونتبين صدق هذا مما عرضناه في صدر هذه المقالة عن المثنى في اللغات السامية الاخرى ، فالياء والنون او الميم علامة معروفة في جملة لغات منها أو قل لهجات سامية من هذه الاسرة الكبيرة اللغوية .

ولعل الياء في التثنية مسألة من مسائل الامالة ، والامالة من صفات اللهجات المحلية قديماً وحديثاً . ولم تكن الامالة عامة في مسألة من المسائل ، فابن فارس يقول في اختلاف لغات العرب والمراد باللغات اللهجات : ومن وجوه الاختلاف، الاختلاف في الامالة والتفخيم في مثل «قضى» و «رمى» فبعضهم يفخم وبعضهم يميل [٤١] ، والتفخيم ضد الامالة .

وليست العربية بدعـاً في مسائل الامالة فهي معروفة في أغلب اللغات السامية ، ففي العبرية مثلاً تمال الالف الى الواو او الياء .

وحقيقة الامالة ان ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء وسببها قصد المناسبة لكسرة او ياء او لكون الالف منقلبة عن مكسور او ياء او صائرة ياء مفتوحة [٤٢] ، وليست الامالة لغة جميع العرب ، فأهل الحجاز لا يميلون [٤٣] .

وقد تكون الامالة خاصة بالاصوات وبالعادات الكلامية التي يدرج عليها قوم من الاقوام ، ومن اجل هذا اهتم بها علماء التجويد . والقرّاء يختلفون ،

---

٤١ – ابن فارس ، الصاحبي ص ٢٠ .

٤٢ – الرضى ، شرح الشافية ٣/٤ .

٤٣ – المصدر السابق .

بعضهم من يميل وبعضهم من يهمل الامالة، ذلك ان اسباب الامالة ليست بموجبة لها ، بل هي المجوزة عند من هي في لغته [٤٤] .

وابن الجزري ينقل عن أئمته ما يفهم جواز الامالة [٤٥] . وينقل السيوطي كلام ابن الجزري بجواز الامالة [٤٦] .

ذكر الداني في التيسير في حديثه عن الاحرف التي أمالها القراء ، قال : « اعلم ان حمزة والكسائي كانا يميلان كل ما كان من الاسماء والافعال من ذوات الياء فالأسماء نحو قوله (عز وجل) موسى وعيسى ويحي والموتى وطوبى واحدى وكسالى واسرى ويتامى وفرادى والنصارى والأيامى والحوايا وبشرى وذكرى وبقيا وضيزى وشبهه مما ألفه للتأنيث وكذلك الهدى والعمى والضحى والزنى ومأواه ومأواكم .

والافعال نحو قوله تعالى : أبى وسعى وزكى فسوّى ويخفى وتهوى [٤٧] . على ان الباقين قد قرأوا باخلاص الفتح في جميع ما تقدم .

ونتبين من كتب القراءات ان اصحاب الامالة من القبائل هم تميم وقيس وعامة أهل نجد وهم لا يختلفون في ذلك ، كما ان اكثر اليمن يميلون ألف حتى لأن الامالة غالبة في ألسنتهم في اكثر الكلام [٤٨] .

---

٤٤ – المصدر السابق .

٤٥ – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ٢/٣٢ .

٤٦ – السيوطي ، الاتقان ص ١١٥ ، جمع الجوامع ٢/٢٠٠ .

٤٧ – الداني ، التيسير ، باب الامالة ص ٤٦ .

٤٨ – السيوطي ، همع الهوامع ٢/٢٠٤ .

وابن يعيش يقول: « عامة اهل نجد من تميم وقيس وأسد يسرون الى الكسر من ذوات الياء في نحو : شاء وخاف وجاء وكاد ... »[49] .

ويقول سيبويه : « ان ممن يميل قوماً من قيس وأسد ممن نرتضي عربيته[50] ، أما أهل الحجاز فلا يميلون والفتح على ذلك لغتهم »[51] .

ولنرجع الى المثنى بالياء فنقول ان الياء فيه ، ربما كانت من امالة الالف ، وان قالوا بامتناع امالة ألف التثنية ، ذلك انهم أمالوا ألف « كلا » و « كلتا » وحصول التثنية في هاتين الكلمتين واضح جلي . كما يرى الكوفيون ، ومن اجل ذلك قرأ حمزة والكسائي (كلتا الجنتين آتت اكلها) بإمالة الالف .

ومن هنا نستطيع ان نقرر ان المثنى بالياء لغة جماعة من الناس ، او قل جهات اقليمية من جهات اقليمية من جهات العربية . ثم لما أن درجت العربية في طريقها التطوري وآن لها ان تنسجم في لغة هي لغة القرآن والحديث اختص الاستعمال المثنى بالألف لحال الرفع ، والمثنى بالياء لحال النصب والجر .

والمثنى بالياء فيه شيء ينبغي ان نقف عنده وننبه عليه وهو ان الياء في المثنى في الفصيح من العربية قد اكتسبت حركة خاصة وصفة خاصة تبعدها عن ياء الامالة . وهـــذا الشيء الخاص ما يسمى في علم الاصوات الحديث بـ (Diphtongue) وهو كأن نقول رجلين Rajulayn بدلاً من رجلين Rajulain بالامالة . ونجد صدق هذه الدعوى فيما بقي من استعمال المثنى في

---

٤٩ – ابن يعيش ، شرح المفصل ٩/٥٤ .

٥٠ – سيبويه ، الكتاب ٢/٢٦٢ .

٥١ – ابو شامه ، ابراز المعاني ص ١٥٢ .

لهجاتنا العربية الحديثة . فقد التزم الياء دون تفريق بين الرفع والنصب والجر والياء بهـذا لغة عند الناطقين بالعربية في يومنا هذا . ولو نظرنا الى هذه الياء لوجدناها ياء الامالة في جهات كثيرة من الوطن العربي كما في العراق وفي سوريا وفي مصر وفي جهات اخرى . على ان هذه الياء ترد في المثنى بهيأة ما اسميناه بـ Diphtongue في جهات اخرى ، كما في نواحٍ معروفة من لبنان وفي جهات المغرب كمدينة فاس مثلاً . وقد اعتبر اللغويون الامالة من نطق العوام واسلوبهم في الكلام . فقد ذكر ابن الخطيب في الاحاطة في حديثه عن اهل غرناطة في الاندلس : « وألسنتهم فصيحة عربيـة يتخللها اعراب كثير وتغلب عليهم الامالة [٥٢] . فأهل غرناطة يقلبون ألفات المد الى إمالة دقيقة تكاد تكون ياء مثل قولهم « بيب » للباب و « ميل » للمال [٥٣] ، ومن ذلك قولهم « ميدة » للمائدة [٥٤] . ومن ذلك قولهم « عيشة » في اسم المرأة والصواب « عائشة » [٥٥] .

على ان الدراسة الحديثة للغة تستفيد من اللهجات دون النظر ، نظر القدامى بعزوها لطبقة العوام من الناس .

وقد اهتمت العربية بالمثنى فشاع فيها الخطاب للمفرد بصيغة المثنى كما في الشعر كقولهم « خليلي » و « قفا » و « ودعا » . ومن اهتمام العربية بالمثنى اننا نجد عدداً من المصادر ترد مثناة مثل « سعديك » و « حنانيك » و « لبيك » و « حواليك » و « دواليك » .

وقد وردت مثنيات في العربية ، وهو ما نسميه بالمثنى التغليبي ، وهـو

---

٥٢ – ابن الخطيب ، الاحاطة ١/٣٥ .

٥٣ – تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، الجمانة في ازالة الرطانة ص ٢١ .

٥٤ – المصدر السابق ص ٣٣ .

٥٥ – الخفاجي ، شفاء الغليل ص ١٣٤ .

تغليب احد المتجاورين والمتشابهين على الآخر ، فيجعل الآخر مسمى باسمه ثم يثني ذلك الاسم قصداً اليهما جميعاً . والتغليب يكون تارة للشرف وأحياناً للشهرة وطوراً للخفة مثل « العمران » لابي بكر وعمر « والقمران » للشمس والقمر[٥٦] .

ونستطيع ان نتبين طائفة كبيرة من هذه المثنيات والتي لا نلمس فيها تغليب طرف على آخر بل التثنية حاصلة عن صفة مشتركة بقدر معين في الطرفين ، كما فيما يلي :

١ — الابردان : الغداة والعشي والظل والفيء .

٢ — الابيضان : اللبن والماء او الشحم واللبن .

٣ — الاحمران : الخمر واللحم .

٤ — اما الليل والنهار فقد اختصا بمثنيات كثيرة منها الجديدان والملوان والدائبان والطريدان والعصران والاحدثان والاحرمان .

٥ — الاخشبان : جبلا مكة الملصقان بها .

٦ — الفرقدان : نجمان منيران في بنات نعش .

٧ — النجدان : الضلالة والهدى .

٨ — الثقلان : القرآن وعترة الرسول (وفي الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) .

ومن المثنيات ما كان كالأداة او الآلة المؤلفة من طرفين كالجلمين والمقصين

---

٥٦ — لتعلقهم بالقمر وحاجتهم اليه على عكس الحال من الشمس التي لا تستقر اليها نفوسهم فهي جالبة للحر الذي من مرادفاته الموت . الرضى ، شرح الكافية ٢/١٧٢ .

والمذروين والكلبتين ولكن الاستعمال لم يرعَ صورة المثنى في هذه فجاء الجـــلم والمقص . وفي العبرية شيء من هذا فالأدوات المؤلفة من شقين وردت بهيأة المثنى عندهم مثل « رحايم » للرحى و « مئوزنايم » للميزان ... الخ .

والنون في التثنية وكذلك الميم ساكنة في سائر اللغات السامية عدا العربية . فالنون فيها مكسورة وربما كان الكسر تمييزاً للمثنى عن جموع التكسير التي تنتهي بألف ونون مثل « الفتيان » على وزن « فعلان » بكسر الفاء و « ذكران » على وزن « فعلان » بضم الفاء .

على اننا لا نعدم ان نجد في شواهد اللغة مثنيات بنون مفتوحة وربما كان ذلك لهجة من اللهجات المحلية ، كما ورد في قول الشاعر :

« أحب منك الأنف والعينانا »

واذا قلنا أن فتح النون لهجة من اللهجات ، وجدنا دليلاً على هذا القول في القراءات الشاذة التي تؤلف مادة للغات الضيقة المحلية ، فقد قرىء في الشواذ « أتعدانني » بضم نون المثنى .

الجمع في العربية

« بحث ومقارنة »

الجموع في العربية من المسائل الصعبة ، والاكتفاء في شرح وبسط هذه المسألة بمـــا جاء في كتب النحو واللغة ، غير محقق للغرض العلمي الذي تصبو اليه الدراسات اللغوية الحديثة ، ذلك ان وضع علوم اللغة العربية وتدوينها وصيرورتها على هذه الصورة من النضج ، لم يتيسر الا في عصور متأخرة ، بالقياس الى تاريخ اللغة الطويل . فالذي جـــاء في الاخبار ان وضع النحو يرجع الى أبي الأسود الدؤلي [1] (المتوفى سنة ٦٩/٦٨٩) ، ولا نريد ان نناقش صحة هذا الخبر . وتفشي اللحن في هذه الفترة يشير الى ان اللغة قطعت مراحل طويلة ، بحيث لم تسلم للعربي سليقته التي كانت تعصم لسانه من الزلل ، ولعل اللحن والعجمة قد دبا في العربية قبل هذا العصر ، فهذا صهيب بن سنان وهو من صحابة رسول الله (ص) كان ينطق العربية بلكنة بيزنطية ، وذلك لان البيزنطيين قد اختطفوه وهو صبي فتأثر بذلك لسانه [2] ، وما قيل عن صهيب ، قيل عن سحيم عبد بني الحسحاس الشاعر أنه كان يرتضخ لكنة أجنبية [3] ، ربما كانت حبشية نوبية .

---

١ - الجمحي ، طبقات ٥ . ياقوت ، ارشاد ٤/٢٨٠ . ابن الانباري ، نزهة ٣ - ١٣ .

٢ - ابن حجر ، الاصابة ٢/١٩٥ . وقد جاء في البيان والتبيين ١/٣٢ : ان صهيباً كان يقول : انك لهائن ، يريد انك لحائن .

٣ - الجاحظ ، البيان ١/٣٢ .

وقد طبع (كتاب الله) العربية بطابع مبـــين ، وقضى بذلك على آثار اللهجات الاقليمية ، ففي القرآن ، لاول مرة في تاريخ اللغة العربية ينكشف الستار عن عالم فكري تحت شعار التوحيد ، ولا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية الا نموذجاً ضعيفاً له ، من حيث المواد اللغوية ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة [٤] .

اذن فعهدنا باللهجات قديم جداً ، ولم نستطع تحديده على وجه الضبط ، غير ان كتب اللغة تشير الى أجزاء من هذه اللهجات لا تؤلف الا امارات يسيرة لها ، وهي أمور لا تتعدى العناصر الصوتية ، ولا تتجاوز مسائل الابدال ، على ان هذه لا ترسم صورة واضحة المعالم للغة الاقليمية . ولم يعدها علماء العربية شيئاً جيـــداً ، فالسيوطي يحشرها في باب « الرديء المذموم من اللغات » [٥] ، كالكشكشة والكسكسة والتلتلة والعنعنة والفحفحة والعجعجة وغيرها . وهم لا يتفقون في نسبة كل من هذه الى اصحابها الذين جرت ألسنتهم بها ، فالعنعنة لغة قيس وتميم عند السيوطي ، وهي تعرض في لغة قضاعة عند الثعالبي [٦] ، وفي « اللسان » غير هذا [٧] .

وربما علقوا اللهجة على كلمة واحدة لا تتعداها الى غيرها ، ومن ذلك الاستنطاء في لغة سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والانصار تجعل العين الساكنة نوناً اذا جاورت الطاء ، كأنطى في اعطى . والذي يقلب النظر

٤ ـ يوهان فك ، العربية « (ترجمة النجار) .

٥ ـ السيوطي ، المزهر ٢٢١/١ .

٦ ـ الثعالبي ، فقه اللغة (المقدمة) .

٧ ـ في اللسان ، قال الفراء : تميم وقيس واسد ومن جاورهم يجعلون ألف « أن » اذا كانت مفتوحة عيناً .

في هذه الكلمة يجد انها مسألة ابدال ليس غير ، وما زالت الكلمة مستعملة في أيامنا هذه [٨] .

ونريد ان نخلص من هـــذه المقدمة الى ان موضوع اختلاف اللهجات في الاقاليم والقبائل العربية غير متيسر للباحث ، غير اننا نستطيع ان نلمح مواد لغوية قديمة جداً احتفظت بها العربية ، وهي تدل على اختلاف اللهجات المحلية ، ومن هذه المواد مادة الجمع ، ولا سيما ما اصطلح عليه علماء اللغة بجموع التكسير ، ويعني هذا اننا نجمع كلمة واحدة على عدة صيغ من صيغ الجمع .

فالشيخ يجمع على « شيخة » ، ويجمع على « شيوخ » ، ويجمع على « اشياخ » . والمتتبع للاصول العربية يجد شيئاً غريباً في هذا الباب فالحب (بكسر الحاء) وتعني المحبوب تجمع على « احباب » ، « حبان » (بكسر الحاء وتشديد الباء) ، و « حبوب » ، و « حِببة » (بكسر الحاء) و « حب » (بضم الحاء) [٩] ، وربما دل هذا على ان صيغة من هذه الصيغ قد استعملت في جهة من الجهات عند قوم من الاقوام ، في حين ان جهة اخرى قد ألفت استعمال صيغة اخرى من هـــذه الصيغ . وكثرة صيغ جموع التكسير في العربية تسترعي التأمل والنظر ، بحيث لا نستطيع ان نفسر ذلك بغير القول بتعدد اللهجات .

وقد اختصت اللغة العربية بجموع التكسير ، وخلت من ذلك اللغات السامية الاخرى [١٠] ، غـــير ان في الحبشية شيئاً من صيغ هذه الجموع [١١] ، وقرابة

---

٨ – لعل « أنطى » من « اتى » بتشديد التاء وفك الادغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية يستدعي تعويض احد الحرفين المتجانسين بالنون كثيراً وربما كان بحرف آخر كالياء او الراء ، فيحصل من ذلك « انتى » ثم يبدل بالتاء طاء فتصير « أنطى » .

٩ – اللسان ، مادة حبب وكذا في التاج .

١٠ – Renan : Histoire des Langues semitiques 3 ed., p. 342.

١١ – Dillmann : Grammatik der œthiopischen sprache, p. 237.

الحبشية من العربية واضحة جلية بحيث يميل بعض الباحثين الى اعتبار الحبشية فرعاً من العربية [١٢] .

وفي هـــذه الكثرة من صيغ جموع التكسير ، ضاع علماء اللغة والنحو الاقدمون ، فقـــد ذكروا ان جمع التكسير ما تغير بناء واحده كرجال وأفراس [١٣] ، ولكنهم جعلوا « ركب » و « وفد » من اسماء الجموع ولو انهما من راكب ووافد ، وما كان مفرده بالتاء التي تشير الى الواحدة عدوه من اسماء الجنس [١٤] . وقد ذهب ابن يعيش الى ان صيغ جموع التكسير أبنية جمع على حسب واحده ، فاذا كان الواحد خفيفاً ، قليل الحروف ، قلّت حروف جمعه وحركاته لتكسيره ، واذا ثقل الواحد ، وكثرت حروفه ، كثر ما يلحق جمعه ، لما ذكرناه من ان الجمع بزيادة على الواحد [١٥]

وقد نظر جماعة من اللغويين الى ان في الجمع فكرة مؤداها : الزيادة في المعنى تعتمد على الزيادة في البناء [١٦] .

وقد حار المحدثون الاوروبيون في صيغ جموع التكسير وطريقة بنائها ، فذهب جماعة منهم الى ان المقطع الذي يدخل حشواً في المفرد ، هو الذي يولد صورة الجمع [١٧] ، ومنهم من اعتبر هذه الصيغ اسماء مفردة تضمنت معنى

---

١٢ - S. Guyard : Nouvel essai sur la Formation du pluriel brisé Arabe, Paris 1870, p. 4.

١٣ - الرضى ، شرح الكافية ٢/١٩٠ .

١٤ - سيبويه ، الكتاب ٢/٢٠٣ .

١٥ - ابن يعيش ، شرح المفصل ٥/١٥ .

١٦ - البيضاوي ، تفسير (الطبعة الاوروبية) .

١٧ - Dillmann, Grammatik der oethiopischen sprache p. 237.

الجمع[١٨] ، ومنهم من رأى ان الجمع في اللغات السامية عامة ، كلمة مجردة (abstrait) لجنس (neutre) [١٩] .

ونستطيع ان نقول ان جموع التكسير سبقت الجموع الصحيحة في اللغـــة العربية ، ذلك ان البحث المقارن في اللغات السامية الاخرى يدلنا على هذا ، فقد احتفظت العبرية بعدة كلمات جمعاً يشبه ما ندعوه بصيغة منتهى الجموع وهي « حنامل » (hauamil) وتعنى النمل ، وهي في العربية « حنامل » ايضاً ، وكذلك « عراقل » و « حلاميش » [٢٠] ، ولعل كلمة « أبيب » (abib) العبرية، وتعني « الحصيد » في العربية تعتبر مادة للدلالة على وجود صيغ جموع التكسير في العبرية ، ولكن هذه الصيغ كانت في اللهجات الدارجة العبرية قبل ان تصبح العبرية لغة أدبية تنتظم اللهجات العديدة .

ونستطيع ان نقول ان جموع التكسير في العربية تعين مرحلة بدائية في تاريخ اللغة ، بدلالة الجنس ، ذلك انها تتأرجح بين التذكير والتأنيث ، ولغة القرآن على كمالها وبيانها ، أبقت هذه الناحية فالانعام وهي من دون شك جمع تكسير جاءت في الآية الكريمة : « وأن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه » [٢١] .

---

١٨ - Wright, Arabic Grammar, London 1862.

١٩ - E. Meyer, Die Bildung und Bedeutung des pluriel in den semitischen und indogermanschen sprachen, p. 16.

٢٠ - Gesenius, Hebrew and English Lexicon.

وتقابل (الحلاميش) الحلاميس في العربية وهي الإبل تظمأ اربعة ايام ثم تعود فتشرب في اليوم الخامس ، ومعلوم ان لفظ « خمس » اصل في الكلمة .

٢١ - سورة النحل ٦٦ ، جاء في المجاز لابي عبيدة ٣٦٢/١ يذكر ويؤنث ، وقال آخر المعنى يدل على النعم لان النعم يذكر ويؤنث كما في قول الراجز :

أكل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه
اربابه نوكى ولا يحمونه

والزجر لقيس بن الحصين الحارثي كما في الخزانة ١٩٦/١ . والعيني ٥٢٩/١ ، والكتاب ٥٣/١ .

وكذلك جاء في قوله تعالى: «أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء»[22]. وكذلك قوله تعالى: «وينشيء السحاب الثقال»[23]. وقوله: «والسحاب المسخر بين السماء والارض»[24]. فقد وصف السحاب في الآية الاولى بـ «الثقال» وهي جمع تكسير، في حين انه وصف بـ «المسخر» في الآية الثانية، على اننا نجد السحاب في آية ثالثة موصوفاً بالجمع، ثم عاد عليه ضمير غائب مذكر مفرد، كما في قوله تعالى: «حتى اذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء»[25]. وكذلك قوله تعالى: «فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون»[26]، وقوله تعالى: «والفلك تجري في البحر بأمره»[27]، وقوله تعالى: «حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة»[28]، وقوله تعالى: «وترى الفلك مواخر فيه»[29]، فقد وصفت الفلك بوصف مذكر وهو «المشحون»، ثم أنث الفعل في الآية الثانية، وفي الآية الثالثة جاء المسند فعلاً مسنداً لنون الاناث، ونون الاناث الصق بالعاقل من غير العاقل، وهذا تحقيق أكيد للتأنيث. على ان اللغويين حين يعرضون لهذه الكلمة يقولون: انها تقع على الواحد وعلى الجمع[30]، وقال تعالى: «وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي في الجبال بيوتاً»[31]، والفعل مسند الى ياء المخاطبة.

---

٢٢ – سورة النور ٣١ .

٢٣ – سورة الرعد ١٢ .

٢٤ – سورة البقرة ١٦٤ .

٢٥ – سورة الاعراف ٥٧ .

٢٦ – سورة الشعراء ١١٩ .

٢٧ – سورة الحج ٦٥ .

٢٨ – سورة يونس ٢٢ .

٢٩ – سورة النحل ١٤ .

٣٠ – ابو عبيدة، مجاز القرآن ١/٦٢، ٢٨٨ .

٣١ – سورة النحل ٦٨ .

وقال تعالى : « كأنهم أعجاز نخل منقعر »[٣٢] ، وقال تعالى : « والنخل باسقات لها طلع نضيد »[٣٣] ، فالنخل في الآية الاولى وصف بمذكر ، وفي الآية الثانية وصف بجمع مؤنث ثم عاد عليه ضمير غائب مؤنث . ولكن النحويين الاقدمين حملوا الجمع على التأنيث[٣٤] . وعندهم ان زيادة علامة التأنيث في آخر الجمع ، كالتاء والألف المقصورة والألف الممدودة ، انما زيدت لتحقيق التأنيث[٣٥] . وعند المبرّد ان كل جمع مؤنث ، ولكن المبرّد وكثيراً من الاقدمين لم يستوفوا كلام العرب استقراء ، ولم يعتمدوا كثيراً على لغة القرآن التي لا يكفي الاعتماد على سواها[٣٦] ولا أدري كيف يتأولون قوله تعالى : « ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهم »[٣٧] .

ويتبين من عرضنا لهذه النصوص القرآنية ان جموع التكسير في عصر النبوة ، ما زالت تحتفظ بالطابع المحلي ، وانها صيغ تخص لهجات مختلفة لم تصل حـــد القواعد المقررة التي تتبع نظاماً مضبوطاً ، من حيث علاقتها بالوصف والفعل والضمائر ، وما نسميه الآن (syntax system) . ولعل صيغ جموع التكسير يمكن ان ترد الى صيغ محدودة ، وذلك ان بعضاً منها يحصل من صيغة اخرى باستخدام المد مثلاً ، فكلمة « تارة » تجمع على « تير » ، ولكنها تصبح « تياراً » باستطالة الفتحة[٣٨] . وهذا دليل آخر على ان صيغ جموع التكسير وصيرورتها

٣٢ – سورة القمر ٢٠ .

٣٣ – سورة ق ٢٠ .

٣٤ – الزمخشري ، المفصل ٣٨ (الطبعة الاوروبية) .

٣٥ – المبرد ، الكامل ٤ (الطبعة الاوروبية) .

٣٦ – سورة يوسف ٣٠ .

٣٧ – سورة يوسف ٥٠ .

٣٨ – سورة يوسف ٥٠ .

على هذه الكثرة ، ناتج عن اللهجات الاقليمية ، اذ من المعلوم ان بعض الاقاليم تطيل في الحركات حتى تصبح مداً طويلاً . ومن هذه ايضاً « أسد » جمع بضم الهمزة واسكان السين او ضمها ، فاذا اشبع الضم على السين صار مداً ، وصارت الكلمة « أسود » . ومثل هذا « أحبة » و « أحباء » . وتستعين العربية على الثناء مثل « سنة » و « أمــــة » و « أخ » بتذييلها بحرف ثالث عند الجمع ، فنقول « سنوات » او « سنهات » ، ونقول « إموان »[39] ومثلها « اخوان » ومثلهـــا « عضوات » جمع لعضة[40] .

وصيغ الجموع لا تعتمد على مفردات معروفة ذات وزن معين لا تتعداه الى غيره ، فكلمة « رجال » تصح ان تكون جمع « رجل » ، وهو كثير ، كما انها جمع « راجل » كما في قوله تعالى : « وان خفتم فرجالاً او ركباناً »[41] ، وصيغة « فعال » (بكسر الفاء) من صيغ جموع التكسير ، يكون من مفرداتهـــا « فعيل » مثل « كبير » ، و « فعيلة » مثل « كبيرة » ، و « فعل » (بفتح الفاء وإسكان العين) مثل « سهام » جمع « سهم » ، و « فعل » (بفتح الفاء والعين) ، مثل « جبل » و « جبال » . وأرى ان « رجال » جمع « راجل » ربما جاء في القرينة (contexte) وهو انه اتبع بـ « ركبان » ، وركبان جمع « راكب » اسم الفاعل من « ركب » فكذلك حمل عليه « رجال » .

وفي قراءات القرآن مادة غزيرة لغوية ، ففي قوله تعالى : « حتى يلج الجمل في سم الخياط »[42] ، جاءت قراءة ابن عباس « حتى يلج الجمل » (بضم الجيم

---

٣٩ – المبرد ، الكامل (الطبعة الاوروبية) ٣٤ .

٤٠ – سيبويه ، الكتاب ١٨ (الطبعة الاوروبية)

٤١ – سورة البقرة ٢٣٩ .

٤٢ – سورة الاعراف ٤٠ .

وفتح الميم وتشديدها) ومعلوم ان « فعل » (بضم الفاء وفتح العين وتشديدها) صيغة من صيغ جموع التكسير ، وان مفرد هذه الصيغة هو « فاعل » مثل « ركع » في « راكع » و « سجد » في « ساجد » على ان مفرد « الجمل » الجمل (بضم الجيم وإسكان الميم) وهو الحبل[٤٣] ، ومجيء صيغة هذا الجمع لهذا المفرد غريب ، ولا سيما عن ابن عباس[٤٤] ، وهو في عصر النبوة وعصر القرآن ، وفي هذا اشارة الى ان هذه الصيغ لم تكن مقررة ، مبنية على قواعد ثابتة ، فهي سماعية تخضع لمألوف المتكلم في الاستعمال المحلي . وقد قرأ ابن مسعود « الجمل » (بضم الجيم وفتح الميم)[٤٥] ، وقد ذكر السيوطي ان في الجمل ست صيغ للجمع وهي « أجمل » و « جامل » و « جمال » و « جمالة » و « جمالات »[٤٦] .

وفي العربية مخلفات لمواد لغوية قديمة ، فقد ذكروا انه ليس في العربية جمع على « فعلى » (بكسر الفاء) الا « الظربى » جمع « ظربان » و « الحجلى » جمع « الحجل » بفتحتين[٤٧] . وقد اختلفوا في بعض الصيغ ، فذهب سيبويه الى ان « الكليب » و « المعيز » جمع ، وذهب غيره الى أنها اسم جمع[٤٨] .

وقد تبين لنا ان الجمع لم يتبع نسقاً معيناً ، وانما هو استعمال الناس وما درجت عليه ألسنتهم ، فقد جاء قوله تعالى : « أو كانوا غزى »[٤٩] (بتشديد

٤٣ - حدث في انجيل متى ١٩/٢٤ ، تصحيح مثل هذا بين دلالة الجمل على الحبل دون الحيوان المعروف ، انظر : Bar Bahlul Lexicon 500 .

٤٤ - الزمخشري ، الكشاف ٢/١٠٣ ، اللسان مادة (جمل) .

٤٥ - اللسان .

٤٦ - H. Derenbourg, Essai sur les pluriels arabes, p. 62.

٤٧ - السيوطي ، المزهر ٢/١٠٣ .

٤٨ - الرضى ، شرح الشافية ٢/٩٢ .

٤٩ - سورة آل عمران ١٥٦ .

الزاي) ومفردها غاز ، ومعلوم ان وزن « فعل » (بضم الفاء وتشديد العين وفتحها) مفرده « فاعل » كما بيّنا .

ولكن اللغويين تأولوا ذلك بالتخريج والحمل [50] . وقد قرأ الحسن وغيره « غزى » بالتخفيف [51] ، ويجمع « غاز » على « غزى » (بكسر الغين وتشديد الياء) على صيغة « فعول » (بكسر الفاء) وهذه الصيغة لم تكن من صيغ الجمع ذلك ان « فعول » (بضم العين) كما في « شهور » هي الصيغة الجارية . ولكن جمع اسم الفاعـــل من الفعل الناقص على هذه الصيغة يستدعي تغيير الضمة بالكسرة ، وذلك لان جمع « غاز » يكون « غزوو » كما ان « جاث » يجمع على « جثور » ، ثم قلبت الواو الاخيرة ياء ، فصار لدينا « غزوى » و « جثوى » ، ثم قلبت الواو ياء لاجتماعها مع الياء كما هو مطرد في العربية ، فصارتا « جثي » و « غزي » بضمتين ، فقلبت الضمة الثانية كسرة لمناسبة الياء ثم تعدت الكسرة الى الحرف الاول للمجانسة فصارتا « غزي » و « جثي » بكسرتين وقد قرئت « جثي » بالكسرة كما في « اللسان مادة جثا » ، على انه لم تكسر الباء في «بكى» (بضم الباء مجانسة لكسرة الكاف) .

ولا بد ان نتعقب شيئاً من صيغ جموع التكسير في العربية ، لنرى كيف تصلح هذه الصيغ ان تدل على اختلاف اللهجات بالاستفادة من مد او حركة او امالة ، كما يبدو في الامثلة الآتية :

فقد جاء في قوله تعالى : « ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » [52] ، وسكارى (بضم السين) قرئت : « سكارى » (بفتح السين) و « سكرى » على ان يكون

---

٥٠ - ابو عبيدة ، المجاز ١٠٦/١ .

٥١ - ابن حجر ، فتح الباري ١٥٥/٨ .

٥٢ - سورة النساء ٣٤ .

جمعاً[٥٣]، ومن المعلوم ان الذي قرأ (بضم السين) لا يقبل الفتح، ذلك ان الضم ما ألف استعماله في بيئته . على ان الذي قرأ « سكرى » للدلالة على الجمع يجمع المفرد « سكران » على « سكرى » مثل « أسرى » و « هلكى » و « جوعى » .

ومثل « سكارى » « كسالى » فقد وردت في قوله تعالى : « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى »[٥٤]، وقرئت بضم الكاف وفتحها[٥٥]، وهي جمع « كسلان » وقد جمع هذا على « كسلى » مثل « سكرى » في « سكران »[٥٦]، وقد قيل ان مفردها « كسل » بفتح فسكون ايضاً .

وعلى هذا الوزن جاء « حوايا » جمعاً في « حوية » و « خطايا » في « خطيئة » و « أيامى » جمعاً في « أيم » كما في قوله تعالى : « الا ما حملت ظهورهما او الحوايا »[٥٧]، وقوله : « إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا »[٥٨]، وقوله تعالى : « وانكحوا الايامى منكم »[٥٩] .

ومن هذه الصيغة « الاسارى » جمع في « الاسير » كما في قوله تعالى : « وان يأتوكم أسارى تفادوهم »[٦٠]، وقرئت « أسارى » بفتح الهمزة و « أسرى » كما

---

٥٣ – الزمخشري ، الكشاف ١/٥١٣ .

٥٤ – سورة النساء ١٤٣ .

٥٥ – الزمخشري ، الكشاف ١/٥٧٩ .

٥٦ – اللسان ، مادة (كسل) . وابو عبيدة ، المجاز ١/٢٦٢ .

٥٧ – سورة الانعام ١٤٦ .

٥٨ – سورة طه ٧٣ .

٥٩ – سورة النور ٣٢ .

٦٠ – سورة البقرة ٨٥ .

في « سكرى » [٦١] ، وقد وردت أسرى في مكان آخر من قوله تعالى : « مــــا كان لنبيّ ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض » [٦٢] .

ومن هـــذه الصيغة « النصارى » جمع في « نصري » و « نصران » مثل « ندمان » و « ندامى » [٦٣] ، ولعل « نصراني » مفرد مصنوع على طريقة النسبة . ومثل هذه الصيغة « فرادى » [٦٤] ، وقد قرئت « فرادى » بفتح الفاء و « فردى » جمعاً « لفرد » و « فردان » وقد رأينا ان هذه الصيغة من صيغ الجمع تكون لعدة صيغ من المفرد ، كما انها تشترك مع صيغة اخرى هي « فعلى » وهذه الصيغة تقوم على مفرد من وزن فعيل في الغالب الكثير مثل « قتيل » و « قتلى » و « جريح » و « جرحى » ، وربما اشتركت هذه الصيغة ، وهي صيغة جمع ، مع صيغة المفرد المؤنث وهي « فعلى » لمذكر هو « فعلان » مثل « سكران » و « سكرى » . ولا نخلص بعد هذه الصيغ المعقدة المتشابكة الا الى القول بدلالة هذه الاجزاء اللغوية على اللهجات المحلية . وتعمل اللهجات عملها اكثر من ذلك ، وفي هذه الصيغة تدخل الامالة فتصبح « كسالى » بامالة الالف نحو الياء عند من يقول بالامالة ، وقد تمال هذه اكثر فأكثر نحو اليــــاء حتى تغدو ياء فيقال « كسالي » بالياء ، ولعل « صحارى » بالالف و «صحاري» بالياء من هذا الباب ، وذلك باستخدام الامالة بين الاثنين .

وقد تأتي صيغة الجمع لاكثر من صيغة في المفرد مثل (أكنة) في قوله تعالى:

---

٦١ — الزمخشري ، الكشاف ١/١٦٠ ، اللسان (اسر) .

٦٢ — سورة الانفال ٦٧ .

٦٣ — اللسان ، مادة (نصر) .

٦٤ — سورة الانعام ٩٤ ، ابو عبيدة المجاز ١/٢٠٠ .

« أكنة أن يفقهوه » [65] فردها « كنان » [66] و (كن)[67] ، وقد جمع (الند) على (أنداد) وهو جمع (نديد) [68] ايضاً و (الخدن) و (الخدين) عـــلى (اخدان) [69] ، وقد جمع (الراجل) على (رجل) باسكان الجيم (كصحب) و (تجر) في صاحب وتاجر [70] .

اما صيغة (فعالل) و (فعاليل) و (أفاعل) و (مفاعل) و (مفاعيل) فهي صيغ متشابهة استعمل فيها المد الحاصل من إشباع الكسرة حتى صارت لكل صيغة ، صيغة مثلها بطريقة المد ، ومثل هذا (المفاتح) و (المفاتيح) و (الدراهم) و (الدراهيم) ، ومثل هذا ايضاً (المطافل) و (المطافيل) جمع في المطفل وهي امرأة ذات طفل ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي :

وان حديثـــاً منك لو تبذلينه حتى النحل في ألبان عوذٍ مطافل [71]

و (المشاكل) جمع على مفرد هو (المشكل) وليس من ضير في أن يكون على مفرد هو (المشكلة) وأبى اللغويون المحدثون في قبول (المشاكل) جمعاً في (المشكلة) ، وفاتهم ان تحمل عـــلى (المصيبة) التي يقال في جمعها

---

٦٥ — سورة الانعام ٢٥ .

٦٦ — ابو عبيدة ، المجاز ١/١٨٨ .

٦٧ — اللسان ، مادة (كن) .

٦٨ — اللسان ، مادة (ند) .

٦٩ — اللسان ، مادة (خدن) .

٧٠ — ابو عبيدة ، المجاز ١/٣٨٤ ، اللسان مادة (رجل) .

٧١ — الرضى ، شرح الشافية ٤/١٤٥ ، ومن هذا الباب قول الفرزدق :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهم تنقاد الصياريف

(مصائب) وأصلها (مصاوب) ومثله (المراضع) جمعاً في المرضعة كما يذهب الزمخشري في قوله تعالى : « وحرمنا عليه المراضع من قبل »[٧٢] . ويتبين من هنا ان من كان يميل الى اشباع الكسر ، تولدت عنده صيغة للجمع تختلف عن الاخرى .

ومن هذا الجمع ما اضطربت الاقوال في مفرده فالاساطير جمع في الاسطورة كما جاء في (اللسان)[٧٣] ، وهي ايضاً جمع في (الاسطارة)[٧٤] ، ومعناهـــا الترهات .

وقال الطبري في (الاساطير) من قوله تعالى : « أساطير الاولين »[٧٥] : الاسطارة لغة الخرافات والترهات، وكان الاخفش يقول: قال بعضهم : واحدته اسطورة ، وقال بعضهم أسطارة ، قال ولا أراه الا من الجميع الذي ليس له واحد[٧٦] . وقال أبو عبيدة : جمع (سطر) على (اسطر) ثم جمع (اسطر) على (اساطير)[٧٧] . وهذا باب جمع الجمع كالرجالات، والجمالات ، والاقاويل، والبيوتات ، فقد جاء في (الاشتقاق) لابن دريد : « بيوتات العرب الثلاثة »[٧٨] .

وقد جاء في كتب اللغة ان عندهم جموعاً لا واحد لها ، مثل (العبابيد)

---

٧٢ — الزمخشري ، الكشاف ٣/٣٩٦ .

٧٣ — اللسان ، مادة (سطر) .

٧٤ — المصدر نفسه .

٧٥ — سورة الانعام ٢٥ .

٧٦ — الطبري ، تفسير ٧/١٠١ .

٧٧ — اللسان ، مادة (سطر) .

٧٨ — ابن دريد ، الاشتقاق (الطبعة الاوروبية) ٢٣٨ .

و (المذاكير) و (الاباييل) [٧٩] ، وصاحب اللسان يذكر للجمع الاخير ثلاثة مفردات هي (ابيل) بتشديد الباء ، و (ابول) بتشديد البـــاء وفتحها ، و (ابالة) بتشديد الباء ايضاً . والزمخشري يدخل هذا في باب (جمع ليس على زنته واحد) [٨٠] ، ومنهم من اعتبر شيئاً من هذا الباب داخلاً في طائفة المفرد ، ومن هذا (سراويل) فقد عدها جماعة مفرداً [٨١] ، وفات القدامى في كثير من الاحيان رد الالفاظ الى اصولها ، و (السراويل) معرب فارسي ، اصله (شلوار) في الفارسية [٨٢] ، ولعل العربية عمدت الى الابدال فقيل (سرابيل) ابعـــاداً للكلمة عن أصلها الفارسي ، وقد جاءت في قوله تعالى : « وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر » [٨٣] .

وكأن الكلمة حين أبدل فيها الياء بالواو أستبعدت عن أصلها الفارسي ، وأصبحت بذلك غير (سراويل) التي ظنوا انها مفرد ، او قولهم فيها : انها جمع لا واحد له ، ولذلك فقد قالوا : واحد السرابيل (سربال) [٨٤] .

وكأن هذه الصيغة ، قد شاعت في العربية للجمع الذي لا يسلم فيه الواحد ، فحسبوا ما جاء على وزنه جمعاً ولو كان دخيلاً أعجمياً مفرداً في لغته التي جاء منها ، فالفراديس وهو معرب عن الفارسية (Paridaiza) [٨٥] ، توهموا فيـــه

٧٩ — اللسان ، مادة (أبل) .

٨٠ — الزمخشري ، المفصل (الطبعة الاوروبية) ١٥ .

٨١ — الواحدي ، شرح ديوان المتنبي (الطبعة الاوروبية) ٧٩٣ .

٨٢ — ادي شير ، كتاب الالفاظ الفارسية المعربة . الجواليقي ، المعرب .

٨٣ — سورة النحل ٨١ .

٨٤ — الزمخشري ، الكشاف ٥٢٦/٢ . اللسان ، مادة (سرب) .

٨٥ — O. Block et W. V. Wartburg, Dictionnaire Etymologique de la Langue Française.

صورة الجمع فصاغوا عليه (الفردوس) مفرداً، وقد جاء في قوله تعالى : «كانت لهم جنات الفردوس نزلاً » [86] .

ولعل (الحذافير) وهو جمع (الحذفور) و (الحذفار) [87] ، قد جاء من (الاظافير) جمع (ظفر) أو (اظفور) بعد هذين الابدالين ، وحين حصلت الحذافير بهذه الطريقة ، توهموا ان لها مفرداً كالذي ذكروه . ومعنى الحذافير في قولهم : « أعطاه الدنيا بحذافيرها » اي بأسرها . وعلى هذه الطريقة جاءت (جراثيم) من (شراشيم) ، وهذه الاخيرة تعني في العبرية الاصول والجذور[88]، وهي في السريانية من اصل (شرشا) [89] ، وهو الجذر ايضاً، وما زالت مستعملة في لغة اللبنانيين الدارجة ، وكأنها عربية الاصل ، وقد بدأت تتعدى اللسان الدارج عند نفر من الكتّاب اللبنانيين ، فيجمعونها على (شروش) . ولكن هذه الاصول السامية أعطت العربية (جراثيم) بطريقة الابدال وظلت الكلمة محتفظة بيم الجمع العبري ، ثم صيغ عليها مفرد هو (جرثومة) .

واتبعت (الحذافير) بكلمة اخرى عــلى شاكلتها وهي (الجزامير) ، و (الجزامير) ، تفيد المعنى نفسه كما زعم صاحب اللسان [90] ، وهذا ما يسميه الاقدمون بالاتباع ، كقولهم (شذر مذر) ، وعلى عادتهم أخذوا من (الجزامير) مفرداً هو (الجزمور) . وليس من شك ان اللفظ الثاني من ألفاظ الاتباع لا يقصد به تأدية المعنى الاول ، وانما يراد به تثبيت المعنى باستخدام وقع اللفظة ، وكونها تؤلف مع سابقتها سجعاً له في ذهن السامع جرس وقوة .

---

٨٦ — سورة الكهف ١٠٧ .

٨٧ — اللسان ، مادة (حذف) .

٨٨ — Gesenius, Hebrew and English Lexicon.

٨٩ — القرداحي ، اللباب (قاموس سرياني - عربي) .

٩٠ — اللسان ، مادة (حذر) .

وقد جـــاء في كتب اللغة (الخراطين) ديدان طوال تكون في طين الانهار [٩١] ، وقال الازهري : ولا احسبها عربية محضة . ولم يصوغوا من هذه مفرداً . ولعل (الخراطيم) من الخراطين ، وحسبوه جمعاً لوجود الصيغة ، ولشدة الضرورة الى استعماله مفرداً وهو (خرطوم) ثم لكون الخرطوم أنفاً مقدماً للفيل ، أطلقوه على السيد الشريف المقدم ، ومنه جاء أخرنطم ، أي رفع انفه وغضب ، وأصله (اخرطم) مثل (احرنجم) . ولكنهم لم يحملوا على الجمـــع كلمة صيغتها صيغة جمع ، ان لم تكن تشتمل على فكرة الجمع في المعنى ومن اجل ذلك لم يحملوا (السمادير) وهو ضعف البصر [٩٢] ، على الجمع ، ولكنهم صاغوا منها (أسمدر) فعلاً اي ضعف بصره ، ولقد فسروا قوله تعالى: « انما سكرت أبصارنا » [٩٣] ، أي غشيت سمادير وهو ما يتراءى للانسان من ضعف بصره [٩٤] . وهو معرب عن (سمراد) ومعناه الوهم والخيال ، كما يقول « أدي شير » [٩٥] .

وقد فرقوا بين ما يأتي للمؤنث من الصيغ وما يأتي منها للمذكر ، فلا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل غير انهم قالوا : (فارس) والجميع (فوارس) و (هالك) و (هوالك) . قال ابن جذل الطعان يرثي ربيعة ابن مكدم :

فأيقنت اني ثائر ابن مكـــدم   غداة اذ أو هالك في الهوالك [٩٦]

---

٩١ — اللسان ، مادة (خرطن) .

٩٢ — اللسان ، مادة (سمدر) .

٩٣ — سورة الحجر ١٥ .

٩٤ — ابو عبيدة ، المجاز ٣٤٧/١ .

٩٥ — أدي شير ، الالفاظ الفارسية المعربة .

٩٦ — أبو عبيدة ، المجاز ٢٦٥/١ .

وعلى هذا نستطيع ان نحمل (نواسل) جمعاً في (باسل) وهذا الجمع قد شاع في اسلوب أدبائنا في عصرنا الحاضر ، ولو ان (باسل) يجمع على (بسل) كما تذهب الى ذلك كتب اللغة . وعندهم ان فواعل تأتي دائماً في غير العاقل كالخواطر والسوابق والعوامل وهي جموع في الخاطر والسابق للفرس والعامل للدواب العاملة . على ان هذه الالفاظ الدالة على العاقل من صيغة (فواعل) تشير الى أن الجمع كان في (فاعل) مطلقاً في فترة زمنية لا نستطيع تقديرها .

والنظر في الاساليب يدل على ان العربية خصت صيغة جمع بمفرد معين في الدلالة على مادة من المواد ، كما خصت صيغة جمع آخر بالمفرد نفسه في الدلالة على مادة اخرى . فالعين وهي الباصرة قد جمعت في القرآن على (أعين) وعين الماء قد جمعت في القرآن نفسه على (عيون) ولا اريد ان اقول هذا ، ولكنني أود ان اسجل ملاحظة جرى عليها نص الذكر الحكيم [97] ، ومثل هذا (الابيات) وقد استعملت في الغالب جمعاً لبيت من القصيدة ، أما البيوت فقد وردت غالباً جمعاً للبيت بمعنى المنزل ، على ان البيت بمعنى المنزل جاء في الشعر وربما في غير الشعر مجموعاً على (أبيات) .

اما جمعا التصحيح فالمؤنث منهما ما كان بألف وتاء كما تقول كتب النحو . وملاك الامر فيه ان الجمع يحصل من الزيادة في طول الكلمة او قل من المقطع الذي يضاف بأشباع الفتحة كما في (فاطمة) فنقول (فاطمات) اذ ليس للتاء في (فاطمات) وظيفة في صيغة الجمع مطلقاً . كما جاء في قوله تعالى : وكأنه

---

٩٧ – جاء في جمع العين على (عيون) في عشر آيات من القرآن الكريم ، كما جاءت (الاعين) في اثنتين وعشرين آية .

جمالة صفر »[98] ، وقد قرئت « جمالات »[99] . ومثله قوله تعالى : « وألقوه في غيابة الجب »[100] ، وقد قرئت « غيابات »[101] .

أما جمع التصحيح المذكر فالتزامه بالواو والنون او بالياء والنون ، اشارة الى انه احدث عهداً من جمع التكسير وذلك لانـــه يشير الى ان اللغة بدأت مرحلة جديدة تخضع فيها للقواعد المقررة متخلصة من الشذوذ وتعدد الالسنة .

ودليلنا على افتراض هذه المسألة ما نجده في لغة سامية اخرى وهي العبرية من اطراد الجمع فيها بالياء والميم وهذه اللاحقة تساوي الياء والنون في العربية والياء والميم في الجرائيم آتيان من الصيغة العبرية وهي (شراشيم)[102] ، ولكن العربية على عادتها افترضت ان يكون مفرد (الجرائيم) (جرثومة) كما في الاسطورة والاساطير .

واطراد الجمع في العبرية يشير الى المرحلة اللغوية العالية التي بلغتها العبرية ، على ان الباحث لا يعدم ان يجد صيغاً قديمة تشير الى المتحجرات اللغوية الدالة على شيوع صيغ جمع التكسير في العبرية قبل مرحلتها الاخيرة ، ولعل كلمة

---

٩٨ — سورة المرسلات ٣٣ .

٩٩ — الزمخشري ، الكشاف ٤/٦٨٠ .

١٠٠ — سورة يوسف ١٠ .

١٠١ — الزمخشري ، الكشاف ٢/٤٤٧ .

١٠٢ — جاء في اللغة العربية كلمة « سرافيم » وهي جمع لـ « سرف » وقد جاءت الكلمة مجموعة في (سفر اشعيا ٢/٥ ـ ٨) ، وهم ملائكة لهم ستة اجنحة واقفون في مقام الملك السيد عزيا ، ولكن العرب استخدموا الكلمـــة « سرف » واضافوا اليها « ايل » وهو الاله فصارت « اسرافيل » وربما كان ذلك قياساً على جبرائيل وميكائيل .

(عزازيل)[١٠٣] العبرية والتي كتب عنها كثيراً ونوقش معناها في القرن الماضي ، من هذه البواقي اللغوية الدالة على صيغ جمع التكسير .

واختص جمع التصحيح المذكر بالعاقل ولكن شيوعه في اصول غير عاقلة يشير الى بدء مرحلة استعمال هذا الجمع ، وفي هذه الفترة لم تستقر بعد الاصول التي بدأت تسير عليها اللغة . فقد جمعت ألفاظ المقود من العدد على هـــذا الجمع . ووردت منه ألفاظ عدها النحويون ملحقة به لمخالفتها قواعدهم التي استنبطوها من الكثير الغالب وهي أرضون ووابلون وأهلون وعالمون وجاء منه كلمات ذات اصول ثنائية (Bilitères) مثل (بنون) و (مئون) و (قلون) و (سنون) و (عضون) كما في قوله تعالى : « الذين جعلوا القرآن عضين »[١٠٤]، أي فرقـــوه اعضاء ومثله (عزين) في قوله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال عزين »[١٠٥] ، جمع عزة ومعناها فرقة .

ومنه (ثبة) جمعت على (ثبين) كما في قول عمرو بن كلثوم :

فامـــا يوم خشيتنا عليهم فتصبح خيلنا عقباً ثبينا[١٠٦]

ومن هذه الجموع (ربيون) فقد قالوا تعني الجماعة الكثيرة والواحد منها (ربي)[١٠٧] ، وقـــد جاءت في قوله تعالى : « وكأين من نبيّ قاتل معه ربيون »[١٠٨] .

---

١٠٣ – وربما كانت « عزازيل » ما عرف عند العرب بـ « عزرائيل » ، وهو الملك الذي عزل لتخلفه والذي قبع في صحرائه ، سفر اللاويين ١٦/٨ .

١٠٤ – سورة الحجر ٩١ .

١٠٥ – سورة المعارج ٣٧ .

١٠٦ – معلقة عمرو بن كلثوم ضمن شرح العشر ١١٦ .

١٠٧ – ابن حجر ، فتح الباري ٨/١٥٥ .

١٠٨ – سورة آل عمران ١٤٦ .

ومثله (علّيون) أي الغرف العالية في الجنة ، في قوله تعالى : « وما أدراك ما عليون » [109] ، ولعلّ منها كلمة (عليون) العبرية [110] ، ومن هذا الباب (الربانيون) كما في قوله تعالى : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب » [111] ، قول أبو عبيدة : « احسب ان الكلمة ليست بعربية ، انما هي عبرانية او سريانية » [112] ، والصحيح ان الكلمة من الاصول السامية القديمة .

اما مجيء جمع التصحيح بالواو والنون، فهي مسألة تسترعي النظر ، فالنحاة يقيدون هذه الصورة بالرفع ، وهم على حق في هذا الزعم ، ذلك انهم نظروا الى اللغة وقد سلخت من تاريخها قروناً طوالاً ، فاستقرت في صورتها العامة على هذه الحال . ولكن البحث والمقارنة يشيران الى ان مجيئه بالياء والنون يطابق العبرية كما بينا . ونخلص من هذا الى ان الواو والنون او الياء والنون وهما زيادتان لاحقتان للجمع موضوع من موضوعات اللهجة ، ومعنى هذا ان جهة من جهات العربية كانت تسير في جمعها على هذه الصورة ، في حين ان جهة اخرى كانت تسير على التزام الصورة الاخرى ، وربما كان من يلتزم طريقاً آخر فيقول بالامالة ، على اننا لم نجد اشارة الى هذا الفريق من الناس .

وفي شواهد العربية مـــا يؤيد هذه الدعوى فقد جاء في كتب اللغة هذا البيت من الرجز :

نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا [113]

---

١٠٩ – سورة المطففين ١٩ .

١١٠ – R. Blachère, Le Coran II, 106.

١١١ – سورة آل عمران ٧٩ .

١١٢ – الجواليقي ، المعرب ، باب الراء .

١١٣ – ابن عقيل ، شرح الالفية ١/٧٣ .

فاسم الموصول (اللذين) جاء على لغة هذيل في حالة الرفع أما غيرهم فيقول « الذين » في كل الاحوال .

وربما استطعنا ان نخرج قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى »[١١٤] على هذا الباب ، وذلك ان من العرب من كان يلتزم الواو والنون في الجمع في جميع الاحوال كما التزمت « الذين » في كل الاحوال .

غير ان النحاة يتأولون رفع « الصابئون » وحقه ان ينصب فيقولون : ان العرب تخرج المشرك في المنصوب الذي قبله من النصب الى الرفع على ضمير فعل يرفعه او استئناف ولا يعملون النصب ، ويستشهدون بقول ضابىء بن الحارث البرجمي :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله   فأني وقيار بها لغريب[١١٥]

ومن العرب من يجعل اعراب ما يجمع بالواو والنون في النون[١١٦] . وقد جاء منه قول سحيم :

دعاني من نجد فان سنينه   لعبن بنا شيباً وشيبننا مردا

ولم تختص العربية بالنون في الجمع فقد ورد في العبرية في الاسفار المتأخرة من العهد القديم ، وفي نصوص شعرية[١١٧] . ومن أمثلتها (ملاخين)[١١٨] وتعني

---

١١٤ – سورة المائدة ٦٦ .

١١٥ – أبو عبيدة ، المجاز ١٧٢/١ .

١١٦ – ابن يعيش ، شرح المفصل ١١/٥ .

١١٧ – Gesenius, Hebrew Grammar, p. 242.

١١٨ – سفر الامثال ٣/٣١ .

(ملوك) ، و (حطين) [119] وتعني الحنطة ، ومن هذا (مدين) [120] ، وتعني (زرابي) ومنه (يامين) [121] ، وتعني أيام ، ومنه (عيين) [122] ، وتعني (كومات) ، ولعل هذا كان بتأثير الآرامية التي سيطرت في حقبة (التركوم) على العبرية ، ويدلنا على هذا (ملين) وهي جمع (ملا) وتعني الكلمات وهي آرامية صحيحة .

وربما استطعنا أن نثبت هذا بوجود الياء والنون في الجموع الآرامية القديمة والتي ما زالت حية في اسماء الاماكن اللبنانية .

ومن هذه الاسماء (دارين) وهي جمع (دارا) وتعني الدار ، ومنه ايضاً (عبدين) اسم مكان ومعناه الفلاحون .

ومنه ايضاً (عبرين) جمع عبرا وهو الساحل والمعبر .

ومنه (عترين) ومعناه الثروات .

ومنه (جب حنين) ومعناه بئر الحنان .

ومنه (جزين) ومعناه خزائن .

ومنه (حزين) ومفرده حزي ومعناه القمر والهوة .

---

١١٩ – سفر حزقيال ٤/٩ .

١٢٠ – القضاة ٥/١٠ .

١٢١ – دانيال ١٢/١٣ .

١٢٢ – ميخا ٣/١٢ .

ومنه (سترين) وهي تحريف (سفرين) اي الكتب .

ومنه (شاتين) أي الشاربون .

ومنه (مهرين) أي مخاصمون .

ومنه (نمرين) أي نمورة .

ومنه (وردين) أي أزهار .

وغير هذا كثير مما هو باقٍ في اسماء القرى اللبنانية والسورية .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإعراب في اللغة ودلالته

بحث مقارن في اللغات السامية

البحث في هذا الموضوع ينصب على مسألة الاعراب وكيف كانت ، ومسألة الاعراب ولا سيما في العربية من المسائل الثقيلة لدى الباحثين في فقه اللغة ، فقد تصدى لها القدامى من علماء العربية ، كما بحث فيها المحدثون من عرب ومستشرقين. ولقد اهتم به النحاة واللغويون منذ عهود ازدهار العربية ، ذلك ان الحفاظ على الاعراب كان ضرورة نافعة ؛ ومعنى هذا ان الاعراب كان ثقيلاً على الالسنة ، فقد فشا اللحن ، وفسدت الطبيعة اللغوية ، وصار الناس يسمعون فيستنكرون هذا الاعوجاج في الالسنة . وقد جاء في الاخبار ان أبا الاسود الدؤلي سمع رجلاً يقرأ في كتاب الله : ان الله بريء من المشركين ورسوله بالخفض ، فاستعظم ذلك منه [١] . وكان هذا سبب وضعه للنحو ، والأخبار كثيرة في هذا الموضوع وان كان يلوح على طائفة منها طابع الوضع والافتعال .

وما دام هذا الاعراب ثقيلاً على الالسنة فقد تخفف منه كثير من الناس ، بحيث صار للناس لغة في التخاطب لم يلتزم فيها هذا القيد الثقيل في حين انهم يلتزمون بالاعراب اذا كتبوا . فقد ذكر الجاحظ في كتاب البخلاء شيئاً عن شيوع اللحن بين العامة والذي نقلناه في غير هذا المكان [٢] .

---

١ — ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ١٠ .

٢ — البخلاء ، طبعة الحاجري ص ٣٣ .

على ان هذا لا يعني ان الناس عامة لا يعربون كلامهم ، فقد ذكر الجاحظ شيئاً من ذلك . فهو يعد من اجل المتع ان يستمع المرء الى حديث الاعراب الفصحاء العقلاء ، او الى محاضرة العلماء البلغاء[3] .

وقد بقيت مسألة الاعراب قضية العربية الكبرى طوال العصور المتعاقبة ، وما زالت كذلك حتى يومنا هذا . ومن أجل ذلك كان من المفيد النافع أن تدرس هذه القضية دراسة دقيقة .

لقد احتفظت اللغة العربية الفصيحة بظاهرة الاعراب وهي من صفات العربية الموغلة في القدم ، في حين ان سائر اللغات السامية – ما عدا الاكدية – قد فقد هذه الظاهرة منذ أقدم العصور ، وقد دل على هذا الاعراب بقايا كما في العبرية مثلا .

أما في اللغة الاكدية فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية القديمة في النصوص التي ترجع لعهد حمورابي ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت الى حركتين هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر ، ولم تلبث هذه المرحلة طويلا حتى تطورت الى مرحلة الحركة الواحدة وهي الكسرة الممالة .

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها أوجد الاعراب في النبطية كما تؤيد ذلك النقوش التي عثر عليها . وقد ذهب « Noldke » المستشرق الالماني الى أن النبط كانوا يستعملون الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر . ولا يعقبون هذه الحركات بالنون[4] .

ويرى المستشرق Lithmann ان أواخر الكلمات في اللهجة النبطية قد

---

٣ – البيان ١/٦٢ .

٤ – Th. Noldke Die Semitischen Sprachen, Leipzig 1899, S. 51 f.

يحدث فيها تغيير بحسب موضعها في الاعراب[٥] . وللاعراب أثر في اللغة العبرانية يتبينه الباحثون في حالتي المفعول به وفي ضمير التبعية[٦] . على ان هذا الاثر ضئيل جداً ، فقد أوشكت تخلو من الاعراب لغة العهد القديم . غير ان علامة النصب في العبرية القديمة هي الفتحة الطويلة التي نشأ عنها حرف الهاء المتطرفة في هذه اللغة تشبة الالف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة أحرف العلة . وتظهر هذه في آخر الاسم المنصوب بنزع الخافض ، كما تظهر في آخر الظرف المنصوب (ليلاً)[٧] وتعني (ليل) ، و (عتا)[٨] وتعني (حين) . وكما تلحق هذه العلامة الظروف فانها تلحق المصدر فينصب كما هي الحال في المفعول المطلق في العربية ، ولكنها في هذه الحالة تكون متلوة بميم زائدة (للتميم) الذي يقابل التنوين في العربية[٩] مثال ذلك (يومام) وتعني (يوماً) و (حنام) وتعني (مجاناً) ، والمتتبع لشوارد النصوص في اللغة العبرية ربما وجد آثاراً تشير الى شيء يشبه الضمة والكسرة لعلها بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين في العبرية القديمة .

ويكاد يجمع المستشرقون على ان الاعراب ظاهرة سامية فالمستشرق الالماني Bergstraesser يقول : ان الاعراب سامي الاصل تشترك فيه اللغة الاكدية وفي بعضه اللغة الاثيوبية (الحبشية) ونجد آثاراً منه في غيرها[١٠] . على ان هؤلاء

---

٥ — Enno Littmann Inscriptions, Leiden 1914 p. 37 ff.

٦ — ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ص ١٥ .

٧ — تكتب الهاء في العبرية في آخر الاسم ولا تلفظ .

٨ — ربمـــا قابلت هذه الكلمة (حق) في العربية ، فقد جاء في القراءات ان احدهم قرأ (عتى حين) .

٩ — راجع مقالتنا : « النون في اللغة العربية » ، المنشورة في الجزء الثالث من مجلة كليـــة الآداب والعلوم ١٩٥٨ .

١٠ — برجشتراسر ، التطور النحوي ص ٧٥ .

يعللون سبب وجود هذه الظاهرة فيرجعون ذلك لخلو اللغات السامية من ادغام للكلمات أي وصل كلمة باخرى لتتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منهما كما في اللغات الآرية[11] . ذكر هذا اسرائيل ولفنسون كما ذكره غيره[12] .

ولا نريد هنا أن نعرض للرد على هذا الرأي لان ذلك يخرجنا عن مـــادة الموضوع . ولكننا نكتفي بالقول ان في العربية شيئاً ممـــا يقولون فالتركيب والنحت من الادوات في هذا الموضوع وقد استفيد من النحت في بناء الافعال الرباعية وغير الرباعية .

ويختلف الرأي في دلالة الحركات على المعاني الاعرابية بين القدماء والمحدثين في اللغـــة العربية . وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدامى هو الخليل بن احمد[13] . ولعل الجدل في دلالة هذه الحركات على المعاني الاعرابية وعدم دلالتها ، دار بين تلامذة سيبويه والكسائي فذهب جمهورهم الى الاول وذهب آخرون الى الثاني[14]

ويمثل رأي الذاهبين الى ان الحركات دوال على معان اعرابية ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي ، فقد نقل السيوطي في الاشباه والنظائر[15] قوله : « ان الاسماء لما كانت تعتورها المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ولم

---

١١ – ولفنسون ص ١٥ .

١٢ – Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Spkachen, Berlin 1908, I. S. 5.

١٣ – سيبويه : الكتاب ٢/٣١٥ .

١٤ – المخزومي : مدرسة الكوفة ص ٢٨٣ .

١٥ – السيوطي : الاشباه والنظائر ١/٧٦ – ٧٨ .

يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني ، جعلت حركات الاعراب تبين عن هذه المعاني وتدل عليها ليتسع لهم في اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة » .

ويمثل رأي الطائفة الاخرى قطرب أبو علي محمد بن المستنير [١٦] وهو تلميذ سيبويه . وقد انفرد « قطرب » في هذا الرأي ، ولم يقل بمقالته نحوي أو لغوي آخر غيره .

على ان المحدثين قد عرضوا للموضوع نفسه فكانوا فريقين كالمتقدمين . وهؤلاء بين عرب وبين مستشرقين ، فطائفة منهم تذهب مذهب الزجاجي النحوي ، وطائفة اخرى تذهب مذهب ابي علي محمد بن المستنير (قطرب) .

وممن ذهب مذهب هذا الاخير الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة العربية) [١٧] على انه يحلو له أن يتعصب للرأي بشكل يخيل للقارىء انه المبدع والاول والمعيد في هذا القول . وكأنه لم يكن هناك في القرن الثاني الهجري رجل اسمه (قطرب) [١٨] . وهذا الرأي في جملته غريب وقد انفرد فيه صاحبه ولم يؤيده فيه إلا الدكتور ابراهيم أنيس بعد أكثر من أحد عشر قرناً ووجه الخطل في هذا الرأي ان العربية كانت معربة منذ أقدم العصور ، والنصوص شاهدة على ذلك . وقد كان هذا الاعراب سهلاً على الالسنة ثم تقل وصعب حين فسدت الطبائع العربية وفشا اللحن وتحول المجتمع العربي الخالص الى مجتمع ضخم كبير فيه أجناس شتى ، ولا سيما في الحواضر العربية . فلم يلجأ للاعراب في فترة متأخرة للسبب الذي ذكره صاحب الرأي المتقدم . على ان

---

١٦ – المصدر السابق ١/٧٩ .

١٧ – انيس ، من اسرار اللغة ص ١٤٣ .

١٨ – قطرب ابو علي محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة .

وجود الاعراب في اللغات السامية الاخرى في عهودها السحيقة في القدم ثم اضمحلال هذا الاعراب لا يؤيد مذهب قطرب في شيء وقد عرضنا للموضوع فيما تقدم . على ان الدكتور ابراهيم أنيس حين يقول بهذا الرأي ينتهي الى « انه ليس للحركات الاعرابية مدلول وان الحركات لم تكن تحدد المعاني في أذهان العرب الاقدمين وهي لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الاحيان لوصل الكلمات ببعضها »[١٩] . ثم انه يرى « ان النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الاعراب وقاسوا بعض الاصول رغبة منهم في الوصول الى قواعد مطردة منسجمة »[٢٠] ثم هو يفترض افتراضاً لا يقوم على أساس علمي تاريخي فيقول « ولعلهم تأثروا بما رأوه حولهم من لغات كاليونانية ففيها يفرق بين حالات الاسماء التي تسمى Cases ويرمز لها في نهاية الاسماء برموز معينة »[٢١] . وفات الاستاذ ان اليونانية تختلف نحواً وطبيعة عن العربية ولم يكن واضع النحو عارفاً أو قل متأثراً باليونانية بأي وجه من الوجوه » .

ثم انه يستدل بخلو اللهجات الاقليمية الحديثة من الاعراب . ولم يبق له من أثر في لهجات الاقاليم العربية ويعجب من هذا[٢٢] على اننا لا يمكن لنا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلا على ان الاعراب ظاهرة لم تكن موجودة في العربية الاولى[٢٣] . وقد رأينا أن اللغات السامية جميعها كانت معربة ثم زال هذا الاعراب في العهود التي تعاقبت عليها .

---

١٩ – انيس ، من اسرار اللغة ص ١٥٨ .

٢٠ – المصدر نفسه ص ١٣٩ .

٢١ – المصدر نفسه ص ١٧١ .

٢٢ – المصدر نفسه ص ١٣٩ .

٢٣ – الدكتور وافي ، فقه اللغة ص ١٣ .

وقد افاض الدكتور علي عبد الواحد وافي في الرد على الرأي المتقدم في كتابه « فقه اللغة » .

وقد عرض للموضوع نفسه الاستاذ ابراهيم مصطفى [٢٤] وقرر ان الحركات دوال على معان بل ان من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني [٢٥] ثم هو يقول « وما كان للعرب ان يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل الحرص وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً . ونحن نعلم ان العربية لغة الايجاز ، وان العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السبيل ويحذفون الكلمة اذا فهمت والجملة اذا ظهر الدليل عليها ، والاداة اذا لم تكن الحاجة ملجئة اليها » وعنده ان الفتحة ليست علامة اعراب ولا دالة على شيء وانما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة [٢٦] ، وأما الضمة فهي علم الاسناد أما الكسرة فانها علم الاضافة [٢٧] . ورأي الاستاذ مصطفى في الفتحة غريب في بابه ولا يستند الى سند علمي فقد دلت المقارنات الى أن الفتحة وجدت في حالة النصب في كثير من اللغات السامية ولم يكن هناك سبب للفتحة المستحبة .

ويرى الاستاذ Mareel Cohen ان هذه القواعد المتشعبة الدقيقة وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الادبية ، أما لغة التخاطب فلم تكن معربة [٢٨] . وهو يستدل على ذلك (بأن قواعد هذا شأنها في التشعب

---

٢٤ – ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ٤٨ ، ٤٩ .

٢٥ – واستخدام الحركات في الدلالة على المعاني وتعددها يخرج عن هذا الباب وربما افرد له مقالة خاصة .

٢٦ – احياء النحو ص ٥٠ .

٢٧ – المصدر نفسه ص ٨٠ – ١٠٠ .

٢٨ – عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ص ١٣٠ ، عن : Cohen, Les Langues du monde.

والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب وانما هو من اختصاص اللغة الفصيحة المهذبة) . وقد فات صاحب هذا الرأي الحقيقة التاريخية ، ولم يكن ملماً بأن اللغة المعربة كانت لغة العرب في الجاهلية ولغة القرآن التي عمت العرب جميعاً وأخضعت لها لهجات الاقاليم . ولم تكن لغـــة القرآن مهيأة للقراءة والكتابة فحسب ، كانت لغة يستعملها الناس على اختلاف طبقاتهم . وكتب الادب والاخبار تؤيد هذا . ولا سبيل الى افتراض هذه الصعوبة على اللغة في وقت نحسها نحن الآن .

أما الاستاذ (فلك) المستشرق الالماني فيرى ان حركات الاعراب هي صفة من صفات العربية وسمة من أقـــدم سماتها اللغوية والتي فقدت في اخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة [٢٩] . وعنده ان العربية حافظت في مختلف عصورها على هـــذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات الاقليمية في الحواضر .

---

٢٩ – يوهان فك ، العربية ، ترجمة الدكتور النجار ص ٣ .

النون والميم في اللغة العربية

سأدرس في هذا البحث حرفين مهمين من حروف العربية . وسأجتهد ما استطعت وبمقدار تهيئة الوسائل لديّ أن أذكر جوانب مهمة من هاتين المادتين .

والحرفان اللذان سأعرض لهما هما النون والميم ، والنون كما جاء في كتب العربية المشهورة : (كتاب سيبويه المتوفى سنة ١٧٧ للهجرة، والمفصل للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ للهجرة ، وشرحه لابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣ للهجرة ، وقد اعتمد صاحب الشرح على ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢) من الاصوات البينية الذولقية المجهورة .

ولكن صاحب المفصل يصف الحرف بتحديد مخرجه فيضع النون والراء واللام في مكان واحد ، ويسمي هذه الاصوات بالاصوات الذولقية (apicales)، والذولق طرف اللسان المدبب .

وهناك عبارة سيبويه بصدد الراء فيقول : من مخرج النون غير انه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه الى اللام ، ويعيد ابن يعيش عبارة (الكتاب) في شرحه ، ولكن هؤلاء جميعاً تعوزهم الكلمة الفنية الاصطلاحية للرابطة الانفية النون واللام (nasalisation) .

ولا يهمنا كثيراً في هذه المقالة البحث في الاصوات وطبيعتها ومخارجها بقدر ما يهمنا من طريقة استعمالها ودخولها في اللغة وبناء الكلمات .

ولعل النون من الاصوات التي يحسن السكوت عليها للغنة التي تحصل في النطق غناءً أم تجويداً أم ترسلاً في القول ، ومن أجل هذا لزمتها الفواصل القرآنية المسجوعة .

وأنا أرى ان الذي يضيف النون في كلمة (رجل) عند التنوين كما لو كتبت (رجلن) ، شأنه شأن القروي الجافي الذي لم تصقله الحضارة ، وجاءته كلمة (راديو) الحضرية فأضاف لها في طبيعته القروية السهلة السمحة (نوناً) فصارت (راديون) .

واستعمال النون في الاصول العربية كثير جداً ، ذلك أن طبيعته تتمشى مع العربية ، ولهذا كانت جمهرة الكلمات العربية منونة منصرفة ، وطائفة قليلة منها لم تقبل التنوين . وكتب النحو مطولة أم موجزة تفرد لغير المنون بحثاً خاصاً ، ومن أجل هذا ايضاً صار النحويون يتلمسون للكلمة التي لا تقبل التنوين عللاً خاصة تمنع من أن يختم الاسم بهذه النون ، ولهذا ايضاً لم تكن العلة الواحدة عندهم بمانعة للصرف وانما اشترطوا في ذلك أن تكون علتان أو علة بمقام علتين، وذلك في الجموع التي يكون ثالثها ألفاً وبعدها حرفان او ثلاثة ، كمساجد ومصابيح . وسنعرض لهذه العلل بالبحث والنقاش .

وقد أسلفت ان هذه النون تدخل في كثير من الكلمات العربية ، وقد صنفها النحويون أصنافاً ، أحدها : تنوين التمكين كزيد ورجل وعندهم ان فائدته الدلالة على خفة الاسم وتمكنه في باب الاسمية ، لكونه لم يشبه الحرف فيبنى ، ولا الفعل فيمنع من الصرف .

الثاني : تنوين التنكير وهو اللاحق لبعض المبنيات للدلالة على التنكير ، تقول « سيبويهِ » اذا أردت شخصاً معيناً اسمه ذلك و « ايه » اذا استزدت

مخاطبتك من حديث معين فاذا أردت شخصاً ما أسمه سيبويه او استزادة من حديث ما نونتها .

الثالث : تنوين المقابلة ، وهو اللاحق لنحو « مسلمات » جعلوه مقابلة النون في نحو « مسلمين » .

الرابع : تنوين التعويض وهو اللاحق لنحو غواش وجوار عوضاً من الياء ولاذ في نحو « ويومئذ يفرح المؤمنون » عوضاً عن الجملة التي تضاف اذ اليها .

وهذه الانواع الاربعة مختصة بالاسم .

وزاد جماعة تنوين الترنم ، وهو اللاحق للقوافي المطلقة ، اي : التي آخرها حرف مد ، كقول جرير :

أقلي اللومَ عاذل والعتابن وقولي ان أصبت لقد أصابن

والاصل « العتابا » و « أصـــابا » فجيء بالتنوين بدلاً من الالف ، لترك الترنم .

وزاد جماعة التنوين الغالي وهو : اللاحق للقوافي المقيدة زيادة على الوزن ، ومن ثم سمي غالياً كقول رؤبة بن العجاج في احدى أراجيزه :

قالت بنات العم يا سلمى وانن كان فقيراً معدماً قالت وانن

والحق انها نونان زيدتا في الوقف ، وهذا يؤيد ما قلت من أن النون صوت يحسن السكوت عليه ولذلك فقد التزم في الكثير من اصول العربية .

وأنا أرى ان هذه النون الساكنة التي لحقت آخر الاسم لفظاً لا خطاً ، كان

من حقها ان تثبت في الخط ايضاً كما تثبت في اللفظ ، وهذا طبيعي مقبول يتمشى مع الدعوات الكثيرة الى تيسير الكتابة العربية .

ولقد لحقت هذه النون جمع المذكر السالم والمثنى وثبتت في الكتابة ، والنون في هذين لا تختلف عن اي من النونين اللتين تلحقان الاسم ، ومن أجل هذا قالوا ان التنوين في (مسلمات) يقابل النون في (مسلمون) ونقول ان النون في جمع المذكر السالم عرض من الحركة والتنوين في الاسم المفرد .

ومن اهتمام العربية بالنون انها ألحقتها بأسماء معروفة لتجعل معانيها مختصة مقيدة بنوع من المعنى لا ينصرف الى غيره مما هو قريب منه ، ومن أجل هذا قالوا للطفيلي (ضيفن) وللمرتعش (رعشن) .

ومن عناية العربية بالنون انها ألحقتها بالافعال المضارعة في حالة توكيدها وللتوكيد عندهم شروط معروفة مقيدة في كتب النحو ، وهي ان يكون الفعل جواباً لقسم متصلا بلامه مثبتاً مستقبلا . وفي استعمالات العربية ما يجافي هذه الشروط اللازمة قال تعالى : « يا ايها النحل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده »[1] ، وقوله تعالى : « الله لا إله إلا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة »[2] ، واعتماد النون في هذا الاسلوب عناية به لانه من الاصوات السهلة الخفيفة التي يحسن السكوت عليها ، والتوكيد حاصل من الزيادة اللاحقة ، ولم يقولوا بالتوكيد الا توسعاً في استخدام القاعدة المنطقية : « الزيادة في المبنى زيادة في المعنى » ، هذه القاعدة التي أرادوا ان يستخدموها في نواح لغوية كثيرة ولم يوفقوا فأفسدوا من حيث أرادوا الصلاح .

وقد استعمل المصدر منصوباً في العربية ، والنصب على المصدرية صار لوناً

---

١ – النمل ، ٢٧ ، ١٨ .

٢ – النساء ، ٤ – ٨٧ .

من ألوان المفاعيل ، وقد يأتي هذا المصدر منصوباً لفعل قاصر ولا أرى حاجة في بحث عامل النصب في هذا الخصوص ، خشية ان ابتعد عن جادة البحث ، ولكني أريد أن أشير الى أن طائفة من الاسماء تنصب وتنون وتجري مجرى المنصوب على المصدرية كما نقول حقاً ، أصلاً ... الخ ، ولم تجيء محلاة بأداة التعريف او مضافة لتزول عنها النون .

والباحث في اللغة ملزم أن يمن في البحث فيسجل كل ظاهرة لغوية تدخل في الموضوع ولو كانت شاردة في الألسنة الدارجة الدنيا ، ودراسة اللهجات العامية الحديثة مفيدة في دراسة العربية وتاريخها بصورة عامة ، وتسجيل شوارد العامية الاقليمية يعود على العربية وفقهها بأجزل النفع .

والمتعقب لحرف النون في العامية في المواطن القروية من جنـــوب العراق — أقول القروية لا الحواضر — يرى ان هذا الحرف يلحق الفعل الاجـــوف المضارع باطراد لا للتوكيد ، وانما هو صوت ليّن سهل يزيّن آخر هذا الفعل فيقولون * : أروحن ، أشوفن .... ، والذي نلاحظه ان هذه النون تلحق المضارع الاجوف والنون فيها وسيلة للتخلص من الساكنين ، وهما حرف اللين ولام الفعل . والمتعقب للموضوع نفسه في لهجات الحواضر يستطيع ان يقيّد شيئاً كثيراً من هذا ، ومن الامثلة على ذلك ، ان هناك أفعالاً ثلاثية الاصل ولكنها تصبح رباعية بزيادة هذه النون في آخر الفعل ومنها : وهدن بمعنى ضلل وغرر ، ولعل أصلها ألقاه في الوهدة ، ومنها رهدن وهو يفيد الاناة والتريث وهناك (ترّبن) من التراب و (سخمن) من السخام أو الصخام على الابدال العامي . وليس لنا أن نقول ان الاصل في (وهدن) هو (هدن) ثم صدرت بالواو وكذلك الامر في (رهدن) ذلك ان الفعلين الآخرين يشيران الى زيادة

* كما يلحقون هذه النون بالفعل المضارع الثلاثي المضعف كقولهم (امدّن) و (امرّن) وهذا كثير عندهم ولا سيما في اللغة الشعرية .

النون . وكما لحقت هذه النون هذه الافعال فقد لحقت مصادر من هذا الباب : كالولدنة والحرنة . كما لحقت أدوات اخرى : كقولهم : (لمّن) ويريد بها (لما) ، ويقولون (حيفن) و (بعدين) بالامالة والاصل بعدا و (همين) أو (همائين) بالحاق النون بكلمة (هم) [3] الفارسية .

وعندي ان الذي يضيف النون في هذه الامور في لغته السائرة الدارجة كالذي أضافها الى رعش وضيف ، فقال رعشن وضيفن اللذين أسلفنا الكلام عليهما . وفي فصيح العربية شيء من هذا مثل هِرشِين للبعير الواسع الشدقين ، وضيوَن لذكر السنور [4] .

وقد استعملت النون في جمع (الذين) فقيل الذين وسمع الذون على لغة هذيل أو عقيل [5] . والمتتبع لهذه المادة في النصوص والاستعمال ربما وصل الى الاصل في هذا الاسم ، وهو (اللذ) بسكون الذال ، وربما كان الذال وحده هو اسم الموصول ، كما قال الكوفيون : ان الذال وحده هو الذي يفيد الاشارة في (ذا) . ويؤيد ما نذهب اليه ان الدال المهملة في السريانية هي اسم موصول ، وما بقي في اللسان الدارج في القطر المغربي يؤيد هذا أيضاً فيقولون (الكتاب ديالي) أي الذي لي ، وما المدّ في عقب الذال الا تسهيلا للوصل والنطق ، ثم زيد على الذال الياء لغرض المدّ زيادة لازمة . وقد أورد ابن مالك انه قرىء « صراط ذين أنعمت عليهم » بغير الالف واللام . وعلى هذا فان كلمة الذي

---

٣ – كلمة فارسية كانت مستعملة في الكوفة على عهد الجاحظ .

٤ – قال ابن بري : أنشد الفراء :

تريد كأن الشمس في حجراته نجوم الثريا او عيون الضياون

وقد ورد في هذا الباب طلخن وهو التلطخ بما يكره ، الا ترى ان الاصل الطخ .

٥ – ورد في الشواهد النحوية : نحن الذون صبحوا الصباحا .

مرت بمراحل حتى صارت الذين وقد جاء في التنزيل العزيز « وخضتم كالذي خاضوا »[6] ولم تستعمل الذين ، وجاء في الشواهد الشعرية – اولئك أشياخي الذي تعرفونهم – ويؤيد هذا قول الاخفش النحوي : ان (الذي) حكمه حكم (من) في أن يكون للمفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد .

وتدخل النون في بنية ضمائر الرفــع للخطاب كأنت ... وضمير المتكلم (أنا) . فضمائر الرفع للخطاب عند الباحثين المحدثين وجلهم من المستشرقين مثل « برجشتراسر »[7] . وتبعه كراوس وبروكلمان ، مركبة من جزءين : جزء يكون الضمير وهو التاء وجزء آخر اشاري وهو (أن) ولعل الحسن بن كيسان وهو أحد الذين خلطوا المذهبين[8] .

ودونك قول ابن كيسان : (ان الضمير المرفوع هو التاء المتصرفة فكانت مرفوعة متصلة ، فلما أرادوا انفصالها دعموها بأن لتستقل لفظاً)[9] . على ان أهل البصرة يقولون بتركيبها وان (أن) هي الضمير وقد ألحقت بالتاء للدلالة على الخطاب كما لحقت الكاف ذلك[10] .

وعلى كلا الرأيين فالنون جزء مهم في الكلمة سواء اريد به التنبيه الاشاري أم شيء آخر .

أما (أنا) و (نحن) فالكوفيون يرون انها أصل لا زيادة فيها وأهل

---

٦ – التوبة ، ٩ ، ٦٩ .

٧ – المخزومي ، مدرسة الكوفة ص ٢٢٧ .

٨ – حاشية الصبان على الاشموني ١/١٢٧ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١/٦٠ .

٩ – شرح الرضى على الكافية ٢/١٠ .

١٠ – عن المخزومي ، مدرسة الكوفة ص ٢٧٧ .

البصرة يرون ان مادة الكلمة حاصلة في الهمزة والنون [11] والالف استطالة للفتحة . ولنرجع الى مسألة المنون وغير المنون ، فقد أسلفت أن المنون يؤلف جمهرة الاصول العربية ، في حين ان غير المنون انحصر في أشياء محدودة معدودة وعدم التنوين حاصل عن اشتمال الاسم على علتين من مجموع العلل التسع او على اشتماله على علة بمنزلة علتين كما يحصل فيما اسموه بصيغة منتهى الجموع .

وعندي ان مسألة المنع من الصرف مسألة راجعة الى صورة الكلمة والناحية الموسيقية فيها .

والدليل على هذا انك تصرّف غير المنصرف وتنونه في الشعر ولكنهم قالوا للضرورة ، ومعنى هذا لما توافرت الناحية الموسيقية في وزن الشعر فقد حرصوا على استكمال هذه الكلمات التي لا تنوّن . وانها فوق كل ذلك مسألة خاضعة للتعود والالفة ، فنحن نقرأ الاسم منوناً في بيت من الشعر ولا نكترث له أو قل ولا نحس اننا اقترفنا ضرورة شعرية . جاء في الاشباه والنظائر : (يجوز للشاعر صرف ما لا ينصرف للضرورة لانه يرده الى أصله وهو الصرف) [12] ، وقال ابن يعيش : (جميع ما لا ينصرف يجوز صرفه في الشعر لاتمام القافية وإقامة الوزن بزيادة التنوين وهو من أحسن الضرورات لانه رد الى الاصل ولا خلاف في ذلك) [13] . ومن أجل هذا سميت النون بنون الترنم في الشاهد الذي مرّ ذكره . فالنون قصد به زيادة النغمة ، وهذا يقال ايضاً في النون من ناحية الموسيقى اللفظية . أما من ناحية صورة الكلمة فهي ذات علاقة مهمة في الموضوع . فالكلمة المختومة بالهمزة والتي قبلها مد تمنع من التنوين وان لم

---

١١ – شرح الاشموني ١/١٢٦ .

١٢ – الاشباه والنظائر ٢/٣٣ .

١٣ – المصدر نفسه .

يكن هذا المد للتأنيث كحمراء، بل أكثر الاسماء[١٤] المذكرة مثل اطباء رحماء. ولا نستطيع أن نقول ان طبيعة الهمزة لا تقبل النون ، انما غاية ما نستطيع قوله في هذا الموضوع ان صورة الكلمة هي التي منعت الكلمة أن تلحق بها النون.

وقد جاء في الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم »[١٥] ووجه المنع في أمثال هذه الكلمات هو انهم حملوها على ما فيه مد للتأنيث ، ومن أجل ذلك قالوا ان أصلها (شيئاء كحمراء)[١٦] ثم حدث فيها قلب ومن أجل هذا فوزنها (لفعاء) . وعندي ان الامر لم يكن بهذا الشكل وان شيئاً جمعت على أشياء كما نجمع لوناً على ألوان[١٧] . وحملاً على هذا فلا داعي للمنع من الصرف ما دام ان الهمزة لا تنفر من النون كما في (سماء) و (بناء) و (برء) وان الآية تبقى على قراءتها .

ويبدو لنا ان العلل التي وضعوها للمنع من الصرف لم تكن بالدليل القاطع ، فعندهم ان العلمية والعجمة تمنعان من الصرف ولكنهم قالوا « ما كان أعجمياً على ثلاثة فهو منصرف كنوح ولوط » .

وعندهم ان العلمية والتأنيث تمنعان من الصرف ولكنهم قالوا (ما كان علماً لأنثى وهو على ثلاثة أحرف ساكن الوسط فهو منصرف كهند ودعد) .

---

١٤ — أقول اكثر الاسماء لان الاسماء الثلاثية تنون كسماء وبناء ...

١٥ — المائدة ٤ ، ١٠١ .

١٦ — ابن جني ، المنصف ٢/١٠١ . وقال الخليل « اشياء » مقلوبة كما قلبوا قسي وكان اصلها قؤوس .

١٧ — ألوان اسم منون ، ومعنى هذا ان هذه الكلمة المختومة بالنون تقبل نوناً اخرى في انهم منعوا الاعلام والنعوت المختومة بألف ونون كسلمان وعطشان ولا ادري ما الفرق بين النون الاصلية والنون الزائدة . وقد قرأ « اشياء » بالتنوين .

وهذا التذبذب يؤيد ان المانع من الصرف ليس هذه العلل وانما هي صورة الكلمة التي ينقصها هذا اللون الموسيقي بحيث ان الكلمة لو أضيفت أو كانت معرفة بأداة التعريف لانصرفت ، ومعنى هذا انها ابتعدت عن الصورة التي تجافي فيها النون .

وعندهم ان صيغة منتهى الجموع كمساجد وأساتيذ ممنوعة من الصرف ولكن لهذه الصيغة صورة أخرى مختومة بالتاء مثل أساتذة فالتاء فيها تعويض من الياء في أساتيذ ولكن أساتذة وملائكة * منصرفة وهذا يؤيد رأينا ان صورة الكلمة ذات أثر في إلحاق النون وعدم إلحاقها . والاستعمال عامل مهم في هذا الشأن .

وبقدر ما عنيت بحرف النون واستعماله وتقلبه في اللغة سأعنى بصوت آخر سهل مثله يشترك معه في الناحية الانفية وان كان يخالفه في المخرج وهو حرف الميم . وهو حرف من الاحرف الشفوية كالباء والفاء والواو . والاهتمام بالنون يستدعي الاهتمام بنظيره الميم . أقول بنظيره لان الميم يؤدي في غير العربية من اللغات السامية ما يؤديه النون في العربية ، وذلك من أمر التنوين ، فاذا صح أن يكون في العربية تنوين فقد صح أن يكون (تميم) في غير العربية .

فجمع التصحيح في العربية بواو ونون او ياء ونون ويقابل هذا في العبرية ياء وميم فكلمة (سنة) وهي (شانا) « Shana » في العبرية تجمع على (شانيم) « Shanim » والميم هنا كالنون في العربية . وكما لحقت النون الاسم المثنى في العربية كذلك تلحق الميم الاسم المثنى في العبرية وان كان المثنى لم يشع في العبرية شيوعه في العربية . وقد احتفظت العربية الفصيحة بكلمات قليلة العدد تشير الى هذه الميم التي أضيفت زيادة « للتميم » في اللهجات العربية الجنوبية وكونت من

---

* يسمي اللغويون هذه التاء بتاء العجمة ، وهي التي تلحق الاسماء الاعجمية ، ولا أدري ما الفرق بينها وبين تاء « مغاربة » و « مشارقة » ، والحقيقة انها تاء تأتي في صيغ الجموع .

هذه الكلمات شكلاً خاصاً حتى صارت وكأنها جزء من بنية الكلمة . ومن هذه الكلمات كلمة ابنم التي تقابل (ابن) المنون ولكن الميم بقيت فيها وقد أخضعها عرب الشمال لعاداتهم اللغوية فألحقوا بها النون من أجل التنوين فصارت أحياناً (ابنم) وما زلنا نرى هذه الكلمة قابعة في كتب اللغة والنحو في باب الاسماء التي تحلى بهمزة الوصل .

وقد فطن الى هذا الموضوع (سيبويه) فقال : وقالوا ابنم فزادوا الميم كما زيدت في فسحم ودلقم [١٨] .

ومن هذه الكلمات ايضاً كلمة فم هذه الكلمة السهلة التي يخيل للناظر المتأمل انها ثنائية الاصل توهماً بالميم الذي زيد فيها كما زيدت الميم في (ابنم) .

ولكن علماء اللغة يشيرون الى أصلها وان كانوا لا يقولون عن هـذه الميم شيئاً كثيراً . جـاء في اللسان : قال الليث : (ألفوه) بضم الفاء أصل بناء تأسيس الفم ، قال أبو منصور ومما يدلك على ان الاصل في فم وفو وفا وفي هاء حذفت من آخرها قولهم للرجل الكثير الأكل (فيّه) ورجل أفوه عظيم الفم طويل الاسنان ... والافواه جمع فوه ... وانما كونه جمع فم فلأن أصل فم فوه فحذفت الهاء كما حذفت من سنة فيمن قال عاملته مسانهة وكما حذفت من شفة ومن عضة ومن أست وبقيت الواو طرفاً متحركة فوجب ابدالها ألفاً لانفتاح ما قبلها فبقيت (فا) ولا يكون الاسم على حرفين احدهما التنوين فأبدل مكانها حرف جلد مشاكل لها وهو الميم لانها شفهيان وفي الميم هُوي في الفم يضارع امتداد الواو [١٩] .

---

١٨ – اللسان ، مادة (بنو) .

١٩ – اللسان ، مادة (فوه) .

وفي اللسان تأويلات اخرى لا تخرج عن هـــذه الشاكلة اذ انها مصنوعة لا تخلو من ألاعيب للتوصل الى معرفة الميم .

والصحيح الذي يغنينا عن هذه الفذلكات هو ما أثبتناه من أن الميم تؤدي وظيفة النون في اللهجات الجنوبية . ورواية الفم بضم الفاء تؤيد هذا، روي عن الفرّاء النحوي ان العرب تقول : قبلها في فُمِها وشُمِها . وجاء في الشعر قول محمد بن ذؤيب العماني الفقيمي :

يا ليتها قد خرجت من فمه حتى يعود الملك في اسطمه

والمتتبع لهذه الميم في العربية يجدها في أمثلة متفرقة في كتب اللغة وكلها مما ينبغي ان يقف عنده الباحث اللغوي . فقد عرفنا ان هناك طريقة للتصغير في الاسماء لا تذكرها كتب الصرف والنحو ، وهذه الطريقة هي الشائعة في الاعلام المغربية كما في خلدون وسحنون وعبدون وجلّون و ... الخ ، وزيادة التصغير في هذه الاسماء هي الواو[٢٠] ، وما النون الا زيادة أخرى زيدت من أجل ألا تنتهي الكلمة بهذا المد الطويل وهي على هذا كالنون في مسلمون ، وعلى هـــذا فاننا نجد طائفة من الاسماء تصغّر هـــذا التصغير ولكنها تختم بالميم عوضاً عن النون ، (والميم والنون صوتان متشابهان متلازمان) .

---

٢٠ – أقول الواو هي علامة التصغير لان الشائع في تصغير الاعلام للتحبب في الاستعمالات الدارجة ان نقول حمود في احمد ومحمد ، ثم نقول حمودي ولعل الياء هي ياء المتكلم اي حمـــود المنسوب الي ، وهذا كثير جداً كحبوب وسعود وزنوبه علماً لانثى .

ومن هذه الكلمات : حلقوم وزردوم وبلعوم وخيشوم[٢١] فالاصل فيها حلق وزرد وبلع وخش .

وتبدو العلاقة بين الميم والنون في اللهجات العربية الحديثة ، فميم الجماعة التي تلحق كاف الخطاب كما في كتابكم تصبح نوناً في اللهجـــة اللبنانية ، اذ يقولون كتابكن ، ومثل هذا كثير في العربية .

٢١ – وقد يكون من هذا حيزوم وكلثوم .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نظرة في التنوين

لقد قيل ان الحقيقة بنت البحث . وربما تم للباحث الصابر الذي لم يحد عن النهج العلمي القويم غرضه ، غــير انه مفتقر الى الوسائل والادوات في بعض الاحايين . والوسائل والادوات في العربية هي مادة الكلام ووسائل التعبير وطرائق الاستعمال ، ولم تتيسر هذه للباحث في لغة العرب على نحو ما تتيسر له في اللغات الاخرى ؛ ذلك ان الكثير لم يصل الينا ، وهو ان وصل افتقر الى الصفة العلمية التاريخية ؛ فقد جاء في الصاحبي لابن فارس « باب القول على ان لغة العرب لم تنته الينا بكليتها وان الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير وان كثيراً من الكلام ذهب بذهاب اهله »[1] .

ويسمى التنوين الذي يلحق الاسم المعرب صرفاً ، والاسم المنون مصروفاً أو منصرفاً . وهذا التنوين يعده النحاة دليلاً على تمكن الاسم في الاسمية تمام التمكن . وقد انتهيت في بحثي السالف الى القول : « ان النون من الاصوات السهلة التي اطمأنت العربية الى السكوت عليها والانقطاع عن الصوت عندها . وربما لمح الى هذا بعض المحدثين بقوله : «ان التنوين قطع للمدّ الممثل بالحركات»[2] . وربما حركت نون التنوين بحركة لمناسبة اقتضت ذلك كالتقاء الساكنين كما قرىء في قوله تعالى : « ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين »[3] . فقد

١ — ابن فارس ، الصاحبي ص ٣٤ .

٢ — العلايلي ، مقدمة في لغة العرب ص ٣٤٣ .

٣ — سورة الحجر ٤٥ - ٤٦ .

حركت نون (عيون) بالكسر. ويرى الدكتور ابراهيم أنيس «ان الذي يعين تلك الحركة هو طبيعة الصوت وايثاره لحركة معينة أو انسجام تلك الحركة مع ما يجاورها من حركات»[٤].

ويقول الاستاذ ابراهيم مصطفى: «ومعنى التنوين غير خفي؛ فهو علامة التنكير. وقد وضعت العرب للتعريف أداة تدخل أول الاسم، وهي «ال»، وجعلت للتنكير علامة تلحقه، وهي التنوين»[٥].

واطلاق القول على هذه الصورة جائر على الحقيقة العلمية التاريخية؛ ذلك ان الاستاذ مصطفى يفترض ان هذا المنهج النحوي هو الوجه الذي اتفقت عليه العرب، ومعنى هذا انه لم يكن في كلام العرب ما يشير الى مراحل أسبق من هذا اللون الذي لا يدل على مستوى عال في التأليف، وذلك بعد أن تضلع من العربية وعلومها جماعــات وقفوا أنفسهم عليها في عصور متأخرة بالنسبة الى العربية التي سلخت عنها القرون الطوال. وسأرجع الى الموضوع فأفصل القول فيه.

المنوّن في الكلام هو الغالب في العربية. والصرف هو التنوين. وهذا مذهب المحققين[٦]. والاصل في الاسم الصرف[٧]. وغير المنوّن هو القليل المعروف في كتب النحو، والذي حصروه في أبواب معروفة، والاسم غير المنون لا بد أن تتوافر فيه علتان من تسع أو عــلة تقوم مقام العلتين، وكل هذا مفصل معروف في كتب النحو، وليست بنا حاجة الى الرجوع اليه. على اننا لا بد ان

---

٤ – ابراهيم انيس، من اسرار اللغة ص ١٧٥.

٥ – ابراهيم مصطفى، احياء النحو ص ١٦٥.

٦ – حاشية الصبان على الاشموني ٢/٢٢٨.

٧ – السيوطي، همع الهوامع ١/٢٤.

نقول ان مسألة العلل المانعة للاسم من الصرف مسألة ينبغي الرجوع اليها بحثاً وتحقيقاً ؛ ذلك ان كثيراً من غير المنوّن من الاسماء قد اختلف فيه ، وربما كان الاسم منوّناً عند بعضهم وغير منوّن عند فريق آخر . وسنعرض لشيء من هذا .

فمن العلل المانعة للصرف عندهم الالف المقصورة للتأنيث وهي علة تقوم مقام علتين ، وطالب النحو يطمئن الى هذا ويجريه مجرى القواعد المقررة ، غير ان الباحث في مظان النحو المطولة يجد شيئاً غير هذا فقد جاء في الكتاب : « وانهم فرقوا بين الالف التي تكون بدلاً من الحرف الذي هو من نفس الكلمة ، والالف التي تلحق ما كان من بنات الثلاث ببنات الاربعة ، وبين هذه الالف التي تجيء للتأنيث . فاما (ذفرى) فقد اختلف العرف فيها فقالوا : ذفرى أسيلة فنونوا ، وهي أقلها ، وقالوا ذفرى أسيلة وكذلك (تترى) فيها لغتان » [8] .

والالف والنون الزائدتان في الوصف علة مانعة لصرف الاسم ان كان مؤنثه على (فعلى) . ذكر الرضى في شرحه على الكافية : « والمطلوب منه انتفاء التاء لان كل ما يجيء منه (فعلى) لا يجيء منه فعلانة في لغتهم ، الا عند بني أسد فانهم يقولون في كل (فعلان) جـــاء منه (فعلى) (فعلانة) ايضاً كغضبانة وسكرانة فيصرفون اذن (فعلان) » [9] .

ولسنا على يقين من أن بني أسد وحدهم على هذه اللغة ؛ ذلك ان اللهجات لم تقيد بأهلها واقليمها ، وكتب اللغة ليست وسيلة يطمأن اليها في هذا الباب .

ثم انهم صرفوا كل ما فيه نون لا يجيء مؤنثه على (فعلى) كما في (عريان) و (سرحان) و (انسان) وقد فرقوا بين النون الزائدة والنون التي هي من

---

٨ — سيبويه ، الكتاب ٢/٨ .

٩ — الرضى ، شرح الكافية ١/٦٠ .

نفس الحرف ، قال سيبويه : « سألت الخليل عن رجل يسمى (مرانا) فقال اصرفه لان المران انما سمي للينة ، وانما المران اللين » [10] .

وقد حملوا على ما فيه حرف التأنيث كل ما آخره همزة قبلها ألف زائدة ، وهذا علة منع الصرف في (أشياء) فهي عند الخليل مقلوبة والاصل (شيآء) [11] . وقد ذكر الرضى في شرح الشافية أن : (أشياء) عند الخليل وسيبويه اسم جمع لا جمع كالقصباء والطرفاء وأصلها شيآء [11] . وقد ذكر الرضى في الشافية أن : (أشياء) عند (أبيات) [12] . وأوضح ان (أشياء) على رأي الكسائي غير ممنوعة من الصرف ومن أجل ذلك لم يركب المركب الخشن الذي لجـأ اليه الخليل وسيبويه في التماس العلة للمنع من الصرف . ومن هذا الباب ما ذكره سيبويه نفسه : « واعلم ان من العرب من يقول : هذا قوباء [13] بالتنوين » [14] .

فقد يجوز للشاعر صرف ما لا ينصرف للضرورة كما جاء في الاشباه والنظائر للسيوطي [15] ، وهو رد للاصل وهو الصرف على رأيه . وابن يعيش يقول : « وجميع ما لا ينصرف يجوز صرفه في الشعر لاتمام القافية واقامة وزنها بزيادة التنوين وهو من أحسن الضرورات » [16] .

---

١٠ - سيبويه ، الكتاب ٢/١١ .

١١ - ابن جني ، المنصف ١/١٠١ .

١٢ - الرضى ، شرح الشافية ٢/٣٣ .

١٣ - القوباء داء معروف (مختار الصحاح) الرازي .

١٤ - سيبويه ، الكتاب ٢/١٠ .

١٥ - السيوطي ، الاشباه والنظائر ٢/٣٢ .

١٦ - ابن يعيش ، شرح المفصل ١/٦٧ .

ويجوز صرف ما لا ينصرف لتناسب أو ضرورة[17] والتناسب نحو قوله تعالى : « وجئتك من سبأ بنبأ »[18] ، وقوله تعالى : « سلاسلا واغلالا »[19] .

وقد بقي من التنوين بقايا في اللهجات الدارجة الحديثة ، وذلك كما في لهجة نجد ، ولعل النون التي تلحق الافعال الجوف المضارعة في لهجة القرويين من جنوبي العراق (العمارة ، الناصرية) ، انما لحقتها اتماماً للفائدة التي تحصل من التنوين في الاسماء وربما كان شيئاً أفاد التنبيه وهو كما في قولهم (أروحن) و (أموتن) ، وقد أسلفت القول فيه في مقالتي السابقة ، والآن أود أن أضيف شيئاً من ذلك ؛ وهو انهم يضيفون هذه النون الى الافعال المضارعة الثلاثية المضعفة ، وذلك في الشعر دون النثر ، يقولون مثلاً (امرن) و (اجرن) ، وربما ألحق التنوين في غير هذه الموضعين ، وذلك في الفعل الثلاثي المضارع وهو في الشعر ايضاً ، وعلة هذا اقامة الوزن كما في الشاهد : (اجلبنك يليلي اثنمش تجليبه)[20] والجيم في الفعل ابدال من القاف .

وأود أن أذكر شيئاً أخيراً عن هذا الجزء من هذه القضية قبل أن أنتقل الى مسألة اخرى ، وهو انهم ينوّنون (ساجدة) و (زاهدة) و (ساهرة) وهي نعوت ، ولكنهم يجردونها عن التنوين ان نقلت للعلمية جرياً مع القاعدة وهي توافر العلتين (العلمية والتأنيث) . وانهم ينوّنون (وردة) و (رملة) وهما اسمان ، وانهم يجردونها عن التنوين نقلاً للعلمية لتوافر العلتين . وانهم ينوّنون المصادر مثل (وصال) و (اقبال) و (هدى) ولكنهم يجردونها عن التنوين ان نقلت للعلمية لتوافر العلتين . وفي كتب النحو شيء من هذا وهو أن

---

١٧ – السيوطي ، همع الهوامع ١/٣٧ .

١٨ – سورة النمل ٢٣ .

١٩ – سورة الانسان ٤ .

٢٠ – على ان النون في هذا الشاهد الاخير هي للتوكيد وليست من النونات السابقة .

(اذينة) و (وعيينة) ، وهما علمان لمذكرين ، ينوّنان لعدم توافر القاعدة فيها ، ولو كانا علمين لمؤنثين لفارقهما التنوين . ومن هذا العرض يتبين ان حرمان الاسم من التنوين مسألة اعتباطية وهي من غير شك من وضع النحويين واللغويين أنفسهم .

وقد ذكر النحويون ان التنوين لا يراعى في مواضع معروفة وذلك لالتقاء الساكنين مثلاً ، وان هذا الحذف كثير في كلام العرب [٢١] . وانهم مثلاً أبعدوا التنوين عن كل اسم غالب وصف بابن ثم اضيف الى اسم غالب أو كنية أو أم وذلك نحو قولك هذا (زيد بن عمرو) وانما حذفوا التنوين من هذا النحو اذا التقى ساكنان . وذلك قولك (اضرب بن زيد) [٢٢] وأنت تريد الخفيفة وقولهم (لد الصلاة) في (لدن) واذا اضطر الشاعر في الاول أجراه على القياس [٢٣] : [الوافر] :

هي ابنتكم وأختكم زعمتم لثعلبة بن نوفـــل بن جسر

وفي كتاب سيبويه باب مـــا يحرك فيه التنوين في الاسماء ويمثل له بقولهم : (هذا زيد بن أخيك) و (هذا زيد ابن اخي عمرو) و (هذا زيد الطويل) و (هذا عمرو الظريف) [٢٤] . وهذا يدل على ان المسألة لم تستقر على حال ، وان من ألف التنوين آثر لسانه التخفيف ولم ينون اتقـــاء الساكنين ، وان من روض لسانه على التنوين فشاع فيه قبله في هذا الباب ايضاً .

---

٢١ -- ابن يعيش ، شرح المفصل ٣٥/٩ .

٢٢ -- اضرب من زيد علم من الاعلام عند سيبويه .

٢٣ -- سيبويه ، الكتاب ١٤٧/٢ .

٢٤ -- المصدر السابق ١٤٨/٢ .

ويحذف التنوين التماساً للخفـــة ، فالمنادى يبنى ولا ينوّن الا في الضرورة بالاجماع [٢٥] .

وأرى تعليل هذا ان الاسم باعتماده على جزء سابق وهو (يا) النداء يكون وحدة صوتية ذات طول معين محدود ، واقتضت هذه الزيادة السابقة حذف التنوين اللاحق التماساً للمحافظة على هذه الوحدة الصوتية الموسيقية بحيث ان الاسم يسلم له هذا التنوين قبل زيادة (يا) .

وعلى هذا الوجه نستطيع أن نعلل نصب لا النافية لما بعدها كنصب ان لما بعدها مع ترك التنوين فنقول مثلا (لا ريب) والريب قبل دخول الاداة كلمة تصلح للتنوين ، ولكنه يفارقها بعد دخول الاداة عليه حفاظاً على هذه الوحدة الصوتية . وتعليل هذا عند النحويين كما في كتاب سيبويه (ان ترك التنوين لازم لانها جُعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشرة وذلك لانها لا تشبه سائر ما ينصب مما ليس باسم وهو الفعل) [٢٦] .

وربما استطعنا ان نلتمس العلة نفسها في مسألة نصب الافعـــال وجزمها ؛ فالفعل (يعملون) مختـــوم بالنون ان لم يسبقه ناصب او جازم ولكنه يفارق النون ان اعتمد على شيء من أدوات الجزم والنصب فنقول : (لم يعملوا) و (لن يعملوا) . وربما حمل على هذا مسألة جزم الفعل المضارع المعتل الآخر ؛ ذلك ان المد في آخره يكون له وهو في حالة الرفع كما يقولون ، ولكن هذا المد يفارقه ان سبقه جازم ، ويبدو ان هذا الجزم من آخر هذه الوحـــدة الصوتية يعادله ما استند عليه الفعل من مادة الاداة .

---

٢٥ — السيوطي ، الهمع ١٧٣/١ .

٢٦ — سيبويه ، الكتاب ٢٤٥/١ .

ولا نستطيع أن نعلل الترخيم في العربية بغير هذه العلة ، ثم ان الحفاظ على هذه الناحية الصوتية مما يحقق التخفيف الذي هدفت اليه العربية في كثير من قوالب الاستعمال .

والترخيم في حقيقته اختصار للكلمة وخرم لهـــا من الآخر تحقيقاً للخفة . وللترخيم مواطن قيدها النحويون في كتبهم، وخصوصاً في النداء نحو (يا حار) بدلاً من (يا حارث) . ولعل من المناسب ان نلحق بباب الترخيم استعمالات كثيرة شاعت في العربية منذ أقدم الازمان ، ومنها (عم صباحاً) ؛ فقد زعموا ان أصلها انعم صباحاً ، ومنها ايضاً (وايم الله) في باب القسم وأصلها (وأيمن الله) [٢٧] .

وحذف النون في هذه الاخيرة التماساً للخفة ، والتماس الخفة سبب في كل حالة يحصل فيها حذف التنوين . وقد فسر الاستاذ ابراهيم مصطفى حرمان العلم من التنوين حين يردف بكلمة (ابن) وينسب الى أبيه، بكونه معيناً تمام التعيين[٢٨] . وليس ابتغاء التخفيف كما ذهب اليه النحويون .

ومعنى هذا انهم ينونون العلم اذا كان فيه معنى التنكير وأردت الاشارة اليه [٢٩] .

وعنـــد الاستاذ ابراهيم مصطفى ان التنوين علامة التنكير كما بيّنا ، والنحويون يمضون التنكير بنوع واحد من انواع التنوين وهو ما يلحق الأعلام المبنية نحو (سيبويه) وما يلحق أسماء الافعال مثل (صه) و (مه) [٣٠] .

---

٢٧ — برجشتراسر ، التطور النحوي ص ١٧٩ .

٢٨ و ٢٩ — ابراهيم مصطفى ، احياء النحو ص ١٧٩ .

٣٠ — ولا معنى لاختصاص هذه المسائل بهذا النوع من التنوين لانه كيف يصح ان يكون التنوين في سيبويه للتنكير ولا يكون في علم آخر . اما اسماء الافعال فاضافة التنوين اليها ربمـا كانت لصيرورتها على ثلاثة احرف بدلاً من الثنائية ، والثلاثي في الكلمات العربية اسهل في الدرج والوصل من الثنائي ، وعلى هذا الاساس يمكن تفسير زيادة الفاء في (فقط) .

وليس الاستاذ ابراهيم مصطفى بدعاً في هذه الدعوى ، فقد سبقه لغويون أشاروا الى ان التنوين دال على التنكير ، ومن هؤلاء ابن جني الذي يعقد باباً للتنكير والتعريف في (الخصائص) ولكنه لا يتقيد باللغة في منهجه ، ومعنى هذا انه يلجأ الى اسلوب فيه كثير من المحاكمة المنطقية العقلية التي هي أبعد ما تكون عن المنهج اللغوي الصحيح . يقول ابن جني : « ان التضاد في هذه اللغة جار مجرى التضاد عند ذوي (الكلام) فاذا ترادف الضدان في شيء منها كان الحكم منها للطارىء ، فأزال الاول ، وذلك كلام التعريف اذا دخل على المنوّن حذف تنوينه كرجل والرجل . وذلك ان اللام للتعريف ، والتنوين من دلائل التنكير فلما ترادفا على الكلمة تضادا ، فكان الحكم لطارئهما وهو اللام [٣١] .

ولا يفارقهم هذا المنهج العقلي فقد قرروا : « ان أصل الاسماء ان تكون نكرات ولذلك كانت المعرفة ذات علامة وافتقار الى وضع لنقلها عن الاصل»[٣٢] . والتعريف على هذا فرع من التنكير ، وان النكرة سابقة على المعرفة ، وان مسمى النكرة أسبق في الذهن من مسمى المعرفة بدليل طريان التعريف على التنكير .

ويتبيّن من هذا انهم خصّوا التنكير بعلامة تفتقر اليه وهو التنوين . اذاً فكيف يتسنى لهم ان يؤكدوا سبق التنكير على التعريف .

وقد فصلوا في التفريق بين المعرفة والنكرة مستخدمين المنطق أداة في الحكم على ما يريدون ، فمن ذلك قولهم : « ان لفظ (شيء) و (معلوم) يقع على المعرفة والنكرة ، واندراج المعرفة تحت عمومها دليل على اصالتها كاصالة العام بالنسبة الى الخاص ، فان الانسان مندرج تحت الحيوان لكونه نوعاً والجنس أصل لأنواعه » [٣٣] .

---

٣١ – ابن جني ، الخصائص ٢/٦٢ .

٣٢ – السيوطي ، الاشباه والنظائر ٢/٣٤ .

٣٣ – المصدر السابق .

وأرى ان النحويين واللغويين القدامى لم يفلحوا في التفريق بين المعرفة والنكرة ، فقد أطلقوا هذه الفروق ولم يستطيعوا ان يتبينوها بدقة تامة . فقد ذكروا في باب المبتدأ والخبر ان شرط الابتداء التعريف ، فاذا جاء المبتدأ نكرة اشترطوا الافادة في هذه النكرة ، والافادة معروفة مقيدة بمواضعها في كتبهم ، ثم انهم وجدوا ان في كلام العرب ما يند عن هذا فقد جاء المبتدأ نكرة من غير التزام الافادة . ومعنى هذا ان النكرة كما حددوها في اصطلاحهم تجري مجرى المعرفة او قل هي والمعرفة سواء بسواء، والى هذا أشار ابن مالك في الارجوزة:

وقس وكاستفهام النفي وقد يجوز نحو فائز أولو الرشد

والذي أريد من هذا ان التعريف باللام وان التنكير بالتنوين شيء واحد ، والذي يعين في إثبات صحة هذه الدعوى ما نجده في اللغة الاكدية العتيقة كنصوص (حمورابي) من (التمييم) الذي يقابل التنوين ، والتمييم في تلك النصوص لا يقيد الكلمة بالتنكير ، فهو يدخل على الألفاظ عموماً ، لا فرق بين معرفة ونكرة كما انه لا يوجد اداة للتعريف .

واتصال التعريف بالتنكير وتبادلهما حاصل في اللغة الآرامية ، وذلك ان اداة التعريف كانت في الآرامية العتيقة فتحة ممدودة ملحقة بآخر الكلمة نحو (Sum) أي اسم و (Sma) أي الاسم وربما كان أصل الفتحة المدودة (ha) التي هي آلة التعريف في العبرية والتي توضع في اول الكلمة [٣٤] .

وان الفتحة في آخر الكلمات السريانية شيء من هذا ايضاً فربما كانت للتعريف ثم فقدت هذا الاختصاص فصارت تلحق بالكلمة معرفة او نكرة على السواء .

ولو كان التنوين مقيداً بالتنكير لكان من العسير علينا فهم الاعلام التي تقبل هذا التنوين ، وهذه الطائفة من الاعلام هي أكثر الاعلام في العربية .

---

٣٤ — برجشترامسر ، التطور النحوي ص ٧٧ .

ومكان أداة التعريف هـــو آخر الاسم في كثير من اللغات السامية ، ففي لغات اليمن الجنوبية ان « آن » أداة التعريف وهي تلحق الآخر [٣٥] . وربما كانت هذه هي « هن » كما في العبرية القديمة . ثم بدلت مكانها فصارت تتصدر الاسم كما في اللهجة الصفوية والثمودية مثل « هجمل » ومعناه الجمل و « هبيت » ومعناه « البيت » . والتشديد في الحرف من الكلمة دليل على النون المحذوفة كما هي الحال في العبرية .

ولما غيّرت هذه الاداة مكانها خصت الكلمة المنكرة بالميم للتفريق .

واللحيانية ايضاً تتوصل الى التعريف بالهاء المفتوحة في اول الكلمة على انه وجد في النقوش أداة التعريف في كلمة منونة وذلك «هصلمن» ومعناه الصنم [٣٦] .

وربما كانت هذه الاداة هي الهمزة والميم في لغة حمير من لغات الجنوب كما تذكر النصوص العربية . ويبدو من هـــذا العرض ان النون والميم متقاربان متبادلان . فقد روى النمر بن تولب الحديث المشهور : « ليس من امبر امصيام في امسفر » [٣٧] .

وتنفرد العربية الشمالية عن أخواتها بهذه الاداة ، ولكن الناظر في الاسانيد يجد ان النحويين على خلاف ، فان « أل » بجملتها حرف تعريف عند الخليل وسيبويه [٣٨] . وعن الرضى الاستراباذي في شرحه ان اللام وحدها أداة التعريف

---

٣٥ — اغناطيوس غويدي ، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ص ١٤ .

٣٦ — جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ٢١٢/٧ .

٣٧ — ابن يعيش ، شرح المفصل ، (الطبعة الاوروبية ص ١٢٢ . العيني ٤٦٥/١ . مسند احمد ٣/٥) ٤٣ . الرضى ، شرح الكافية ١٣١/٢ .

٣٨ — حاشية الصبان ١٧٦/١ .

عند سيبويه [39] وذكر المبرد في كتاب الشافي ان حرف التعريف الهمزة المفتوحة وحدها وانما ضم اللام اليها لئلا يشتبه التعريف بالاستفهام [40] على اننا نرى أن اللام ربما كان بدلاً من النون التي وجدناها في اللغات السامية ، كما ان هذه اللام قد تطوى في اللفظ مع الحروف الشمسية ، ويقتضي هذا الطي نوعاً من التشديد والضغط [41] على المقطع الاول

ونستطيع ان نخلص الى القول ان التنوين او التمييم — وهي أداة صوتية في آخر الكلمة — ربما قصد بها التنبيه والاشارة ثم فقدت مكانها فصارت « أل » في اول الكلمات للتعريف . ولا حاجة لنا ان نطيل الجدل في مسألة التعريف والتنكير بالوجه الذي عرفناه في كتب النحو . وينبني على هذا اننا لا نستطيع الجمع بين « أل » و « التنوين » في كلمة واحدة لانهما يدلان على شيء واحد ولان طبيعة الكلمة العربية او وحدتها الصوتية لا تسمح بالجمع بينهما في لفظ واحد .

ولا بد من كلمة اخيرة في هذا الموضوع ، وذلك ان التنوين ربما توهم فيه فظنوه نوناً كما في كلمة « تضامن » اذ الاصل فيها « تضام » بالتنوين من الضم الذي يفيد الجمع . وعلى هذا الاساس نستطيع فهم « صلدم » فالميم فيها من هذه الزيادة اي الغرض « التمييم » مقابلة للتنوين وليست من « صلد » و « صدم » كما ذهب اليه ابن فارس .

وقد أضيف التنوين الى طائفة من الادوات لفظاً وخطاً فأضاف اليها معاني جديدة او قل اختصاصات جديدة ، ومنها « ما » الموصولة التي اصبحت « من »

---

٣٩ — الرضي ، شرح الكافية ٢/١٣٠ .

٤٠ — المصدر السابق .

٤١ — لم تعالج مسألة الضغط Stress في اللغة العربية، ومن ثم لم تعالج مسألة المقاطع فيها .

وقيدت بالعاقل وان ورد في فصيح العربية ان الاولى استعملت وأريـــد بها العاقل كقوله تعالى : « سبح لله » .

ومن هذه الادوات (اذا) التي أفادها التنوين شيئاً آخر فصارت (اذاً) أو (أذن) .

ومن هذه الادوات (لا) التي أصبحت مع النون (لن) [٤٢] ، وقيدت بمعنى خاص وهو كونها لنفي المستقبل ، ويرى الخليل ان (لن) مركبة من (لا) و « ان » [٤٣] .

وربما استطعنا أن نقول ان « لن » و « لم » من حقيقة واحـــدة ولكن الاستعمال قد خص كلا منهما باستعمال خاص .

---

٤٢ – ابن فارس ، الصاحبي ص ١٣٦ .

٤٣ – ابن عقيل ، باب النواصب .

بحوث في اللغة

١ – صلة العربية بين المولد الجديد والمصطلح الفني :

بعدت الشقة بيننا وبين فصيح العربية حتى غدونا وكأننا لسنا من العربية في شيء. أو قل كأن العربية غريبة عنا، نستعين عليها بالدرس. وكثرت الشكوى من صعوبة هذه اللغة، فظهرت للناس محاولات التيسير في كل مكان، ولكن جل هذه لم يأت بطائل، ولذلك اصوله وأسبابه، ومنه ان الناس لا تلوك ألسنتهم هذه الفصيحة، فهي غريبة عنهم. وقد استبدلوا بالفصيحة لغة اخرى أو قل لغات، وهي ألسنة عامية دارجة.

ولعلي أبتعد عن الصواب اذا استعملنا كلمة «استبدلوا» ذلك ان الفصيحة لم تكن دائرة على ألسنتهم قبل ظهور اللغات الدارجة، أو ان هذه قد تغلبت على الفصيحة فهزمتها. فقد درج الناس على لغات محلية أو قل لهجات تبتعد عن الفصيح كثيراً، وان نسبة ابتعادها تختلف من لهجة الى اخرى. وان الناس يتعلمون الفصيحة كما يتعلمون أية لغة غريبة أخرى، وتعلم هذه ضرورة تستدعيها امور كثيرة معروفة.

وقد كان من رسوخ الدارجة العامية عند الناس وابتعادهم عن الفصيحة أنهم صاروا اذا أثقلوا على ألسنتهم وجاروا عليها فتكلموا في الفصيح، اسمعوا من هذا الفصيح شيئاً فيه كثير من النبرات الصوتية Phonétique Accents التي لا توجد الا في الدارج من اللهجات، بحيث بات من السهل على العارف بالاصوات

والقوانين الصوتية أن يميـــز بين المتكلمين عندنا في العراق كأن يردّ أحدهم للموصل ، والآخر للبصرة ، وآخر لبعقوبة من لواء ديالي مثلاً .

ويظهر ذلك في كلامهم اذا استعملوا اللغة الفصيحة ، ذلك ان الفصيح لم يكن سلساً على ألسنتهم ولم يتهيأ له الجهاز الصوتي عندهم ، ومن أجل هذا فقد أبقت فيه الدارجة كثيراً من الآثار والميزات اللغوية .

ولقد هزلت العربية ، وضاقت بأهلها ، في بعض الاقاليم من دنيا العرب ، في أيامنا هذه . وقد بدأ ضيق هذه اللغـــة في مطلع هذا العصر ، حين طلعت علينا المدنية الحديثة بعلومها وأفانينها ، وصرنا لا نجـــد في لغتنا ما يقابل المصطلحات الفنية مثلاً عند الغربيين . ومن اجل هذا ، صار كل مختص يتخذ له مصطلحات يعمل على أن تشيع بين الناس ، وهي بذلك اما أن يكتب لها البقاء ، وأما أن تفنى ، والبقاء والفناء راجع للمصطلحات نفسها .

والجدير بهؤلاء أن يفيدوا من الوسائل التي أفادت العربية منها كالنحت والتركيب كما في قولهم « البرمائيات » و « الحيمن » و « لاسلكي » و « لاديني » مثلاً . وقديمـــاً استفادت العربية من هذه الوسيلة فكلمة « رأس مال » والتي استحالت في الرسم الى « رأسمال » حين اقتضت الضرورة العلمية ، وحين شاعت الكلمة لحاجة العلم اليها ، اقول ان هذه الكلمة من ألفاظ القرآن الكريم وقد جاءت بلفظ الجمع « رؤس أموال » كما في الآية « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »[1] .

والتركيب والنحت من المسائل الشائعة في العربية في سائر عصورها وقد

---

١ – سورة البقرة ٢٧٩ .

أفادت العربية منه كثيراً . والمتصدي كثيراً لموضوع الاصطلاح يلزمه معرفة العربية وصيغها واشتقاقها ليفيد منها في هذا الميدان [٢] .

وقد قرأت للكاتب كمال يوسف الحـــاج رسالة في « القومية والانسانية » فخشيت على العربية من أسلوبه الذي يعمل على اشاعته بين الناس قصداً منه في ذلك ، وارضاء لفكرة طائشة ضالة مضلة ، خدمة لمبدأ معين هو ضد القومية العربية . والعربية عنده لغة هزيلة تتعثر في تيهاء مضلة بين المولد الجديد التافه وبين المصطلح العلمي الفني الذي لا يقوم على أساس .

ولقد وددت أن اسجل للقارىء شيئاً من هذه الاستعمالات تنبيهاً له وخدمة للعربية ورعاية لما يقتضيه البحث العلمي في اللغة . وربما كان في هذا التسجيل مثاراً للضحك على هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون .

يستعمل « الكاتب » « المتبرجمين » على طريقة النحت لمن ينسبهم « للبرج العاجي » . ويحلو له أن يشتق من « الشخصية » [٣] وهي اصطلاح فلسفي مقابل لـ Personalisme فعلاً هو « تشخصن » .

ويدخل في هذا الباب قوله « يتجمعن » للذي يدخل في المجتمع او يلتزم بالفلسفة الاجتماعية .

وهو يعرف الكلمة الافرنجية الفلسفية « Phenoménologie » بالمظهرية والكلمة من اصل اغريقي « Phainomenon » وتعني الظاهرة ، وهذا ما حدا بكاتب لبناني آخر أن ينقلها الى « الظاهراتية » . وأنا أرى ان الحفاظ على الكلمة

---

٢ — محاضرة للدكتور مصطفى جواد في مؤتمر المجاميع العربية لسنة ١٩٥٧ ، عنوانها : « وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها » .

٣ — عرّب غيره هـــذا المصطلح الاوروبي بقوله : « الشخصانية » ، وهو نوع من انواع العبث والجهل .

الافرنجية وذلك بصقلها وصيرورتها بوزن لا تأباه العربية ، ولنا في الفسلجة أو قل حتى « السكلجة » تجربة وفائدة .

وقد قرأت مقالة اخرى للسيد الحاج [4] ، والمقالة من هذا النوع الذي لا يحمل الا على العبث والجهل بالاصول ، وهي بعد هذا مثيرة للضحك والاشفاق . وعنوان المقالة « سعادة الفيلسوف » ويريد بذلك « انطون سعادة » .

يقول الكاتب ما نصه :

ان امة لا تتفلسف هي امة تتقزم ، هي امة تتصعلك ، لا يقبلها التاريخ الاكبر في قدس اقداسه ، انها امة مدعوسة ...

ثم يقول :

سعادة ما جاء يتسيس [5] افقياً لقد كان كبيراً وكبيراً في سياسته ، لقد تسيس عامودياً . مثله كمثل النسر الذي يحلــق في الجو الفسيح ، النسر لا يتأرض [6] ...

ثم يقول :

كان يغير من فوق ، بل من فوق الفوق [7] على مساحب الزمان ومرابط المكان .

---

٤ — مجلة « المجلة اللبنانية »، العدد الثاني ، آذار ١٩٥٨ .

٥ — اشتق الفعل « تسيس » من المصدر « سياسة » ولا أدري ما معنى افقياً او عامودياً .

٦ — اشتق الفعل « يتأرض » من الاسم « أرض » .

٧ — من فوق الفوق ، استعمال عامي تافه .

ثم يقول :

يومها تأنسنت [٨] قوميلنا .

ويقول :

الجو يتمظهر وجودات الانسانية التي تتجسد قوميات . . . .

ثم يقول :

الحب يجب ان يتبدّن [٩] . . . .

ثم يقول :

الحرية اللاواجبة هي التي تلسنسن كيفما كانيا [١٠] . . . .

ثم يقول :

القوة هي من جوانيات [١١] النفس البشرية . . . .

ولا حاجة بي أن اعلق كثيراً على هذه اللغة الكسيحة المتعثرة ، وربما كان في نفس كاتبها قصد ان ينزل بالعربية الى هذا الدرك .

وليس الكاتب « الحاج » وحده في هذه السبيل ، فهناك زمرة تدين بهذا

---

٨ – اشتق الفعل « تأنسن » من الاسم « إنسان » .

٩ – اشتق الفعل « تبدن » من الاسم « بدن » .

١٠ – استعمل الفعل « تسنسن » ، ولا أدري من اين جاء بها ثم ركب قولهم : « كيف ما كان » وصاغ منها كلمة واحدة ثم نصبها على الحال .

١١ – يريد بالجوانيات ، « الداخلية » وهو يستعمل في مكان آخر المجتمع البراني والمجتمع الجواني للخارجي والداخلي ، وهي ألفاظ عامية دارجة .

المذهب ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر لبناني آخر يقول الشعر اسمه يوسف الخال وهذا يستعمل الدارج في قصائد له .

جاء في قصيدة أسماها « العودة »[١٢] :

غداً يعود سيدي .

شراعه كغيمة بيضاء عند الشفق .

أعرفه متى يلوح ، كيف لا ؟

خيوطه أنا الغزلتها اصابعي

. . . .

. . . .

يعود يا هلا !

من المجاهل الوراء قبرص الحبيبة .

فقد استعمل « الغزلتها » بادخال « أل » الموصولة على الفعل ولا أظنه استعمل الفصيح المعروف[١٣] او ان الفصيح كان حاضراً في ذهنه وانما نقل العامية الدارجة ، وذلك لانه استعمل كلمة « اللي » العامية التي تقابل « الذي » في نقده لديوان « من الشعر الشعبي » فقال : « الجيل اللي خرج من الحرب الاخيرة انفتح على تيارات شعرية جيدة » .

---

١٢ – مجلة « شعر » ، في العدد الرابع ، أيلول لسنة ١٩٥٧ .

١٣ – جاء في الاستعمالات القديمة « ما انت بالحكم الترضى حكومته » .

٢ – مكانة الجديد في اللغة :

اذا قلت للقارىء الكريم : ان اللغة مادة تظهر المجتمع الانساني على حقيقته، وهي وثيقة الصلة بالانسان وبيئته ، فما أتيت بجديد ، ذلك ان هذا الموضوع قد بحثه ذوو الاختصاص من العلماء في عصورنا الحديثة فكتبوا فيه ، بله القدامى . وقد استعان على هذا الموضوع غير المعنيين بعلوم اللغات ، فقد قال فيه أهـــل الاجتماع وأهل الفلسفة . وللموضوع جوانب كثيرة ، وأبواب متعددة . فاللغة أساس كل أنواع النشاط الثقافي ، وهي بذلك خير دليل يهتدي به الباحث الى معالم اي من المجتمعات الحديثة [١٤] .

ونستطيع ان نتبيّن هذا في لغتنا العربية ، ذلك اننا نفيد من هذه العربية شيئاً كثيراً مما يتميز به المجتمع العربي في حقبة من أحقابه ، اذ ليس لمن يريد ان يبحث في المجتمع الاسلامي ، في القرن الاول الهجري ويتبيّن المستوى الفكري فيه ، الا ان يعرف معاني المصطلحات التي جاء بها الاسلام ، والتي استطاعت العربية ان تكون لها معبراً صحيحاً [١٥] .

ولعل ما بقي لدينا من الادب الجاهلي مما يطمئن الباحث الى صحته وضبطه، لدليل يهتدى به لمعرفة المجتمع الجاهلي في العادات والتقاليد وطرائق التفكير .

فاللغة لا تقتصر على كونها وسيلة من وسائل الثقافة ، وانما هي أساس كل نشاط ثقافي . « ففي كل مجتمع ، مهما كانت طبيعته وسعته ، تلعب اللغة دوراً ذا أهمية أساسية ، اذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع وهي في الوقت نفسه رمز الى حياتهم المشتركة وضمان لها .

---

١٤ – Block and Tauger, Outline of Linguistic Analysis, p. 5.

١٥ – الرازي ، كتاب الزينة، وهو من الكتب التي تبحث في الالفاظ التي جدت في العربية بمجيء الاسلام .

فما الاداة التي يمكن ان تكون اكثر كفاية من اللغة في تأكيـــد خصائص الجماعة ؟ فهي في مرونتها ويسرها وامتلائها بالظلال الدقيقـــة المعاني تصلح لاستعمالات مختلفة متشعبة وتقف موقف الرابطة التي توحد اعضـــاء الجماعة ، فتكون العلاقة التي بها يعرفون ، والنسب الذي اليه ينتسبون »[١٦] .

وليست اللغة رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه ، وانما هي عامل مهم للترابط بين جيل وجيل .

واللغة من صنع الناس انفسهم يضعون مقاييسها فتجري عليها ألسنتهم ، ثم ان هذه المقاييس ليست شيئاً ثابتاً لا يقبل التبديل والتغيير . ذلك ان المجتمع الانساني متغير متطور ابداً .

بيد ان الذين أقاموا أنفسهم حماة للعربية في جميع أطوارها لم يتفهموا سنة التطور ولم يقبلوا الجديد . فاللغويون والنحويون من العرب يحصرون الفصيح من اللغة بعصور معينة لا تتعدى صدر الاسلام ، وهذه الحقيقة هي ما يصح ان يحتج بكلامها ، فلم يجيزوا الاحتجاج بلغة الفرزدق الشاعر . ومن أجل هذا وقع للفرزدق مع عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي النحوي ما وقع ، فقد جاء في قصيدة للفرزدق :

وعض زماناً يا ابن مروان لم يدع   من المال الا مسحتا او مجلف

وكأن النحوي لم يرتض هذا البيت ورأى فيه خروجاً على القاعدة النحوية ، فقال للفرزدق : « على اي شيء ترفع او مجلف ؟ فقال الفرزدق : على مـــا يسوؤك وينوؤك »[١٧] . وفي مكان آخر عقب الفرزدق على قوله السالف بقوله : علينا أن نقول وعليكم ان تتأولوا .

---

١٦ – J. Vendryes, Language, p. 240

١٧ – ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ٢٤ .

وليس الحضرمي بدعاً بين اللغويين النحاة عند العرب ، فقد ذكر أبو حاتم السجستاني : سألت الاصمعي : أتقول في التهديد (أبرق وارعـــد) قال : لا ، لست أقول ذلك الا اني أرى البرق واسمع الرعد . قلت: قال الشاعر الكميت :

ابرق وارعد يا يزيد   فما وعيدك لي بضائر

قال الكميت جرمقاني من اهل الموصل ليس بحجة ، ولكن الحجة هـــو الذي يقول :

اذا جاوزت عن ذات عرق ثنية   فقل لأبي قابوس ما شئت فارعد

وهو شاعر جاهلي وشاعرك هذا متأخر لا يؤخذ بقوله . قال ابو حاتم : فأتيت أبا زيد الانصاري وقلت له : كيف تقول من البرق والرعـــد : فعلت السماء ؟؟ قال : « رعدت وبرقت » . قلت : فمن التهديد ؟ قال : « رعـــد وبرق ، وارعد وابرق » فأجاز اللغتين . ثم سألت اعرابياً فصيحاً فأجاز اللغتين ايضاً ولم يجز الاصمعي الا لغة واحدة [18] .

وكان الاصمعي ينكر كلمة « زوجة » ويقول « زوج » ويحتج بقوله تعالى : « أمسك عليك زوجك » فقيل ان الشاعر ذو الرمة يقول :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة   أراك لها في البصرة اليــوم ثاويا

فقال ذو الرمــــة : ليس بحجة ، اذ طالما أكل البقل والمالح في حوانيت البقالين . وفي نوادر أبي زيد : كان الاصمعي ينكر « هي زوجتي » [19] .

ويقول ابن جني : كان الاصمعي ليس ممن ينشط للمقاييس وانه معروف بقلة انبعاثه في النظر وتوفره على ما يرى ويحفظ [20] . وابن جني من علماء القرن

١٨ — القالي ، الامالي ١/٩ .
١٩ — السيوطي ، المزهر ١/٢١٤ .
٢٠ — ابن جني ، الخصائص ١/٣٦٦ .

الرابع الهجري وهو العصر الذي يمنع ما قيس على كلام العرب أن يكون من كلام العرب [21] .

ومن أجل هذا فكتب اللغة والمعجمات المطولات يجب أن تكون سجلاً للاستعمالات اللغوية . وإذا أريد منها أن تتحكم في الاستعمال لم تصبح وصفاً للاستعمال الفعلي للغة ، وانما أصبحت معايير يقاس بها « خير استعمالات الكلمات » [22] .

ولم يكن لغويو العرب بدعاً في هذا الميدان ، فقد وقع النحاة الرومان في مثل هذه الغلطة حين جمعوا استعمالات اللغة بين عصور شيشرون واغسطس ، وما قبل ذلك كعهد بلاوطوس وترنسي ، وما بعد ذلك كعهد سنكا الامبراطوري [23] .

وقد فعل مثل هذا نحاة الاغريق الذين بنوا نحوهم على اللهجة الاتيكية [24] . والنحو عند هؤلاء جميعاً قواعد تنبني على أساسها الجمل . وليس شيئاً من هذا الذي عند علماء اللغة في العصر الحديث . فهو : علم يصف طرق الاستعمال اللغوي في مرحلة خاصة من مراحل تاريخ اللغة المدروسة [25] .

وما دمنا آخذين بهذه النظرة الواسعة ، وما دمنا كذلك نعطي الاستعمال قيمته ومكانته في اللغة فلا بد أن نقيد الجديد في اللغة بعصره وظرفه غير مبالغين بكونه خارجاً عما ألف الناس من الفصيح المشهور .

---

٢١ – المصدر السابق ص ٣٦٢ .

٢٢ – Jesperson, Language, its N., D. and O., p. 25.

٢٣ – Sturtevant, p. 53.

٢٤ – المصدر السابق .

٢٥ – J. Marouzeau, Lexique de la terminologie Linguistique p. 102

ودونك مثالاً على ما أقول :

من يلتبع الاحاديث والتعليقات التي تذيعها دار الاذاعة ، وله بصر باللغة والاستعمالات يعجب من شيء جديد التزمته لغة التعليقات على لسان أحد مذيعيها وهذا الشيء هو كثرة استعمال المصدر مجموعاً جمع مؤنث سالماً ، فقد ورد فيها ما يأتي :

١ — النجاحات .
٢ — النشاطات .
٣ — النضالات .
٤ — التمردات .
٥ — العصيانات .

وشيء غير هذا . وليس جمع المصدر بالمألوف كثيراً في العربية . ذلك ان ما جمع من المصادر في العربية هو الحدث من حيث كونه اصطلاحاً نحوياً ولكنه انتقل من صورة الحدث الى صورة الجمود فاستحال الى اسم بعيد عن الحدثية ، والاستعمال مرد هذا التوسع اللغوي . فالتعليقات جمع تعليق والتعليق ليس الحدث وانما هو المادة المكتوبة المعروفة التي علق بها على شيء آخر . ومثل هذا : الترتيبات والاستقالات والاصطدامات وغيرها هذا . وبديهي ان الاصطدامات لا تعطي فكرة الحدث بقدر ما تعطي صورة الاصطدام بين طرفين متنازعين .

ويؤيد هذا قوله تعالى : « الخيرات » فقد وردت في عشر آيات وهي جمع خير وكلمة « خـــير » في العربية اسم تفضيل توسع فيها فأفادت المصدرية واستعملت استعمال المصدر ، أما استعمالها في القرآن في الآيات العشر فلا يفيد المصدرية اذ هي مجموعة على «خيرات» والخيرات معروفة المعنى وليست بالحدث مطلقاً ، وانما تنصرف الى النواحي المادية من فعل الخير . كما في قوله تعالى « فاستبقوا الخيرات » [٢٦] .

---

٢٦ — البقرة ١٤٨ .

أما الجموع التي وردت على لسان المذيع في تعليقاته السياسية فهي جديدة ، ومن حق جدتها أن تسجل لانها تضيف استعمالاً جديداً . ومصدر طرافتها وجدتها انها تولدت عن طريق الترجمة غالباً ، فهي مقابل لكلمات أجنبية استعملت كثيراً في لغاتها وشاعت في لغات اخرى عن هذا الطريق . وهذه في لغاتها التي انتقلت منها لم تكن لتفيد الحدث بل هي أسماء . فالنضالات (Lutts) لا تفيد الحدث بل هي اسم . أما الحدث فهو (Lutter) .

ومصدر جدتها ايضاً ، انها لم تكن قد استقرت في الاستعمال أو انها انتقلت من كونها احداثاً الى انها أسماء بحيث تعامل معاملة الاصطدامات والتعليقات وما أشبه ذلك .

ولا اريد هنا أن اسجل مخالفة في الاستعمال اللغوي جرياً على تخطئة ما لم يشهر من الفصيح المعروف ، بل اريد أن اسجل تاريخ هذه الاستعمالات وكيف اضيفت الى العربية .

ولا يفوتني أن اذكر اني سمعت على لسان أحد شهود « محكمة الشعب » انه استعمل « تعاونات » وهذا يدخل في هذا الباب ايضاً .

٣ – هجرة الالفاظ :

لعلك تدهش ان عرفت ان الالفاظ تنتقل انتقال الناس في اطراف هذه الدنيا ، ذلك انك لم تألف عنواناً كهذا العنوان الذي نثبته اليوم . فقد عرفت ان الهجرة من خواص الناس ، وان الهجرة ايضاً من عادات الطيور ، وأنا أقول لك اليوم ان الالفاظ تهاجر وتعود الى أوطانها . واللغة شأنها شأن فروع المعرفة الاخرى تنتقل بين الناس ، فليست المعرفة ملك أحد دون آخر ، وليس من أمة امتلكت ناصية العلم ولم يشركها في الامر أمة اخرى ، ذلك ان التراث الانساني محصول طائفة كبيرة من الامم ، على ان هذه غير متساوية في الحظوظ ، وفيما أمدت العلم بانجازها .

واللغات متداخلة ببعضها ، ولعل من دلالة الحيوية في اللغات انها تتقبل من غيرها من اللغات كلما جدت الحاجة الى هذا . ولقد حدث ان دخل في العربية مادة غريبة وافرة من اصول عدة فيها الاغريقي واللاتيني والفارسي بله المواد ذات الاصول السامية التي لا نحسبها من الدخيل ، ذلك ان أسرة هذه اللغات جميعها ، مشتركة في الذي تشتمل عليه من أصول .

والذي نعلمه ان العربية أمدت اللغات الاخرى بمـــواد كثيرة في مختلف العصور ، وليس أمر الدخيل العربي في الفارسية والتركية بمسير ، على ان لغات اخرى قد أخذت من العربية في ظروف متأخرة مواد كثيرة ، ومن هذه ما شاع منها في اللغات الاوروبية الحديثة ، ولعل تاريخ هذه الظاهرة اللغوية يرجع الى أزمنة الحروب الصليبية وما بعدها ، ولعل شيئاً من هذا قد حدث قبل هذا التاريخ ايضاً . ويستطيع الباحث أن يحصي مواد عربية في كثير من اللغات الاوروبية الحديثة أخذتها هذه اللغات عن العربية مباشرة ، دون أن يكون هناك حلقة مفقودة أو وسيطاً آخر لاتينياً او اغريقياً .

والذي جرى في هذه اللغات الاوروبية في هذه العصور ، حدث مثله في العربية فقد أخذت العربية كلمات افرنجية واستعملتها كثيراً وأجرت عليها قواعد العربية من تثنية وجمع وربما أخضعتها لقواعد الاشتقاق حتى أحالتها وكأنها عربية بالاصالة .

فقد جاء في احدى معاقدات صلاح الدين الايوبي مع الافرنج سنة ٥٨٧ هـ استعماله كلمة (Terme) وتعني هذه الكلمة « الحد والاجل ، والامد ، والقسط » ، وقد جاءت على « تروم » أي الجمع فقد جمعت كما يجمع « فعل » مفتوح الفاء ساكن العين على فعول [٢٧] . وما زالت الكلمة مستعملة عند عرب فلسطين في هذه الايام ، وهي تعني عندهم الموسم . ولا نريد في هذا المختصر أن نأتي على هذه المواد ، ذلك اننا سقنا هذه على سبيل المثال لنخلص منها الى شيء آخر

---

٢٧ – انظر الدكتور مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ١١٨ .

هو ان الالفاظ تجاوز اوطانها ثم تعود ، وهي لا تسلم في هذه الحركة الطويلة من تغيير في المعنى والاستعمال والشكل ، ومثـــل هذا حدث في ألفاظ عربية استعملتها الفارسية في غير معانيها ، وقد لبست في الفارسية ثوباً جديداً ، فكلمة « تماشي » لا تدل على مطلق المشي وانما تستفيد في الفارسية خصوصية في المعنى نجدها في الكلمة الدارجة عند قسم من العراقيين باستعمالهم «يتطمش» والتطميش والطماشة لا يدلان على المشي المعروف .

وقد استخدمت الفارسية كلمة (التهور) العربية ولكنها استفادت شيئاً آخر لا نجده في العربية ، وهو الشجاعة ، ومعلوم ان الشجاعة غير التهور في العربية .

وقد أخذ الاوروبيون كلمات عربية ، وشاعت في لغاتهم وما زالت مستعملة حتى يومنا هذا ولكنهم أطلقوها على دلالات غريبة بعيـــدة عن معناها في العربية .

ومن هذه الكلمات كلمة (الكحول) فقد دخلت اللغات الاوروبية بواسطة اللغة الاسبانية ، ولكنها استعملت للدلالة على المواد الروحية (Spirits) ، ثم عادت الى الشرق مستعملة في لغة العلم الحديثة ، واستعملها العرب الاستعمال الاوروبي نفسه ، ولم يفطن هؤلاء الى ان الكلمة جاءت من أصل عربي وهو « الكحل » والكحل ما تكحل به العين ، وهو معروف ولم يشتهر جمعه في العربية . واحسب ان صيغة الجمـــع جاءت من اشباع ضمة الحاء في المفرد (كُحُل) ، أما لزوم الالف واللام في الكلمة فلا تفيد تعريفاً واحسبها كالالف واللام في « الحسين » و « العباس » وسبب الالف واللام راجع الى ان الكلمات العربية التي انتقلت الى اللغات الاوروبية عن طريق اللغة الاسبانية صدرت بهذه الاداة بصورة عامة ، وانت اذا استقريت الاصول العربية في اللغات الاسبانية وجدتها محلاة بالاداة كالقنطرة والحمراء وغير هذا .

وقد أخذت اللغات الاوروبية كلمة « الجوسق » وتعني البيت ، والجوسق في العربية معرب فارسي[28] وفي اللغات الاوروبية بلفظ (Kiosque) للبيت الصغير كالذي يتخذ لبيع الصحف ، ثم وردتنا هذه الكلمة مع الالفاظ الاوروبية الدخيلة بلفظ « كشك » ، وصارت مستعملة في العربية الحديثة ، وقد شاعت قبل هذه السنين في أقاليم محدودة من أقطـــار العربية كمصر ولبنان ثم عم استعمالها .

ولعل كلمة « الحبل » في العربية والتي يبدو ان لها في اللاتينية نظير هو (Capsulum) والتي وردت في اللغات الاوروبية كالفرنسية والانكليزية بلفظ (Cable , Câble) وتعني الحبل والسلك جاءت في العربية الحديثة في الالفاظ التي أستخدمها المعنيون بالبرق في كلمة (قابلو) ولم يفطن المستعملون الى أصلها وانها قريبة من « حبل » .

ومثل هذا حدث لكلمات كثيرة ، فالادميرال والاميرال وغيرهما من كلام العرب الذي أخذه الاوروبيون ثم جاء بصيغته التي ذكرناها .

ولقد أخذ الترك والفرس مصادر عربية مختومة بالتاء ، واستعملت اعلاماً مذكرة كالحشمة والنزهة والشوكة والهداية والعناية وغير هذا ، ثم صارت تلفظ على طريقتهم بالتاء الساكنة فيقولون شوكت وحشمت وبهجت[29] ثم عاد العرب يستعملون هذه الاعلام الاعجمية ذات الاصول العربية على طريقة هؤلاء الاعاجم دون الالتفات الى أصلها المصدري العربي ، ذلك ان التاء في هذه الاعلام محققة واضحة اذ ليست كتاء بهجة وعفة التي تستحيل عند الوقف هاء .

---

٢٨ – انظر الجواليقي ، المعرب . والالفاظ الفارسية المعربة لأدي شير .

٢٩ – لما كانت التاء في هذه الاعلام محققة وهي تلفظ دائماً فليس لنا الا ان نرسمها تاء طويلة خلافاً لما جرى عليه الناس في الازمنة المتأخرة من رسمها بالتاء المربوطة .

والاستقراء العام الشامل لكلمات العربية خير وسيلة للوقوف على هذا النوع من الدخيل الذي يظهر حركة الالفاظ وانتقالها عبر القرون بين مختلف الامم .

ولعل هذا المختصر الذي نبدؤه اليوم يعين على رسم شيء يسير في تاريخ العربية ، وهو من غير شك بداية يلزمها الاكمال والتثبيت .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

العربية بين الجمود والتطور والتوليد

ان اللغة وثيقة الصلة بالانسان وبيئته ، فهي تظهر المجتمع الانساني على حقيقته . وقد بحث موضوع اللغة العلماء المختصون في العصور الحديثة ، كما بحثه الاقدمون فكتبوا فيه على طريقتهم ، على ان نفراً غير قليل من غير ذوي الاختصاص في اللغة قد مروا بالموضوع نفسه في خلال دراساتهم ، ومن هؤلاء ، ذوو علم الاجتماع ، والمهتمون بعلم النفس ، والقائلون بالفلسفة . وللموضوع جوانب كثيرة وأبواب متعددة ، فاللغة أساس كل أنواع النشاط الثقافي ، «وهي بذلك خير دليل يهتدي به الباحث الى معالم أن من المجتمعات الحديثة »[1] . ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته وسمته ، تشغل اللغة مكاناً ذا اهمية اساسية ، اذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع ، وهي في الوقت نفسه رمز الى حياتهم المشتركة وضمان لها .

فما الاداة التي يمكن ان تكون أكثر كفاية من اللغة في تأكيد خصائص الجماعة ؟ فهي في مرانتها ، ويسرها ، وامتلائها بالظلال الدقيقة للمعاني تصلح لاستعمالات متشعبة وتقف موقف الرابطة التي توحد أعضاء الجماعة ، فتكون العلامة التي بها يعرفون والنسب الذي اليه ينتسبون [2] .

وليست اللغة رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه ، وانما هي عامل مهم للترابط بين جيل وجيل ، وانتقال الثقافات عبر العصور لا يتأتى الا بهذه الوسيلة العجيبة . ومن أجل هذا كان من السهل على الباحثين ان يكتبوا تاريخاً

---

١ - Block and Tauger, Outline of Linguistic Analysis, p. 5.

٢ - J. Vendryes, Language p. 240.

واضحاً لكثير من اللغات الحديثة ، بادئين بأقدم صورة للغة ، متعقبين التطور التاريخي لها ، ولذلك استطعنا ان نقف اليوم على البحوث القيّمة في هـــذا الموضوع .

غير أن لغتنا العربية تفتقر الى الحلقات الاولى من تاريخها ، اذ ليس لدينا نصوص وافية تشير الى تلك المراحل التاريخية . ان الشعر الجاهلي ، او قل الادب الجاهلي عامة لا يمكن اعتباره مادة اولى تمثل طفولة العربية ، فهي لا تختلف كثيراً عن اللغة في العصور الاسلامية ، ونحن نفترض ان يكون في اللغة العربية نصوص قد ضاعت او اننا لم نعثر عليها، ولم يحدث للغة العربية ما حدث للغات السامية الاخرى ، فالتنقيب العلمي الحديث دل عـــلى مواد كثيرة في اللغات الاكديه والآشورية والعبرية والآرامية والحبشية أفادت البحث اللغوي كثيراً ، ودلت على امكان القيام بوضع تاريخ محكم الحلقات في هذه اللغات .

أما البحث التنقيبي الذي قام به العلماء الاوروبيون وغير الاوروبيين ، في أنحاء معينة في شبه الجزيرة وفي اليمن ، واهتداؤهم الى حـــل الرموز كما في المعينية [٣] والسبئية [٤] والنقوش اللحيانية [٥] والثمودية [٦] ، فلا يمكن اعتباره مشيراً الى الحلقات الاولى المفقودة في العربية ، والتي سبقت الادب الجاهلي ، وذلك ان بينها وبين النصوص الجاهلية فرقاً عظيماً ، فهذه المواد اللغوية التي دلت عليها النقوش المكتشفة تؤلف لهجات او لغات سامية تقرب من العربية المعروفة .

على أن علماء العربية لم يتقيدوا بالاستعمال وتطور هذا الاستعمال في اللغة ، فقد رسموا لأنفسهم صورة للغة لا يحيدون عنها ، وحملوا بذلك ما خالف هذا المرسوم المتفق عليه على الخطأ واللحن ومجاوزة الصحيح . وقصة ابن أبي اسحق

---

٣ — خليل يحيى نامي ، نقوش خربة معين ، القاهرة ١٩٥٣ .

٤ — اغناطيوس غويدي ، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة .

٥ — Werner Caskel, Lihyan Und Lihyanish.

٦ — Jaussen et Savignœ, Mission archéologique en Arabie.

الحضرمي النحوي مع الفرزدق الشاعر دليل على هذا ، فقد قال الفرزدق في قصيدة له :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المـــال الا مسحتاً او مجلف

فقال النحوي : على اي شيء ترفع « مجلف » ، فقال الفرزدق : على ما يسوؤك وينوؤك[7] . وليس الحضرمي بدعاً بين اللغويين ، فقد ذكر أبو حاتم السجستاني : سألت الاصمعي : أتقول في التهديد (ابرق وأرعد) ؟ قال : لا ، لست اقول ذلك الا اني أرى البرق واسمع الرعد، قلت : قال الشاعر الكميت :

أبرق وأرعد يا يزيد   فما وعيدك لي بضائر

قال : الكميت جرمقاني من أهل الموصل ليس بحجة ، ولكن الحجة هو الذي يقول :

اذ جاوزت من ذات عرق ثنية   فقل لأبي قابوس ما شئت فارعد

وهو شاعر جاهلي ، وشاعرك هذا متأخر لا يؤخذ بقوله . قال ابو حاتم : فأتيت أبا زيد الانصاري ، وقلت له : كيف تقول من البرق والرعد ، فعلت السماء ؟ قال : رعدت وبرقت ، قلت : فمن التهديد ؟ قال : رعد وبرق ، وأرعد وأبرق ، فأجاز اللغتين ، ثم سألت اعرابياً فصيحاً فأجاز اللغتين ولم يجز الاصمعي الا لغة واحدة[8] .

وكان الاصمعي ينكر كلمة « زوجـــة » ويقول : « زوج » ويحتج بقوله تعالى : « أمسك عليك زوجك »[9] فقيل له : ان الشاعر ذو الرمة يقول :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة   أراك لها في البصرة اليوم ثاويا

---

٧ – ابن الانباري ، نزهة الالباء ٢٤ .

٨ – ابو علي القالي ، الامالي ١/٩ .

٩ – سورة الاحزاب ٣٣ .

فقال ذو الرمة : ليس بحجة ، اذ طالما أكل البقل والمالح في حوانيت البقالين [10] .

وقد عرف عن الاصمعي هذا التشدد والحرج فهو يأبى كلمة خالفت لغة التنزيل ، وهو من أجل هذا لم يرض لنفسه ان يبحث في لغة التنزيل على نحو ما فعل ابو عبيدة في « مجازه » وابن قتيبة في « تأويل مشكل القرآن » مثلا . ويقول ابن جني : كان الاصمعي ليس ممن ينشط للمقاييس وانه معروف بقلة انبعاثه في النظر ، وتوفره على ما يرى ويحفظ [11] . وابن جني من علماء القرن الرابع الهجري وهو العصر الذي لم يمنع ما قيس على كلام العرب ان يكون من كلام العرب [12]

ومن علوم اللغة في العصور الحديثة « علم معاني الاسماء » أو « علم الدلالة » ويراد به دلالة اللفظ ونشأته واستعماله ، ومجال هذا الاستعمال ، وتطور الدلالة بتطور الزمن ، وأسباب هذا التطور وعوامله ، وأول من قام بدراسة تعرض لهذا الموضوع هو الفرنسي Michel Bréal وسمى دراسته Essai de Sémantique سنة ١٨٩٧ ، وخلص في بحثه الى قواعد عامة في الدلالة وتطور المعنى معتمداً على اللغات القديمة التي تنمى الى أسرة واحدة كاليونانية واللاتينية والسنسكريتية . وفي سنة ١٩٣٢ كتب العالمان I. A. Richards, G. K. Ogden كتابهما The Meaning of meaning وقد عرضا فيه لمسألة الدلالة عرضاً شاملا معتمدين على علم الاجتماع والنظم الاجتماعية وفي ضوء مباحث علم النفس الحديث كمسائل العاطفة والانفعال والشعور .

وقد غزا هذا الموضوع أصناف عدة من ذوي الاختصاص في السنين الاخيرة ، فيهم علماء الطبيعة ورجال القانون وأصحاب علم النفس ورجال الفلسفة ، وقديماً كانت اللغة باباً من أبواب الفلسفة ، ومن أجل هذا عرض الفلاسفة الاغريق

---

١٠ — السيوطي ، المزهر ١/١٤ .

١١ — ابن جني ، الخصائص ١/٣٦٦ .

١٢ — المصدر السابق ٣٦٢ .

لموضوع اللغة على انها شيء من المنطق . ولم يتيسر بعد في العربية شيء من بحث الدلالة على الطريقة المتبعة في البحوث الحديثة .

ولم يعتمد الاقدمون الا على الرواية ، وحدث أن كان بين الرواة نفر لم يحجم عن الاصطناع والتزيد ، ولو عرفنا ان حديث رسول الله (ص) لم يسلم من الدس والتزوير ، لم ننكر أن يكون بين نقلة الاخبار الادبية واللغوية من لا يطمأن الى قوله ، ومن هو فاسد الذمة يصطنعها اصطناعاً ، غير أن الحديث قد نزه عن كثير من التزيد والزيف ، وطريقتهم في ذلك اتباع علوم الحديث المعروفة ، واخضاع الحديث للجرح والتعديل كما يقولون ، وليس شيء من هذا كان قد أتبع في تحري العربية ، وان كان السيوطي قد ذهب الى أن : « علم الحديث واللغة اخوان يجريان من واد واحد »[١٣] .

ولكن علوم القرآن فرضت على المسلمين ان يعمدوا الى كتاب الله فيفسروه ويتعقبوا ألفاظه ، وكانت الحاجة الى معرفة لغة القرآن وغريبه سبباً في خوضهم في بحوث لغوية عن المعنى والدلالة . وأبو عمرو بن العلاء أحد علماء العربية الاولين كان يعتبر لغة القرآن ودراسة معاني ألفاظ القرآن هدفاً لكل مسلم . ومن أجل ذلك استعانوا بالشعر في شرح وتفسير لغة القرآن ، ومن هؤلاء ابو عبيدة معمر بن المثنى في « مجاز القرآن »[١٤] ، وقد اعتمد على هذا الكتاب ابن قتيبة في كتابيه « المشكل » و « الغريب » ، وظل « مجاز ابي عبيدة » مادة لكثير ممن كتبوا في الموضوع[١٥] . وقد انتهى البحث في لغة القرآن الى القول بأن فيها كلمات « أعجمية الاصول عربية الالفاظ » ، والى هذا ذهب ابو عبيدة القاسم بن سلام الازدي المتوفى (سنة ٢٢٤ هـ.)، غير ان أبا عبيدة ذهب غير هذا المذهب وقال : « اللفظ يوافق اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد »[١٦] . وقد تبعه

---

١٣ – السيوطي ، المزهر ٢/٣١٢ .
١٤ – ابو عبيدة ، مجاز القرآن .
١٥ – ابو عبيدة ، انظر مقدمة المحقق ١/١٧ .
١٦ – المصدر السابق ١/١٧ .

على هذا المذهب الطبري في « تفسيره »[١٧] ، والثعالبي في « فقه اللغة »[١٨] ، وعند هؤلاء ان ما جاء من أشكال يخيل الى الناظر اليها انها أعجمية هو من باب توافق اللغات . على ان أبا حاتم الرازي قد ذهب الى ان معاني الاسماء في القرآن منها ما هو عربي عرفته العرب ، ومنها ما جاء في القرآن ولم تكن العرب تعرفه ، ومنها ما جاء في القرآن من ألفاظ العجم[١٩] . وكان كتاب (الزينة) لأبي حاتم مورداً لكثير من الباحثين في الالفاظ الاسلامية ، على ان أبا حاتم لم يسلم من التعصب للعربية ، فقد ذكر في كتابه كثيراً من المواد على انها عربية ، والتي دل البحث الحديث على انها ليست عربية الاصل وسنعرض لهذا ، ومن أمثلة تعصبه انه عقد فصلاً في « فضل لغة العرب » ذهب فيه الى أن العربية أفصح اللغات وأكملها وأتمها وأعذبها وأبينها ... الخ . وقد جاء فيه : « وقال قوم بفضل اللغة اليونانية والهندية ، لان كتب الفلاسفة والاطباء وأصحاب النجوم والهندسة والحساب بها . وهذا قول منبوذ عند أهل الملل »[٢٠] .

ولم يكن القول بعجمة لفظ من ألفاظ العربية عند الاقدمين ، مبيناً على البحث والدرس او قل ان القائلين بهذا ، على علم بلغات غير عربية من لغات الاعاجم ، وانما كانت أقوالهم مبنية على الظن والتوهم . وعندهم ان كل كلمة لم يشتهر فيها استعمال جاهلي دخيلة ، واذا كانت دخيلة فهي ان تكون عند أحدهم فارسية ، وعند آخر عبرانية او سريانية او حبشية ، ولم يهتدوا الى أن بين العربية والعبرانية والسريانية والحبشية ولغات أخرى علاقات تاريخية وقرابات لغوية مردها الاصول السامية الاولى التي دلّ عليها البحث الحديث . وربما عزوا كلمات دخيلة الى العربية وأخضعوها لقوانين الاشتقاق في العربية كما سنرى .

---

١٧ – الطبري ، التفسير ٦/٦ .

١٨ – الثعالبي ، فقه اللغة ٣١٥ .

١٩ – ابو حاتم ، الزينة ١٩/١ .

٢٠ – ابو حاتم ، الزينة ٦٠/١ – ٦٣ .

فكلمة « تسنيم » في قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم »[21] عند الاقدمين من ألفاظ القرآن وهي من الكلمات العربية المعروفة في لسان العرب، ولكنها في لغة القرآن دلت على معنى لم يعرفه العرب ، وقد زعموا ان « التسنيم عين في الجنة » . وقال الزجاج النحوي في قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم » اي مزاجه من ماء متسنم ، عيناً تأتيهم من علو »[22] . واعتبر المستشرق « نولدكه » ان « التسنيم » من الكلمات التي جاء بها القرآن ، لعدم وجود أصل لها في الشعر الجاهلي ولا في اللغات السامية القديمة[23] . فالزجاج النحوي أخضع هذه الكلمة لقوانين الاشتقاق في العربية ، فاشتق منها فعلاً وكأنها من مألوف العربية وهذه من قدرتهم او قل قدرة العربية على التوليد .

وكلمة « سجين » في قوله تعالى : « كلا ان كتاب الفجار لفي سجين »[24] عند اللغويين العرب على وزن « فعيل » من السجن ، والسجين الصلب الشديد من كل شيء . وقد قالوا : واد في جهنم[25] . وقد ذكر السيوطي في الاتقان[26] انه غير عربي ، نقلاً عن « كتاب الزينة » على ان أبا حاتم في « الزينة » جعله من الالفاظ التي استعملها القرآن استعمالاً لم يعرفه العرب في جاهليتهم . وهو من ألفاظ القرآن .

وقد ذكروا « للرقيم » في قوله تعالى : « أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً »[27] مدلولات عديدة لا تقوم الا على الظن والتوهم والوضع . قال الزجاجي في الامالي : « اعلم ان في الرقيم خمسة أقوال : أحدها هذا الذي روي عن ابن عباس (رحمه الله) انه لوح كتب فيه اسماؤهم . والآخر

---

٢١ – سورة المطففين ٢٧ .   ٢٢ – اللسان مادة (سنم) .

٢٣ – Th. Noeldeke, Noue Beitraege Zur Semitischen Sprachuis-senschaft. Strassburg, 1910.

٢٤ – سورة المطففين ٧ .   ٢٥ – اللسان مادة (سجن) .

٢٦ – السيوطي ، الاتقان ١/١٣٩ .   ٢٧ – سورة الكهف ٩ .

ان الرقيم هو الدواة ، ويروى ذلك عن « مجاهد » . وقال هو بلغة الروم . والثالث ان الرقيم القرية . والرابع ان الرقيم الوادي . والخامس ما روي عن الضحاك وقتادة انهما قالا الرقيم الكتاب[٢٨] ، والى هذا ذهب أهل اللغة . ومادة « رقيم » من الألفاظ السامية التي وجدت في كثير من اللغات السامية[٢٩] .

وللقرآن استعمالات خاصة لألفاظ عربية استغربها الاقدمون ، وحاروا فيها فلم يفهم ابن عباس الصحابي المشهور معنى « الحنان » في قوله تعالى : « وحناناً من لدنا » [٣٠] روى عكرمة انه قال : والله ما ادري ما الحنان [٣١] .

وقد جاء في القرآن ألفاظ لها أصول سامية وجدت في أغلب اللغات السامية ولكن الاقدمين وقفوا منها وقفة الجاهل بالاصول ، فقالوا أقوالاً لم تبن على علم ثابت . ومن هذه كلمـــة « التطور » في قوله تعالى : « وشجرة تخرج من طور سيناء » [٣٢] وفي قوله تعالى : « والطور وكتاب مسطور »[٣٣] ، فقد ذكر الجواليقي في (المعرّب) : « قال ابن قتيبة : الطور الجبل بالسريانية » [٣٤] . وقال الفرّاء : « وهو الجبل الذي بمدين الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام تكليماً » [٣٥] . وقال ياقوت : قال بعض أهل اللغة : لا يسمى طوراً حتى يكون ذا شجر ، ولا يقال للاجرد طور . ويقال لجميع بلاد الشام « الطور » . وبلسان النبط كل جبل يقال له طور فاذا كان عليه نبت وشجر ، طيل طور سيناء [٣٦] . وقد استعملت الكلمة في « سفر الخروج » بمعنى طبقة من الحجارة [٣٧] . أما في سفر دانيال فقد جاءت بمعنى الجبل في السريانية « طور رب » [٣٨] ، أي جبل عظيم .

---

٢٨ – الزجاجي ، الامالي ٥ .
٢٩ – Gesenius, Hebrew and English Lexicon.
٣٠ – سورة مريم ١٢ .
٣١ – ابو حاتم ، الزينة ١/١٣٥ .
٣٢ – سورة المؤمنون ٢٣ .
٣٣ – سورة الطور ٥٢ .
٣٤ – الجواليقي ، المعرب ٢٢١ .
٣٥ – اللسان ، مادة (طور) .
٣٦ – ياقوت ، معجم البلدان مادة (طور) .
٣٧ – سفر الخروج ١٧/٢٨ .
٣٨ – سفر دانيال ٢/٢٥ .

والكلمة آرامية ، اي بمجيئها بحرف الطاء ، لان المشهور ان « الطاء » في الآرامية تقابل « الظاء » في العربية وكان حقها أن تكون « ظور » كما تقول « نظر » في العربية وهو في السريانية « نطر » .

وقد خبطوا ايضاً في لفظ « اليم » فهي سريانية معربة [39] ، كما يذكر صاحب « المعرّب » . وما فطنوا الى أن الكلمة سامية الاصل وجدت في أغلب اللغات السامية . ولم يستطيعوا أن يلمحوا ثروة العربية وغناها حين جاءت بالفعل من هذه المادة بعد ابدال الياء جيماً وهو (جم) [40] للدلالة على الكثرة مطلقاً .

ومن أمثلة هذه الموارد السامية « الربّانيون ، والربّيون » وقد قالوا فيهما ما قالوا في الامثلة التي سقناها . فقد ظن أبو عبيدة ان الربانيين غير عربية وانما هي عبرانية أو سريانية وجزم القاسم بن سلام بسريانيتها [41] .

وقد وجد في العربية مواد دخيلة من اصول غير سامية ، ولكن العربية طبعتها بطابعها واستعملتها استعمالات كثيرة ، وربما عدها جماعة من الاقدمين عربية في الاصل ، فأخرجوا منها اشتقاقات تشير الى عروبيتها . ومن هذه كلمة « الصراط » في قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » [42] فقد قالوا انها رومية ، وحملوا عليها القسطاس والفردوس [43] . والحقيقة ان « الصراط » من Strate اللاتينية ولعلهـــا انتقلت الى العربية عن الآراميين الذين أخذوها من اليونانية شأن غيرها من الالفاظ [44] . وقد توسعت العربية في هذه المادة على رأي بعض الاقدمين ، فأشاروا الى العلاقة بين الصراط او السراط (بالسين) [45]

---

٣٩ – الجواليقي ، المعرب ٢٥٥ .
٤٠ – انظر مادة « جم » في تاج العروس للزبيدي .
٤١ – السيوطي ، الاتقان ١/١٣٩ .
٤٢ – سورة الفاتحة ٥ .
٤٣ – ابو حاتم ، الزينة ٢/٢١٥ .
٤٤ – برجشتراسر ، التطور النحوي ١٥٤ .
٤٥ – جاء في كتاب الزينة ٢/٢١٦ ، قال ابو عبيد : في الصراط ثلاث لغات : صراط وسراط وزراط .

وسرط ، فالطريق سمي سراطاً لانـــه يسرط السابلة اذا سلكوه [٤٦] ، وقد استعمل الصراط في العصور الاسلامية بمعنى الطريق مطلقاً كما في قول جرير :

أمير المؤمنين على صراط   اذا اعوج الموارد مستقيم

ومثل الصراط ، القسطاس والفردوس وابليس والجن والبرج ، فهي ألفاظ دخيلة استعملتها العربية وأخذت منها مواد كثيرة . ومن جهل الاقدمين بالاصول اعتبارهم مادة « عدن » عربية في قولهم « جنة عدن » ، او في استعمال القرآن : « وجنات عدن » [٤٧] . قال الاصمعي : تقول العرب : عدنت الإبل بمكان كذا اذا ألفته ولزمته . ومنه قيل لمعدن الذهب والفضة : معدن لانه يثبت فيه [٤٨] . وقال ابو عبيدة في قوله تعالى : « جنات عدن » أي خلد ، يقال عَدَن فلان بمكان كذا وكذا أي أقام [٤٩] .

وما عرف الاقدمون ان الكلمة وجدت في العبرية [٥٠] وفي غير العبرية من اللغات السامية ، وقد جاءت الكلمة في سفر التكوين من العهد القديم في هذا النص : « وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقاً ، ووضع هناك آدم الذي جبله ، فكان عدن » [٥١] .

وقد أضاف الاسلام للعربية مادة جديدة اصطلاحية تؤدي معاني جاء بهـــا الاسلام . وجل هذه الالفاظ كلمات عربية اعطيت معاني جديدة والى هـــذا

---

٤٦ – الزمخشري ، الكشاف ١/٥ ، وانظر اللسان مادة (سرط) .
٤٧ – سورة التوبة ٩٣ .
٤٨ – ابو حاتم ، الزينة ٢/٢٠٠ .
٤٩ – ابو عبيدة ، المجاز ١/٢٠١ .
٥٠ – انظر مادة (عدن) في : Gesenius, Hebrew and English Lexicon.
٥١ – سفر التكوين ٢/٨ – ٩ .

ذهب ابو حاتم أحمد بن حمدان الرازي في كتابه « الزينة » فهو بحث في الكلمات الاسلامية .

وقد أضافت العصور الاسلامية المتعاقبة مادة كثيرة في ميدان المصطلح الفني معتمدين حيناً على الاصول العربية وآخذين بمبدأ التعريب حيناً آخر ، وربما توسعوا فأخذوا الكلمة الدخيلة مجرين عليها الطابع العربي .

ولما جاء العصر الحديث وجدت العربية نفسها فقيرة متخلفة لتخلف اهلها في ميدان الثقافة والمعرفة ، ومن أجل هذا زخرت لغة اليوم بالاصطلاحات الجديدة التي دخلت في العربية بواسطة الترجمة عن اللغات الاوروبية ، فقولهم مثلاً :

هو يمثل الرأي العام تجده في الفرنسية في قولهم :

Il represente l'opinion Publique.

وهو في الانكليزية : He represents Public opinion

وقولهم يذر الرماد في العيون ، تجده في الفرنسية في :

Il jette de la Poudre aux yeux.

وهو في الانكليزية في قولهم : To throw dust in the eye.

ونستطيع ان نحصي من هذه الاستعمالات عدداً وافراً تزخر به لغة الصحف في أيامنا هذه .

وقد كثر التوليد في العربية ، وأقصد بالمولد ما اخترع من الالفاظ لغرض من الاغراض ، ومن أمثلة هذا ما جاء في شعر الصعاليك من الغريب مما أشار الى اصطناعه علماء العربية الاقدمين ، فقد شعر بذلك رواة شعر الصعاليك ، وفطن

اللغويون الى ان في شعر هؤلاء ، ألفاظاً لا يعرفونها ولا يعرفها عامة العرب ، وقد قالوا بأنها لم ترد الا في هذه المواطن .

فالاصمعي لم يعرف « سحاليل » في قول الاعلم يصف جراء الضباع :

سود سحاليل كأن جلودهن ثياب راهب [52]

والمتعقب لاشعارهم يجد طائفة من الالفاظ الغريبة التي لا توجد في مكان آخر .

قال تأبط شراً :

وحثحثت مشعوف النجاء كأنني
هجّف رأى قصراً سمالاً وداجنا

من الحص هزروف كأن عفاءه
اذا استدرج الفيفاء مـــدّ المغابنا

أزج زلوج هـــذرفيّ زفازف
هزفّ يبـــذ الناجيات الصوافنا [53]

والشاعر الصعلوك قد يأتي بالكلام السهل المألوف ولكنه يدخل في بعضه هذه المادة الغريبة فتطبعه بطابع خاص ، ومن هذا قول الشنفرى :

ولي دونكم أهلون سيد عملّس
وأرقط زهـــلول وعرفاء جيأل

٥٢ – انظر مادة (سحل) في اللسان . وديوان الهذليين ، القسم الثاني ٨٠ .
٥٣ – ابو الفرج ، الاغاني ١٨/٢١٣ .

هم الاهـــل لا مستودع السر ذائع
لديهم ولا الجاني بماجر يخذل [٥٤]

فأنت ترى السهولة والخفة في البيت الثاني ، والغرابة والخشونة في البيت الاول . وقـــد اعتمد اصحاب المعجمات على شعر الصعاليك في تكوين مادتهم اللغوية لكثرة الغريب [٥٥] .

ولعل خبر « القبعض » من المصطنع اللغوي عند أولئك المتندرين الذين قطعوا البيت :

أبا منـــذر افنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فسألوا المبرد النحوي الشهير : ما القبعض ؟ فقال : القطن ، وأنشد :

كأن سنامها حشي القبعضا

وهو من تقطيعهم البيت الى تفاعيله ، فهناك تفعيلة « ق بعضنا » التي أجاب عنها المبرد بالقطن [٥٦] .

وربما كان الخبر موضوعاً ، وهذا أمر لا يعنينا ، انما الذي يعنينا هو انه يدل على ان شيئاً من هذا قد وقع بحيث صارت العربية غنية بالالفاظ الموضوعة لمعنى واحد ، ومن هنا نشأت مشكلة الترادف في العربية . وهي في حقيقتها لا تعدو ان تكون أثراً من آثار الاصطناع وتوليد المعاني على هذه الطريقة .

---

٥٤ – القالي ، النوادر ٢٦٠ .
٥٥ – يوسف خليف ، شعراء الصعاليك ٣١١ .
٥٦ – ابن الانباري ، نزهة الالباء ١٥٠ .

ولقد جاء في اخبار محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم ابي عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب ، انه يولد الالفاظ على طريقة الاصطناع والوضع ، فقد قصده جماعة للأخذ عنه ، فتذاكروا في طريقهم عند قنطرة هناك ، اكثاره وكذبه فقال أحدهم : أصحف له اسم هذه القنطرة واسأل عنه ، فانظروا ما يجيب ؟ فلما دخلوا عليه قال له : أيها الشيخ ما « الهرطنق » عند العرب ؟ فقال : كذا وكذا فضحكوا وانصرفوا [٥٧] .

وهذا الخبر وكثير على شاكلته ، يشير الى ان الرواة وعلماء اللغة أضافوا كثيراً من الالفاظ ولا سيما الغريب منها، ودخل ما أضافوه في اللغة والاستعمال. وهذا لون من ألوان التوليد ، وهو اختراع محض .

---

٥٧ – القفطي ، انباه الرواة ٣/١٢٧ .

المقارنات في الادب واللغة والنحو

كان من نتائج الطريقة العلمية وتطبيقها في ميدان الادب واللغة والنحو وغير ذلك من ألوان المعرفة أن ظهرت بحوث المقارنات [1] . ولقد آثرنا هذه التسمية

---

١ – ظهرت كلمة « المقارن » في الثقافة العربية واصفة الادب والنحو وغير ذلك من العلوم ، فقيل : الادب المقارن والدراسات اللغوية المقارنة والنحو المقارن ، فقام في وجه هذه المسميات اللغويون المتضلعون من العربية والغياري على حمايتها ورعايتها ، فقال قائل منهم : ان هذه التسمية مغلوطة خاطئة ، والصحيح ان يقال : الادب الموازن حملا على ما وردنا من مسميات في الادب العربي ، ومن ذلك كتاب « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » للآمدي ، وكل الكتب التي تبدو فيها الموازنات مثل كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للجرجاني . ولفظ الموازنة واستعماله في هـــذه الكتب صحيح مصيب للهدف ، ذلك بأن هناك طرفين تعقد بينهما الموازنة لبيان ما قال احدهما في موضوع من المواضيع وما قال الآخر في الموضوع نفسه ، واظهار مقدار ما جوّد كل منهما في هذا الموضوع وما أخذه الاول عن الثاني وما قصر فيه احدهما عن الآخر . ومثل هذا ما يعرض له الباحثون والنقاد على هذا النحو في قصيدة كل من البحتري والشريف الرضي في وصف الذئب فيعقدون الموازنة بين هاتين القصيدتين، كما يعقدون الموازنة بين واحدة من هاتين القصيدتين وقصيدة الفرزدق في الموضوع نفسه دون ان يهتموا في كل ذلـــك بالفارق الزمني بين البحتري والشريف الرضي من جهة وبين واحد من هذين ، والفرزدق من جهة اخرى ، وتأثير عامل الزمن وما يؤدي اليه من تبديل وتغيير نتيجة للتطور التأريخي . ولقـــد جروا على هذا الفهم لدراسة الموازنة أسوة للغربيين في دراسات المقارنة فعقدوا الموازنة بين قصيدة البحتري في وصف بركة المتوكل في سر من رأى « سامرا » وقصيدة Lamertin في وصف البحيرة « Ie Iac » . والموازنة في هذا الموضوع غير صحيحة ولا يجوز ان تعقد ، فليست هناك أية علاقة بين البحيرة والبركة من جهة . وليس هنا ايضاً أية صلة بين Lamertin والبحتري تأثر لامرتين فيهـــا بالبحتري . فالادب المقـــارن في اصطلاح هؤلاء الباحثين هو الموازنات المعروفة في كتب النقد والادب العربية. ومن اجل هذا قالوا « المقارن » غير صحيح اعتماداً على ان المقارنة في معاجم =

على غيرها مما شاع حين عرفت هذه البحوث في العربية لانها أسدّ معنى وأوفى غرضاً . ولم تكن هذه الدراسات ثمرة من ثمار الفكر العربي ، فلقد عرفت أول ما عرفت في الدراسات التي قام بها علماء الغرب نتيجة اختصاصهم وتعمقهم في العلم .

وقد جعلت الكلام على المقارنة في الادب الجانب الاول في هذا المقال لأهميته للقارىء العربي ، ولان طالب الادب سمع به ورغب في دراسته فلم تسعفه الوسائل الى تحصيله جهلاً بحقيقته وبعداً عن ميدانه ، وما زال نفر كبير من الباحثين في الموضوع بعيدين عن جادته في العربية . وسأجتهد في هذه المقالة لأنير السبيل لتفهم هذا اللون من الدراسات الادبية التي لم تزل غامضة والتي لا بد منها لدراسة الادب واللغة والنحو .

دخلت كلمه « المقارن » واصفة الادب في اللغة العربية كما دخل غيرها مما استحدث في هذا العصر عن طريق الترجمة ، فالادب المقارن يقابل في الانكليزية Compartive Literature وفي الفرنسية Littérature Comparée . والمقارنات في الادب من البحوث التي ظهرت في النصف الاول من القرن التاسع عشر . وأول من كتب في الموضوع M. H. Posnett الانكليزي سنة ١٨٨٦ ، فكتابه Compartive Literature يعد البداية الاولى للدراسات المقارنة . وفي السنة نفسها بدأ العالم السويسري Edouard Rod دروسه في جنيف عن التاريخ المقارن للآداب ، وفي المانيا أصدر Max koch الالماني مجلة الادب المقارن

= اللغة تعني المصاحبة ، جاء في لسان العرب في مادة (قارن) : « قارن الشيء بالشيء مقارنة وقراناً اقترن به وصاحبه » ، فالمقارن على هذا هو المصاحب . وهذا المدلول لا يتفق هو والموازنة المعروفة في كتب اللغة والادب ، ومن اجل هذا ايضاً قالوا : والصحيح ان يقال الادب الموازن وفقاً للموازنة المعروفة ، فقد ذكر صاحب « القاموس المحيط » في مادة (وزن) : « وازنه بمعنى عادله وقابله وحاذاه » . وسنبين في هذا المقال ان المقارن أنسب وأوفى لاتفاقها في طبيعة وطريقة الموضوع .

Reveue de littérature Comparée عام ۱۸۸۷ . ولقد طلع الادب المقارن حين أخذت الناس الحركة الرومانتيكية ودراسة الآداب العالمية التي اضطرتهم الى استخدام الطريقة التاريخية والمقارنات التي لم تقتصر على الادب وانما تعدته الى غير ذلك من أبواب العـــلم كالقانون واللغات Languistique ودراسة الاساطير Mythologie .

وفي عام ۱۸۹٥ ناقش Joseph Texte رسالته عن « جان جـــاك روسو والاصول العالمية الادبية » وكان هـــذا الكتاب أول دراسة مهمة وعلمية في موضوع المقارنات [٢] . ومنذ عام ۱۸۹۷ حتى عام ١٩٠٤ تعاقبت نشرات عديدة للمصادر والاصول والمراجع في الموضوع ، هذه النشرات التي عني بها كل من Baldensperger et Betz وقد اهتم الاخير كثيراً بموضوع الادب المقارن ووقف عليه وحده بحثه ودراساته ، فلقد جمع الاصول والمظان في الموضوع وصنفها وعلق عليها ، هذا غير تآليفه العديدة في الموضوع نفسه . وقد أسس في ۱۹۲۱ مع العالم Paul Hazard مجلة الادب المقارن الفرنسية Reveue de littérature Comparée Française . وعلى هذا فيمكننا ان نقول ان الادب المقارن نشأ وازدهر في القرن العشرين بعد ان كانت بداياته في أواخر القرن التاسع عشر في انكلترا كما بيّنا .

يعني الادب المقارن تاريخ الروابط الادبية العالمية ، ومن أجل ذلك فالبحث في هذا الموضوع يبقى في حيز اللغات والحدود الجغرافية ويلحظ ويراقب تبادل المواضيع والافكار والكتب والعواطف اما بين أدبين ، واما بين آداب عدة . ومن أجل ذلك ايضاً فطريقته ينبغي ان تنسجم مع تنوع واختلاف بحثه [٣] .

---

٢ – انظر : M.F. Guyard, La littérature comparée, p. 10, Paris 1951
وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية منذ سنين .

٣ – Paul van Teighem, La littèrature Comparée.

ولا بد أن يتزود الباحث في هذا الموضوع بوسائله وأسبابه الضرورية التي سنأتي عليها فيما يلي من السطور :

يلزمه ان يكون مؤرخاً عالماً بالتاريخ وبالطريقة العلمية التاريخية ، ولاسيما التاريخ الادبي لعدة أمم . لانه لا يستطيع ان يبحث الموضوع الادبي ان لم يكن مزوداً بالثقافة التاريخية الخالصة التي رافقت تلك الحادثة الادبية او ذلك اللون الادبي . وعلى سبيل المثال لا سبيل الى معرفة الادباء الفلاسفة المسلمين ان لم يكن الباحث مزوداً بثقافة تاريخية كافية حول عصر هؤلاء الادباء الفلاسفة وبمعرفة كافية وافية عن الثقافات الاجنبية غير الاسلامية التي صاحبت عصرهم .

ومما يلزمه ايضاً ان يكون ملماً إلماماً كافياً بالعلم عن الآداب في أمم أخرى غير تلك التي ينسب اليها .

وينبغي لمن يقوم بالمقارنات في الادب ان يكون قادراً على القراءة لأدب من الآداب في لغته الخاصة ، وهذا يعني ان من يريد معرفة تأثير الشاعر (جيته) Goethe الالماني [٤] في الادباء الرومانتيكيين ، لا بد له ان يقرأ الشاعر الالماني في اللغة الالمانية وليس له ان يلجأ الى المترجم من أدبه وذلك ليتمكن من معرفة انتقال التأثير . وعلى هذا فيلزمه المعرفة بلغات عدة ليقرأ بها ايضاً البحوث الاجنبية اللازمة لبحثه واختصاصه .

ثم هو عندئذ يلزمه معرفة مصادر الموضوع واصوله وكيف ينظم الجمهرة الكبيرة لهذه المصادر والاصول والافادة منها . ومن هذه المصادر والاصول كتب تاريخ الادب ، والكتب التي تعنى بجمع وتصنيف مصادر بحث الادب المقارن .

---

٤ - M. F. Guyard, 13.

وعلى هذا فالكتب من العوامل المهمة التي يهتم بها المتصدي للمقارنات ليعرف مدى تأثيرها في القارىء الاجنبي ، وما تؤثر هذه في أدبه . وما دمنا بصدد التعرض للكتب فلا بد لنا ان نقرر ان المترجم من الكتب عن لغـــة أجنبية ايضاً يقوم بنقل الثقافات والتيارات من أمة الى أمة اخرى . وهذا الادب المترجم يؤثر هو ايضاً في أدب أية أمة من الامم . ولقد تأثر أدباء اوروبيون بالآداب الشرقية دون ان يقرأوا تلـــك الآداب في لغاتها ، بل انهم قرأوها مترجمة الى لغاتهم فتأثروا بها وأفادوا منها وانتقل هذا التأثير الى آدابهم . فان تصدى الباحث في المقارنات الادبية لدراسة هذه الآ ثار الدخيلة في أدب من الآداب كان بحثه عندئذ بحثاً مقارناً وهذا هو الادب المقارن .

وعلى هذا ايضاً فالرحلات والأسفار التي يقوم بها أصحابها ويسجلونها في كتبهم عامل مهم من عوامل الأدب المقارن . اذ ان كتب الرحلات والأسفار تقوم هي ايضاً بنقل ثقافات الأمم الاخرى .

لم يزل البحث في المقارنات جديداً في العربية ومن أجل هذا فهو غير واضح لدى القارىء العربي وربما وقع بسببه في الوهم حول ما تؤديه لفظة المقارنة . ولقد عرضنا في اول هذا البحث عن مجال الخطأ وميدانه مع ان كتاب الأدب المقارن La littérature comparée للمؤلف الفرنسي Paul Van Teighem قد نقل الى العربية منذ زمان بعيد . وهذا الكتاب من الكتب التي يستفيد منها عـــدد كبير من الناس فيهم الباحث في تاريخ الآداب وطالب الآداب والمتأدب الذي يرغب في التزود بالثقافات الجديدة الوافدة .

فاذا أخذنا على سبيل المثال موضوع القصة القديمة في الأدب العربي فلا بد لنا ان نمر على السفر الممتع وهو (ألف ليلة وليلة) . ولدراسة هذا الكتاب يلزمنا معرفة أصوله ومصادره ، وهنا فلا بد من الخوض في هذا الموضوع الشائـــك السبيل وهو الاصول غير العربية لهذا الكتاب لنستطيع تحديد مكانة الكتاب

وفي ذلك مكانة القصة القديمة العربية في الأدب العربي . وهذا البحث بهذه الطريقة وهذه النظرة من البحوث الأدبية المقارنة .

ولقد عرفنا فيما عرفنا ان هذا الكتاب ظل متعة فكرية وزادا محبباً للكتاب الاوروبين أجيالاً طويلة فنقلوه الى لغاتهم الكثيرة منذ عهود وأزمان طويلة ، فلقد أثر عن Voltaire الأديب الكبير الفرنسي انه قرأ هذا الكتاب واستمتع به بضع عشرة مرة من قبل ان يتصدى للكتابة . وعلى هذا فمن عرض لهذا البحث في الآداب الاوروبية الاخرى، فبحثه والحالة هذه من البحوث المقارنة .

ولو تيسر لنـــا ان نبحث في موضـــوع الأساطير في الأدب العربي La mythologie arabe واقتضى البحث في هذا الموضوع النظر في أصوله ومصادره ومقدار الآثار الأجنبية في هذه الأساطير وكيف تم هذا التأثر ، كان البحث على النهج المقارن .

المقارنات في اللغة والنحو

هي الجانب الآخر من هذه المقالة والذي هو كسابقه جديد في العربيـــة وفائدته جليلة عظيمة . ولفهم العربية الفهم الصحيح وحل كثير من غامضها ، ينبغي أن يستفيد هذا الحل من المقارنات بغيرها من اللغات التي تكون مع العربية مجموعة او أسرة لها صفاتها المعينة التي تميزها عن غيرها من المجاميع اللغوية .

وقبل ان نهتدي لصلب الموضوع لا بد من استجلاء طريقة المقارنة ونتبين معالمها لنسير على نهجها ونأمن العثار والخلط في الموضوع .

هناك طريقتان مختلفتان لتطبيق المقارنة في اللغة والنحو ، فالأولى تنص على ان المقارنة تؤدي الى قوانين عامة تضبط المواد التي تتعرض لها المقارنة .

والثانية تؤدي الى بيان ملاحظات وتنبيهات تاريخية . وهاتان الطريقتان تختلفان الواحدة عن الاخرى اختلافاً عاماً شاملاً ، وان كانت كل منهما مقبولة صحيحة * .

فالاقاصيص على ألسنة الحيوانات موجودة عند كل أمة من الأمم . ولعل الشبه بين الانسان والحيوان هو الذي يسر للانسان ان يعير الحيوان هـــذه الاقاصيص فيقول على لسانه ليعبر عن فكرة او يصرح بشيء لا يستطيع التصريح به مباشرة . وفي هذه الاقاصيص يستطيع الباحث ان يقارن بينها ليتبيّن طريقتها وشكلها وطابعها ثم يخلص من كل ذلك الى نظرية عامة في هذا النوع من الاقاصيص . وتبدو المشابهات بينها للباحث من الوحدة العامة في الفكر الانساني والاختلاف في التطور الحضاري، وتؤدي الى فهم الباحث الميزات العامة للنوع الانساني ، ولكنها لا تفيده كثيراً في العلم بتاريخه .

واذا كان المعنى الذي تعرب عنه كلمة من الكلمات مرتبطاً ارتباطاً طبيعياً بالصوت الذي يشير اليه ، سواء كان هذا الارتباط قوياً أم ضعيفاً ، (ومعنى هذا ان الكلمة تثير فكرة من الافكار) ، فالمقارنة بشكلها العام هي السبيل الوحيد الذي يستطيع استعماله اللغوي ، ذلك بأن اللجوء الى اللغات الاخرى غير ممكن ، هذا اذا لم نبتعد عن حيز الكلمة الحقيقي المادي المجرد وعما تمليه عليها العادات والتقاليد التي تجر الى التوسع في المعنى والاستعمال .

والمفردة اللغوية في حقيقتها ودلالتها لما وضعت اليه ، شيء اصطلاحي ، او قل شيء اعتباطي . وما القيمة اللغوية الا مسببة عما ألف الناس ان يعطوها من دلالة . وعلى هذا فان ما يقال عن الصلة الوثيقة بين اللفظ والمعنى وان الاول هو حكاية يتأدى فيها ذلك المعنى غير مقبول على الدوام ، لان حكاية الصوت حـــد

* – انظر : A. Meillet, La methode Compartive en linguislique historique, Paris.

واسع المعنى لم يقيّده ضابط يصدق في جميع الاحوال . فلو أخذنا مـــادة « القطع » في اللغة نجد ان هذا المعنى يعبر عنه بكلمات تتكون في الغالب من حرفي القاف والطاء او القاف والصاد ، وما الحرف الثالث الا تكملة فهو اما صدر « Préfixe » واما كسع « Suffixe » واما مقحم اقحاماً وسط الكلمة «Infixe» . غير اننا نجد من ناحية اخرى ان هذا المعنى « القطع » يؤدى ايضاً بحروف اخرى كثيرة عديدة لا سبيل الى أن نأتي على حصرها وضبطها . ومعنى هذا ان حكاية الصوت لا تؤدى بحروف معينة وان المعنى على هذا لم يوضع توقيفاً او اصطلاحاً، ومن أجل هذا فاللفظة التي تعرب عن « الوحدة » في العربية وهي « واحد » او « أحد » او « أول » وكذلك اللفظـــة التي تدل على فكرة « الازدواج » وهي « اثنان » وغير ذلك من أسماء العدد ، أقول : ان هذه الالفاظ لا تملك أية صلة بفكرة الوحدة او فكرة الازدواج ، وما المعنى الذي تسوق اليه الا شيء اصطلاحي ألفه الناس منذ كانوا ، وعلى هذا فالاستعمال حد مهم وضابط جامع مانع لا يستطيع اللغوي ان يتخطاه ويضرب في الاوهام التي لا تسعفه ولا يفيد منها .

ونريد ان نخلص الى ان الصفة الاعتباطية لدلالة اللفظ على مؤداه من المعنى خير وسيلة لتطبيق الطريقة المقارنة التاريخية في اللغات .

ولعلنا نفيد فائدة عظيمة في فهم « العربية » اذا اتبعنا هذه الطريقة المقارنة التاريخية وذلك بدراستها بالنظر الى غيرها من اللغات التي تضمها المجموعـــة السامية للغات ، وبهذه الطريقة نستطيع فهم كثير مما استغلق على علماء العربية الأوائل وما وقعوا فيه من أوهام . أقول الأوائل لأن لغتنا ما زالت تدرس على النهج الذي سنّه هؤلاء العلماء من لغويين ونحاة ، وما زلنا نعـــول عليهم في دراساتنا الحديثة . فالكتاب الحديث الذي يضطلع به مؤلفه فيسجل آراءه في فقه اللغة لا يختلف كثيراً عن كتب فقه اللغة العربية مثل كتاب « فقه اللغة » للثعالبي ، وكذلك لا يختلف عن الكتب الكثيرة التي وصلت الينـــا ومؤداها

التنبيه على اغلاط الكتّاب من أيام ابن قتيبة الى أيامنا هذه . وكذلك الأمر في مادة النحو ، فقد ظلت عبر القرون راكدة جامدة فلم يفكر في جوهرها ، ولم يفكر في طريقة عرضها ، وما زلنا نتقبل مادة النحو وفق المدرسة البصرية دون أن نرى حاجة الى تغييرها او اصلاحها على الأقل ، اذن فاللغة العربية ظلت متوقفة لا تخضع للتطور فهي هي كما قيدتها لنا المراجع والأسانيد .

ومن أجل هذا فالعلم بالساميات وسيلة مفيدة لفهم العربية ، ولا يمكن فهم الصفات التي تميز العربية عن غيرها من اللغات الا بالرجوع الى تلك اللغات التي تتصل بالعربية اتصال النسب .

فالعربية مثلاً كغيرها من اللغات السامية تتصف بما يأتي :

١ — انها تعتمد على الحروف الصامتة لاداء المعنى وهي تستخدم الحركات للتفرقة بين المعاني المتكافئة .

٢ — تمتاز بالحروف الحلقية .

٣ — معظم اصولها ثلاثية [٦] .

---

٦ — أقول « معظم » لان القول بالاصل الثنائي ثابت ومقبول . وقد لمح الاوائل ايضاً الثنائية في الاصول وكذلك الدراسات الحديثة اللغوية التي قام بها المستشرقون ، على اننا لا ننسى هـــذه الدعوى بالثنائية والتي نادى بها الاب أ. س. مرمرجي الدومنيكي في كتيب صغير سماه : « هل العربية منطقية » ، مطبعة المرسلين اللبنانيين — جونيه (لبنان) ١٩٤٧ ، ويذهب الأب في اثبات هذه النظرية باللجوء الى اللغات السامية . وقد عالج في هذه الدراسات مواد عربية معينة استطاع ان يثبت الثنائية بجلاء في قسم كبير منها ، ولكنه لم يكن موفقاً في القسم الباقي وذلك لان الخوض في هذا الباب صعب ، لان هذه اللغة بعيدة العهد وان الكلمة مرّت بمراحل طويلة الأمد أكسبتها اشياء جديدة فغيرت معانيها ، وبذلك انقطعت عن اصولها ، ومن اجل هذا فلمح الاصل ليس من الامور الهينة اليسيرة . ومن اجل هذا ايضاً كانت الحاجة شديدة الى معجم تاريخي تؤرخ فيه الكلمات وفق استعمالها خلال العصور المختلفة . وبذلك نحصل من كل كلمة على صورة صادقة صحيحة للتطور والحياة التي تحياها المفردات .

٤ – تمتاز بندرة الالفاظ المركبة .

٥ – تمتاز بندرة الازمنة المختلفة التي يدل عليها الفعل . وهذه الميزة ظاهرة واضحة ، فالفعل وارتباطه بالزمن في هذه اللغات قاصر عن ان يحيط بالاحداث المختلفة التي يدل عليها الفعل في قسم من اللغات الهندية الاوروبية .

ودراسة أي موضوع من العربية في ضوء هذه الطريقة تثبت لنا ان معرفة تاريخ لغة من اللغات غير ممكنة ان درست وهي منعزلة عن غيرها من اللغات التي تقرب منها ، وان تاريخ لغة لا صلة لها بغيرها أو قل لا تعرف فيها هذه الصلة ، غير ممكن درسه لنعرف المراحل التي مرت بها تلك اللغة .

ونريد الآن ان نتبين فائدة هذه الطريقة وذلك بالتعرض لدراسة بعض الموضوعات ولنأخذ على سبيل المثال اسماء العدد في كل من العربية والعبرانية والسريانية :

فالمشابهة التي نجدها لم تأت عبثاً ، ولم تأت مصادفة ، وانما هناك وجوه من الشبه تثبت ان هذه اللغات يضمها اطار واحد . وهذا يفيد في درس المفردات من حيث طريقة نطق الاصوات Phonétique . ومن الامور التي تسترعي النظر ، ان لاسماء العدد في هذه اللغات صيغة للمذكر واخرى للمؤنث .

والباحث في المفردات العربية وتاريخها لا بد له من اتباع هذه الطريقة والا فانه واقع فيما وقع فيه اللغويون اصحاب المعجمات العربية . فهم لا يميزون في مادة (ر ج م) بين ألفاظها ، ومن اجل هذا يحشرون رجم وترجم في مكان واحد . والذي يعرفه المتطلع في الساميات الى ان الثانية جاءت من (ترجوم)[٧]

٧ – « ترجوم » كتبتها بالجيم ، وأردت نطق الجيم غير المعطشة كالجيم القاهرية المصرية وكالحرف (G) في الكلمة الفرنسية Gare ، والكلمة الانكليزية Garden .

(Targum) ، وهذه تعني في العبرية الشروح والحواشي في اسفار العهد القديم باللغة الآرامية وفق العبرية في القرن السادس قبل الميلاد ، وهو الوقت الذي حلت فيه الآرامية محل العبرية . ونقلت الكلمة للعربية فاكتسب معنى النقل من لغة الى لغة اخرى . وبهذا فحشرها في مادة (رجم) العربية من باب الجهل بالأصول والسهولة المخلة، ولو ان اصحاب المعجمات عرفوا اللغات السامية الاخرى لافادوا ولوجدوا لهم مخرجاً وقربوا بين هذا الفعل الدخيل وبين مادة (رقم) التي تقرب منها في المعنى والتي تشير الى الكلمات المرقومة .

ومن أمثلة ذلك الكلام حول (تلميذ) فأصحاب المعجمات جهلا منهم بالاصول السامية يكتفون بالمعنى الذي اكتسبته الكلمة في الاستعمال عبر العصور ، وكان الأولى ان يقربوا بينها وبين (تلميد) العبرية المأخوذة من المصدر (تلمود) الذي يعني تعليم ، وتفعول في العبرية يقابل تفعيل العربية. والتلمود هو الدروس التي أخذها اليهود عن علمائهم وهي ملاحظات تتضمن عظات ونصائح وافكاراً ، والتي لا تخلو من مجادلات عقيمة . وفي العهد الجديد في انجيل متى اشارات الى أولئك الاحبار الذين يتلقون عنهم هذه الدروس . وهذا المصدر العبري مأخوذ من الفعل (لمد) وهو تعلّم .

وهناك كثير من المفردات التي يمكن التقريب بينها وبين ما يشبهها في الآرامية ايضاً .

العربية	العبرية △	السريانية
واحد	إحاد	حَدْ
اثنان	شنايم	تْرين

△ اثبتنا هذه الكلمات العبرية وكذلك السريانية بالحروف العربية لعدم تيسر الحروف العبرية والسريانية .

ثلاثة	شلاشا	تلاثا
اربعة	أربَعَا	أرْبَما
خمسة	حَمْشَا	حَمشا
ستة	شِشْا	إشْتا
سبعة	شِفعَا	شَبْعَا
ثمانية	شْمونا	تمْنيا
تسعة	تِشْعا	تِشْعا
عشرة	عَسْرا	عَسْرا

والدخيل الآرامي في اللغة العربية كثير ايضاً . وبهذه الطريقة نستطيع أن نتفهم العربية . اما في مادة النحو مثلاً ، فأداة التعريف في العربية هي الألف واللام ، وفي العبرية هي الهاء ، ولا توجد هذه الاداة في السريانية . ولو اننا نظرنا في كتب النحو لوجدنا ان هناك من يقول ان التعريف حاصل في الالف واللام ، وهو قول الخليل ، أو انها اللام وحدها وهو قول سيبويه ، ولنا أن نقول ربما حصل التعريف في الالف ويدلنـــا على ذلك ان اللام لا تنطق مع الحروف الشمسية ، وأن الهمزة تقرب من الاداة العبرية وهي الهاء . والهمزة والهاء سواء في العربية ، فأيا وهيا في النداء بمعنى ، وألا وهلا تخفيفاً وتشديداً كذلك .

هذه الملاحظة رأي شخصي صرف أسوقه لا على سبيل التقدير والتأكيد انما على سبيل العرض والاقتراح .

وربما استفدنا من المقارنة فائدة لا تحصل في غيرها . فلو أخذنا ما شاع من الاعلام المغربية والاندلسية وهي تلك المختومة بواو ونون ، نستطيع في العربية

وحدها أن نقطع فيها بشيء ، فهي زيادات ليس غير . فالاسم زيد وهو مصدر نقل الى العلمية فصار زيدونا وكذلك عبدون ووهبون وسحنون وخلدون وجلّون الى غير ذلك . والوجه في هذا انها زيادات تصغير كما يحدث في التصغير في اللغة السريانية فكتاب تصبح كتابونا [8] .

ولو استعنا بالعامية الدارجة لوجدنا ما يؤيد هذا فكلمة شيء تصبح (شويونه) ودرب تصبح (دربونه) وبيت تصبح (بيتونه) الى غير ذلك فالواو والنون مطرد في كل هذا لفائدة التصغير ، ولزيادة التصغير الذي من معانيه التقليل والتحقير والتنكير زيدت التاء الاخيرة ، والتاء في كثير من الامثلة تفيد هذا ، فالتاء في تمرة لا تفيد التأنيث الذي لا حاجة فيه انما تفيد الوحدة فتمرة اسم الواحد لمجموعة التمر [9] .

ونريد الآن أن نسلك مسلكاً صعباً فنقرر ان الصورة الاولى للفعل العربي هو المضعف الماضي الثلاثي . والقول في هذا يؤدي بنا الى أن نقول مع القائلين ان مبدأ الثلاثية في الاصل العربي مرحلة تكميلية وليست اولى ، ومن أجل هذا فلا بد أن تكون الاصول الثلاثية تمت بعد أن كان هناك مرحلة كان فيها الاصل ثنائياً ، ثم تطور هذا الثنائي الى الثلاثي الذي صار ميزة من مزايا العربية واللغات السامية الاخرى .

ولا بد من دليل نستضيء به في هذه السبيل فنقول ان كثيراً من المعاني تؤدى بحرفين ساكنين ومن أمثلة ذلك الحروف العربية — اعني العوامل على لغة النحاة — فحروف الجر مثلاً وجلها يتألف من حرفين صامتين كمن وعن وعلى

---

٨ — هناك طريقة اخرى للتصغير في السريانية وهي زيادة واو وسين ، وطريقة ثالثة على جمع الزيادتين اي الواو والنون والواو والسين .

٩ — أقول ان التاء تفيد التقليل والتنكير . هذا هو الغالب لان التاء في علامة ونسّابة هي غير ذلك وربما كانت على سبيل التضاد من قبيل البصير للاعمى تجملاً وتفاؤلاً .

والى [10] تؤدي معاني كان حقها ان تؤدى بفعل ، ومن أجل ذلك فطن الباحثون في الاساليب وقالوا : جاء فلان على جواد أبلغ من قولهم : جاء راكباً جواداً ، جرياً على القاعدة المشهورة البلاغة الايجاز . ولعل ما في العبرية من حروف الجر يؤيد هذا فالحرف على [11] واللام يؤديان من المعاني ما حقها أن تؤدى بالفعل .

ولعل لغة الاطفال من الامور التي تقوم دليلاً ايضاً على ان المعاني تؤدى بادي ذي بدىء باثنين من الحروف . فالطفل يقول عم أو هم حين يريد الطعام مثلاً ، والمتتبعون لسلوك الاطفال يستطيعون تأييد هذه الملاحظة القيمة .

وقد يتنكر لهذه الدعوى جماعة المختصين بالعربية غير اني اقول ان هذه ملاحظات توصل لها البحث ، فمن شاء فكر بها وبحثها ليخلص الى اقرارها أو انكارها .

اقول ان المعاني العربية تؤدى بحرفين صامتين فالكاف والنون في كن تؤدي في العربية التخفي والاستتار فهي بمعنى جن التي استحالت بالتضعيف الى جنّ ، هذا في العربية ، وفي العبرية مادة « كن » أيضاً تؤدي المعنى نفسه ، وقل مثل ذلك في مادة در في اللغتين العربية والعبرية ، وكذلك مادة ف ر فهذه المواد تؤدي المعاني وهي بحرفين ، وما الحرف الثالث الذي لصق بها كسما Suffixe الا لغاية اكمال الاثنين وصيرورتها على ثلاثة ، وهذه المرحلة الثلاثية متأخرة بالنسبة للاولى ، والأمد بينهما واسع طويل ، ومن أجل هذا لا يرضى هذه الدعوى اللغوي الذي ألف الثلاثي فلا يرى وسيلة لرده للاثنين .

اقول ان هذا الثالث الطارىء على طريقة التضعيف زيادة في الكلمة وليس بأصل ، ذلك ان أحد هذين الحرفين يتغير على طريقة الابدال ، مثال ذلك :

---

١٠ – أقول : حرفين صامتين ، لان الحرف الثالث في (على والى) هو استطالة للحركة وهي الفتحة ، وسنأتي على ذكر الحركات وحروف المد .

١١ – جاء في الشواهد الشعرية العربية عل بمعنى على .

كنّ العربية وكنن العبرية تصبح كهن .

وهذا الابدال وسيلة لايجاد معاني جديدة مع ابقاء شيء من المعنى القديم في هذا المستحدث الجديد لحاً للاصل . ففي مادة كهن ما زالت فكرة الاستتار والخفاء موجودة ، ومادة درّ تصبح دهر في العربية وكذلك في العبرية والفكرة في الدهر هي الدوران ، ومن أجل هذا شبهوا الدهر بالفلك يدور .

ثم ان المضعف ولد على طريقة الابدال والتعويض ، الفعل الاجوف ، ولذا فان حروف المدّ وسائل مهمة بيد واضع المعاني لابتكار معان جديدة . وهي لوجود فكرة المدّ فيها داخلة في ضمن الحركات التي تعد ايضاً من الوسائل المهمة في هذا السبيل [١٢]

نعود فنقول ان مادة كنّ الفعل المضعف أصل في كان وكذلك مادة (غب) أصل في غاب ، ومادة (جبّ) أصل في جاب ، ومادة (صرّ) أصل في صار .

وهناك أفعال جوف كثيرة لا سبيل الى معرفة أصلها التضعيفي لفقدان استعماله وبعد العهد به [١٣] فانقطعت الصلة ، وأصبح لمح العهد بذلك من الامور الصعبة .

والدليل في هذه السبيل الموحشة معـــالم لغوية احتفظت بها العربية تشير اشارة واضحة الى الاصل التضعيفي الذي ذهبنا اليه ، وهو أن الكثير من هذه

---

١٢ – أو قل ان الحركات وسيلة مهمة لابتداع المعاني ، ودليلنا الاستقراء اللغوي ، فالعود معروف المعنى ووثيق الصلة بـ « عيد » وكذلك صوت وصيت وغوث وغيث والخ ...

١٣ – ربما كان هناك اصل مضعف لكلمة نار ونور هو (نرّ) غير انه ضاع فلم يستعمل ، لان هذا الاصل هو الذي ولّد مادة (نهر) العبرانية التي تعني الضوء ، ولا سبيل لمعرفة نهار العربية بغير هذا .

الافعال الجوف مصادر تحتفظ بالحرف المضعف وفيما يـــلي ثبت بمصادر هذه الافعال :

الفعل	المصدر	الفعل	المصدر
كان	كينونة	جاب	جيبوبة
دام	ديمومة	غاب	غيبوبة
بان	بينونة	قال	قيلولة
صار	صيرورة	حال	حيلولة

هذه المصادر وغيرها تشير الى هذا الاجوف الذي جاء من المضعف فالالف في صورة الماضي والياء والواو في صورة المضارع تعويض [14] من الفعل المضعف . والباحث في العبرية يجد شيئاً من هذا ايضاً، فمادة (فرّ) تصبح فور ، كما تصبح فرّ في العربية فار التي تحتفظ بالفكرة المعنوية في فرّ .

أما حرف الياء الذي لزم هذه المصادر ، فهو حشو مفيد ، ربما جيء به ليبعد الكلمة عن وزن الصفة وهي فعول [15] .

على ان هذه الصيرورة لا تقتصر على الاجوف ، فهناك دلائل تشير الى أن كثيراً من الفعل الناقص جاء عن المضعف على طريقة التعويض فالفعل كنى في العربية وكنه في العبرية هما من هذا الباب . ولا بد من الاشارة الى أن الهاء

١٤ — أقول : تعويض ووجه الامر ان فتحة الغين في غب تشبع حتى تستحيل الى مـــد، ومن حق هذا المد الطويل ان يخرم من آخر الفعل ليبقى محافظاً على الثلاثية .

١٥ — استأنسنا برأي الاستاذ الفاضل مصطفى جواد في هذه القضية .

المعوّض في العبرية يقابله شيء كثير في العربية ، فالكنه بمعنى الحقيقة هو من هذا الباب ايضاً .

ولو استعرضنا على طريقة الاستقراء طائفة من الافعال الناقصة في العربية لنعرف السبيل الى صيرورتها على حالتها من النقص لوجدنا أن من بينها كثيراً ما جاء من المضعف بابقاء التضعيف ومدّ الفتح في الآخر حتى يصبح ألفاً وبهذا استحال الفعل رباعياً ناقصاً مع بقاء التضعيف في عينه ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

مدّ تصبح مدّى .

مطّ تصبح مطّى (ثم ذهب الى أهله يتمطى) الآية .

ذرّ تصبح ذرّى .

دلّ تصبح دلّى .

سرّ تصبح سرّى .

ربّ تصبح ربّى .

وربما جاء من هذه الافعال التي استحالت على هذه الطريقة رباعية ناقصة ، أفعال ثلاثية :

فمن (ذرّى) جاء (ذرا) ، ومن (سلّى) جاء (سلا) .

وما دمنا نرى ان المضعف أصل لهـــذه الافعال على هذه الطريقة أو على طريقة التعويض فلا بد من الاشارة الى ان كثيراً من الافعال المصدرة بالنون قد استفادت النون بهذه الطريقة من المضعف الذي هو أصل، مثال ذلك : نفر الآتية من فرّ ، ونتل التي تأتي من تلّ أو نثل من ثـــلّ ، وما زالت اللغة الدارجة تستعمل (شرّ الثوب) بمعنى (نشر) وعلى هذا الاساس تكون نجر من جرّ . ولما كان الكلام عن النون وهي صدر في الفعل ، فهناك النون التي هي

كسع فيه ، والتي جاءت الفعل على هذه الطريقة من المضعف ، مثال ذلك الفعل أدمن الذي يعني الدوام جـــاء من المضعف ، وقد عرضنا الى ذلك في مادة الديمومة . فالنون هي تعويض من الميم ، جاء في الاغاني «ج ٦ ص ٢١ ط دار الكتب» كان مدمناً للحج [١٦] .

ولا بد أن أشير في الختام الى ان هذه آراء شخصية قلت بها بعد أن تبين لي من الاستقراء ما يؤيدها .

---

١٦ — اختصت ادمن في اللغة المتداولة بالتزام الشر والمنكرات ، مثال ذلك : ادمن فلان على الخمرة .

حقيقة التضمين في علوم العربية

ان اصطلاح « التضمين » يدل على دلالات متباينة بحسب المادة التي استعمل فيها ، واستفادت منه . نراه في كتب البلاغة في « باب التضمين والاقتباس » ، وهو في مادة « العروض » في باب « عيوب القوافي » كما انه يدخل في أبواب من النحو مثل « باب حروف الجر » و « المتعدي واللازم » . ومن أجل ذلك فالباحث فيه ازاء موضوع واسع الأطراف ، كثير المسالك ، ولكننا اجتهدنا ان نفيه حقه ملتزمين بالايجاز في عرض الوجوه المهمة ولا سيما ما يتعلق منها بالمسائل اللغوية والنحوية ، ولأجل الوصول الى هذا الغرض رأينا ان نقسمه الى قسمين :

١ — قسم يعرض لمدلول هذا الاصطلاح في علمي البلاغة والعروض ، وهو قسم موجز نبيّن فيه مدلول الاصطلاح ، ثم نربط بين المدلول ومسألة التجديد والتقليد في الأدب .

٢ — وقسم يعرض لمدلول هذا الاصطلاح في النحو واللغة ، وهذا القسم هو الجانب المهم في هذا البحث . ويكشف هذا الجانب عن قضية ارتباك مدلولات الألفاظ في النصوص ، وعن محاولة علماء العربية لتبرير هذا الارتباك بوسائلهم المنطقية المعروفة .

١ — التضمين في علمي البلاغة والعروض :

يلمح الباحث في الأدب العربي ظاهرة التقليد ، ولا يحتاج الأمر الى دليل في

هذا ، فظواهر التقليد واضحة في مختلف العصور الأدبية ، وهي تتخذ أشكالاً عدة لا نرى حـــاجة في تبيانها . والتضمين الذي نواجهه في « باب الاقتباس والتضمين » من هذه الأشكال التقليدية . وملاك هذا التضمين البلاغي كما يقرر ابن رشيق في عمدته[1] : « هو قصدك الى البيت من الشعر او القسيم فتأتي به في آخر شعرك ، او في وسطه كالمتمثل ، نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب » :

يا خاضب الشيب والأيام تظهره
هـــذا شباب لعمر الله مصنوع

أذكرتني قول ذي لب وتجربة
في مثله لك تأديب وتقريـــع

ان الجديد اذا ما زيد في خلق
تبين الناس ان الثوب مرقوع

فهذا جيد في بابه ، وأجود منه ان لو لم يكن في البيت الأول والآخر واسطة ، لان الشاعر قد دل بذلك على انه متهم بالسَّرَق ، او على ان هذا البيت غير مشهور ، وليس كذلك ، بـــل هو كالشمس اشتهاراً ، ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضميناً عجيباً ، لان ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الأول الا في المعنى ، وهذا عند الحذّاق أفضل التضمين ، فانما احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له :

ولا ذنب لي ان ساء ظنّك بعدما
وفيت لكم ، ربي بذلك عـــالم

---

١ – ابن رشيق ، العمدة ٢/٨٤ .

وهـــا أنا ذا مستعتب متنصــلٌ
كما قــال عبــاسٌ وأنفي راغمُ

وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت المضمن هي قوله :

وصبٌّ أصــاب الحبُّ سوداءَ قلبه
فــأنحله ، والحبُّ داء مـــلازم
فقلت له إذ مــات وجداً بحبّــه
مقـــالة نصحٍ جانبتها المـآثم
تحمّلْ عظيم الذنب ممن تحبُّه
وان كنت مظلوماً فقل : أنا ظالم
فانك الا لم تحمــــل الذنب في الهوى
يفارقك من تهوى وأنفك راغم [٢]

فنحن نرى في هاتين المقطوعتين أن ابن المعتز لم يكتف بتضمين بيت العباس وحده ، وانما استوحى روح المقطوعة وقسماً من ألفاظها ، وذلك يدل على ما كان فيه الشعراء من التتبع لأشعار غيرهم .

وعلى هذا فلا يمكن ان يكون التضمين الا لوناً من ألوان التقليد ، ولا نظن ان الشاعر المبتكر يستعين بهذه الوسيلة في فنه ، ومن أجـــل ذلك يذكر ابن رشيق مفهوماً آخر للتضمين يعتبره أجود مما ذهب اليه حيث يقول [٣] :

« وأجود منه ان يصرف الشاعر المضمّن عن معنى قائله الى معناه ، نحو قول بعض المحدثين ، ونسبه قوم الى ابن الرومي :

---

٢ – المصدر السابق .

٣ – المصدر السابق .

يا سائلي عن خـــالد عهدي به
رطب العجان وكفه كالجلمد

كالاقحوان غداة غبّ سمائه
جفّت أعاليه وأسفله نَـدي

وابن الرومي ، أو الشاعر الآخر المحدث قد صرف – كما يقول ابن رشيق – قول النابغة في صفة الثغر :

تجـــلو بقادمتي حمـــامة أيكه
بَرَداً أُسِفّ لثـــاته بالاثمد

كالاقحوان غداة غِبّ سمائه
جفت أعـــاليه وأسفله نَدِي

الى معناه الذي أراد .

ولست أدري ما وجه الجودة في هذا الصرف الذي تفضحـــه العبارات المتشابهة !! وليس هذا الا التقليد الذي عبّر عنه ابن رشيق بعبارته الفنيـــة المذكورة .

وليس أدل على التقليد الفاضح من الشعراء الذين يضمنون قسيماً كما فعل الصولي :

خلقت على بـــاب الامير كأنني
« قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل »

اذا جئت أشكو طول ضيقٍ وفاقةٍ
« يقولون : لا تهلك أسىً وتجمل »

ففاضت دموع العين من سوء ردهم
« على النحر حتى بلّ دمعي محملي »

لقد طال ترداي وقصدي اليكم
« فهل عند رسم دارس من مُعَوّلِ »

والشاعر في تضمينه هذا ، والذي لا يدل الا على التقليد والتتبع الواضح ، قلّ أن يناسب بين ما له وما أخذه .

وهناك ركن آخر من أركان هذا التضمين ، وهو أن يقلب الناظم بيتاً فيضمنه معكوساً ، نحو قول العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن عبد الملك :

لقد أنكرتني أنكادَ خوفٍ
يضم حشاك عن شتمي وذحلي

كقول المرء عمرو في القوافي
لقيس حين خالف كل عدلِ

« عذيرك من خليلك من مُراد
أريد حياته ويريد قتلي »

والبيت المضمّن لعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، يقوله لابن اخته قيس بن زهير بن هبيرة بن مكشوح المرادي ، وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة ، وحقيقته في شعر عمرو :

أريد حياته ويريد قتلي
عذيرك من خليلك من مُرادِ [٤]

---

٤ – المصدر السابق .

وابن رشيق في العمدة يفصل في التضمين فيذكر منه أشكالاً عدة ، وهي في مجموعها تدل على التقليد والمحاكاة . ونحن نجتزىء بهذا القدر من الامثلة ، والذي ذكرناه يعطي صورة موجزة عن التضمين في باب الأخـــذ والاستعانة بآثار الآخرين . ولم يلجأ كثيراً الى هذه الوسيلة ، الا الشعراء المتخلفون الذين حرموا الابتكار والتجويد ، على ان علي بن عيسى الرماني يعد التضمين باباً من أبواب البلاغة التي تنحصر عنده في عشرة ، غير ان مفهوم التضمين عنده مفهوم كلامي محض كما يعبّر عنه بقوله [٥] :

« تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه . والتضمين على وجهين : أحدهما مـــا كان يدل عليه الكلام دلالة الاخبار ، والآخر ما يدل عليه دلالة القياس . فالاول كذكرك الشيء بأنه مُحدَث ، فهذا يدل على المحدث دلالة الاخبار ، والتضمين في الصفتين جميعاً ، الا انه على الوجه الذي بيّنا . وكذلك سبيل المكسور ومنكسر ، وساقط ، ومسقط .

وأما التضمين الذي يدل عليه دلالة القياس فهو ايجاز في كلام الله عز وجل خاصة ، لانه تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة ، فنصبه لها يوجب ان يكون قد دل في كل وجه يصح ان يدل عليه . وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة ، لانه قد تذهب اليه دلالتها من جهة القياس ولا يخرجه عن ان يكون قد قصد بها الابانة عما وضعت له في اللغة من غير ان يلحقه فساد العبارة . وكل آية فـــلا تخلو من تضمين لم يذكر باسم او صفة ، فمن ذلك « بسم الله الرحمن الرحيم » قد تضمن التعليم لاستنتاج الامور على التبرك به والتعظيم لله بذكره ، وانه أدب من آداب الدين وشعار للمسلمين ، وانه اقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي هي من أجل نعمه ، وانه ملجأ الخائف ومعتمد للمستنجع » .

٥ – النكت في اعجاز القرآن ٩٤ ، في كتاب « ثلاث رسائل في اعجاز القرآن » .

وواضح من هذين القسمين ان « الرماني » اعتمد على منهج كلامي في ذهابه الى ان المفعول متضمن معنى فاعل ، وكذلك نصه على أن الآية تتضمن معاني أخرى وانه بيّنها في كتابه « الجامع لعلم القرآن » كما ذكر في آخر هذا الفصل .

أما مدلول الاصطلاح في « العروض » فهو يستند على ما قرره العروضيون في أن البيت في القصيدة انما هو شعر قائم بنفسه ، وان من عيوب القافية عندهم ان البيت لا يتم معناه الا بالذي يليه، ويسمون هذه الظاهرة في القوافي تضميناً[٦] . ويتفق أغلب المعنيين بالقوافي ، على ان هذا عيب من عيوب القوافي وينشدون على هذا قول الشاعر :

وليس المال فاعلمْه بمال
من الاقوام الا للذيْ

يريد به العلاء ويمتهنْـه
لأقرب أقربَيه وللقَـصِيّْ

فضمن بالموصول والصلة على شدة اتصال كل واحد منهما بصاحبه .

وينقل لنا صاحب « التاج » خلافاً طويلاً حول جواز التضمين في القوافي او عدمه ، والذي يعنينا من هذا ، هو ان هذه الظاهرة كثيرة في الشعر العربي ، والشاعر مضطر الى هذا في ظروف خاصة ، ما بقي ملتزماً بالوزن والقافية .

التضمين في اللغة والنحو :

عرضنا في القسم الاول للتضمين في البلاغة والعروض ، ونعرض الآن في هذا الفصل الى القسم الثاني من البحث وهو التضمين في اللغة والنحو . وفي الحق ان هذا القسم غير مستقل عن الاول من حيث بعده عن البلاغة واتصاله بالمباحث

---

٦ - انظر مادة (ضمن) في لسان العرب وتاج العروس .

اللغوية والنحوية ، فقد امتدت اليه يد البلاغة ، فناقشت اصوله في ضوء العقلية البلاغية التي شاعت في المنهج اللغوي ، ومعلوم ان المنهج البلاغي يستدعي البحث في النصوص الادبية عن الصور البيانية والقيم الجمالية .

ومعلوم ايضاً ان الجانب النحوي واللغوي في موضوع التضمين قد تعرض لسؤالات بلاغية ، كالاستفسار عن ماهيته ، أحقيقة هو أم مجاز ؟ وهل القيد فيه حال منتزعة من المنقول منه ؟ وما الى ذلك من الامور البلاغية المحضة .

ولكي نعطي فكرة واضحة عن هذا القسم، رأينا ان نعرض لمواضع التضمين في الاستعمال لنخلص الى تحديده وضبطه وتعريفه، ثم نقرر أحقيقة هو أم مجاز ؟ رغبة منا في ان نصل بعد هذا الى انه قياسيٌ يجوز ان يقاس على ما اشتهر استعماله ، او انه سماعي لا ينقاس عليه .

التضمين في الاستعمال :

لم يسلم منهج الباحثين في علوم العربية من قيود المنطق وآثار الفلسفة . ذلك ان العقلية الفلسفية قد غزت سائر العلوم ، فقد استهوى منطق أرسطو وفلسفة الفلاسفة الآخرين الباحثين في الثقافة العربية الاسلامية ، فتأثروا بهذا في سائر علومهم . وكان من نتائج ذلك ان تأثر البحث اللغوي والنحوي بهذا المنهج الدخيل على النحو واللغة ، وكان تأثيره في النحو واللغة سلبياً ، فقد أحال كثيراً من الابواب اللغوية والنحوية مادة جامدة بعيدة عن الحياة ، وبعيدة عن طبيعة اللغة السهلة السمحة . ومن أجل هذا ظهرت في علوم العربية قواعد وأحكام لم تكن وليدة الاستقراء الشامل الواسع للغة ، كقولهم مثلاً : ان الفعل « كذا » يأتي لازماً ولا يأتي متعدياً ، وان الحرف « كذا » يأتي لمعنى ولا يأتي لغيره وهكذا ، فاذا فطنوا ان هذا الفعل وذلك الحرف ، قد أتيا على غير ما ذكروا، فزعوا الى طريقتهم ومنهجهم يؤولون ويعللون يقدرون محذوفاً ،

او يحذفون ما هو مذكور . وليس هذا مجال عرض المشكلات اللغوية والنحوية التي أفسدها المنهج المنطقي ، فهي كثيرة معروفة للباحثين .

وبحث التضمين الذي ندرسه يظهر اضطراب علماء العربية القائلين به، فهناك نصوص تندّ عما وضعوه من أحكام وقيود ، لم يجدوا الى حلها غير القول بالتضمين ولا بد للباحث في علم الدلالات Sémantique بغية الافادة منه في اللغة العربية، ان يعاني صعوبة البحث اذا ما أراد ان يخلص المنهج السليم ولا سيما في عصورنا الحديثة .

فأول مجال للتضمين ، هو حروف المعاني ، او حروف الصفات على حد تعبير ابن قتيبة [٧] .

١ — الحرف « في » تضمن معنى « على » كقوله تعالى : « ولا صلبنكم في جذوع النخل » [٨] أي على جذوع النخل . قال الشاعر :

وهم صلبوا العبديّ في جذع نخلةٍ
فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وقال عنترة :

بطل كأن ثيابه في سرحةٍ
يُحذى نعال السّبت ليس بتوأم

أي على سرحة من طوله .

٢ — الحرف «الى» تضمن معنى «في» كقول النابغة :

فلا تتركني بالوعيد كأنني
الى الناس مطليٌّ به القار أجربُ

٧ — ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ٤٢٦ . أدب الكاتب ٥٠٢ .
٨ — سورة طه ٧١ .

يريد في الناس ، وقال طرفة بن العبد :

وان يلتق الحيُّ الجميع تلاقني
الى ذروة البيت الكريم المصمّدِ

أي في ذروة البيت الكريم الذي يُصمَد اليه ويقصد .

٣ — الحرف «على» تضمن معنى «عن» كقول القحيف العقيليّ :

اذا رضيت عــليّ بنو قُشَير
لعمر الله أعجبـني رضاهـا ٩

أي رضيت عني .

٤ — حرف « الباء » تضمن معنى « عن » كقوله تعالى : « فاسأل به خبيراً » ١٠ أي عنه .

قال علقمة بن عبدة :

فان تسألوني بالنساء فانني
بصير بأدواء النساء طبيب

وقال ابن أحمر :

تسائل بابن أحمر من رآه
أعارت عينه أم لم تعارا

٥ — الحرف « عن » تضمن معنى « الباء » كقوله تعالى : « ولا تجهر له

---

٩ — السيوطي ، همع الهوامع ٢/٢٨ .

١٠ — سورة الفرقان ٥٩ .

بالقول كجهر بعضكم لبعض » [11] أي لا تجهروا عليه بالقول ، والعرب تقول : سقط فلان لفيه ، اي على فيه . قال الأشعث بن قيس :

تناولت بالرمح الطويل ثيابه
فخرّ صريعاً لليدين وللفم

اي على اليدين والفم . وقال الطرماح بن حكيم :

كأن مُخوّاها على ثفناتها
مُعرّس خمس وقّعَتْ للجناجن

٦ – الحرف « الى » تضمن معنى « مع » كقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم » [12] أي : مع أموالكم وكقوله تعالى : « من انصاري الى الله » [13] اي مع الله . والعرب تقول : « الذود الى الذود ابل » ، اي : مع الذود .

قال ابن مفرّغ :

شدخت غرة السوابق منهم
في وجوه الى اللحام الجعاد [14]

أي مع اللحام الجعاد .

٧ – حرف « اللام » تضمن معنى « الى » كقوله تعالى : « بأن ربك أوحى لها » [15] ، اي أوحى اليها .

---

١١ – سورة الحجرات ٢ .
١٢ – سورة النساء ٢ .
١٣ – سورة آل عمران ٥٢ .
١٤ – ورواية اللسان الى الكهام الجعاد ، انظر مادة (شدخ) .
١٥ – سورة الزلزلة ٥ .

قال تعالى : « الحمد لله الذي هدانا لهذا »[16] ، اي الى هذا ، كما قال تعالى : « وهداه الى صراط مستقيم »[17] .

٨ — الحرف « على » تضمن معنى « من » كقوله تعالى : « اذا اكتالوا على الناس يستوفون »[18] اي من الناس .

وقال صخر الغيّ :

متى ما تنكروها تعرفوها
على أقطارها علــق نفيث

أي من أقطارها .

٩ — الحرف « من » تضمن معنى « الباء » ، كقوله تعالى : « ويحفظونه من أمر الله »[19] أي بأمر الله . وقال تعالى : « يلقي الروح من أمره » أي بأمره .

١٠ — حرف « الباء » تضمن معنى « من » كقول ابي ذؤيب الهذلي :

شربن بماء البحر ثم ترفّعت
متى لجج خضر لهن نئيج

وقال تعالى : « عيناً يشرب بها المقربون »[20] أي منها .

نجتزىء بهذه الشواهد فنتبين فيها ان النحويين وعلماء اللغة في حيرة واضطراب، فهم يرون حرفاً قد استعمل في مكان آخر، ولا بد لهم ان يتخلصوا من هذه الحيرة وهذا الاضطراب بوسيلة من وسائلهم .

---

١٦ — سورة الاعراف ٤٣ .
١٧ — سورة النحل ١٢١ .
١٨ — سورة المطففين ٢ .
١٩ — سورة الرعد ١١ .
٢٠ — سورة المطففين ٢٨ .

والبصريون يمنعون انابة الحروف الجارة عن بعض قياساً، كما لا تنوب حروف الجزم والنصب بعضها عن بعض ، وما أوهم ذلك محمول على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف او على شذوذ النيابة ، والكوفيون يجوزون نيابة بعضها عن بعض قياساً[21] ، وقد رجح ابن هشام مذهبهم فقال : « ومذهبهم أقل تعسفاً »[22] .

ولقد اختلف البصريون والكوفيون في هذا الباب اختلافاً كبيراً ، واختلافهم يشير الى أن هؤلاء جميعاً لم يستقرئوا كلام العرب استقراء وافياً ليسجلوا هذه الاستعمالات وليقيدوها بقائليها ، وبالزمن الذي قيلت فيه ، مهتمين بموضوع اللغات الخاصة التي أجازت استعمالاً دون آخر .

قال ابن الانباري في الانصاف : « ذهب الكوفيون الى أن (من) الجارة يجوز استعمالها في الزمان والمكان ، وذهب البصريون الى أنه لا يجوز استعمالها في الزمان ، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز استعمال (من) في الزمان أنه قد جاء ذلك في كتاب الله تعالى وكلام العرب . قال الله تعالى : « لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه »[23] وقال زهير :

لمن الديار بقنّة الحجر
أقوين من حجج ومن دهر

فدل على أنه جائز .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أن « من » في المكان نظير « مذ » في الزمان ، لان من وضعت لتدل على ابتداء الغاية في المكان ، كما ان مذ

---

٢١ – المخزومي ، مدرسة الكوفة ٣٢٦ .
٢٢ – ابن هشام ، (حرف الباء) ١٠٣ .
٢٣ – سورة التوبة ١٠٨ .

قد وضعت لتدل على ابتداء الغاية في الزمان ، ألا ترى انك تقول : ما رأيته مذ يوم الجمعة ، فيكون المعنى ان ابتداء الوقت الذي انقطعت فيه الرؤية يوم الجمعة ، كما تقول : ما سرت من بغداد ، فيكون المعنى : ما ابتدأت بالسير من هذا المكان . فكما لا يجوز أن تقول ما رأيته من يوم الجمعة ، لا يجوز أن يقول ما سرت مذ بغداد »[٢٤] .

وهذا الخلاف والجدل يظهر ان الكوفيين أسد رأياً وأصوب منهجاً ، ذلك انهم اعتمدوا استعمالات بنوا عليها رأيهم ، وهذا وجه علمي صائب .

أما البصريون فانهم تمسكوا بجدل واسلوب منطقي واعتمدوا على استعمالات اصطنعوها هم انفسهم ولم يعتمدوا على أمثلة مستقرأة في الثابت من النصوص والاستعمالات .

وقد استمر الكوفيون على مذهبهم في انابة كلمة عن اخرى ، فالفرّاء قد أجاز أن تقع « ليت » في موضع « تمنيت » وبهذا علل كون « ليت » أقوى أدوات النصب عنده ، وقد أجاز نصب المسند اليه والمسند بها مستشهداً بقول الشاعر :

يا ليت أيام الصبا رواجعا [٢٥]

لأنها شربت معنى تمنيت ، فاذا قيل : ليت زيداً قائماً ، كان معناه : تمنيت قيام زيد وقد ورد من هذا قول الشاعر :

اذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن
خطاك خفافاً ان حراسنا أسدا

٢٤ – ابن الانباري ، الانصاف في مسائل الخلاف ٢٢٨ .

٢٥ – معاني القرآن ، ورقة ٤٥ عن مدرسة الكوفة . السيوطي ، الهمع ١/١٣٤ .

وقد جاء في الحديث : « أن قعر جهنم لسبعين خريفاً » وقولهم أن زيداً أخانا [26] . وقد أنابوا فعلاً عن فعل آخر على سبيل التضمين ، وهو موضـوع يكشف ان علماء العربية لم يتعقبوا الاستعمالات ويقيدوها كما أشرنا ، ومن ذلك إن وجدوا شيئاً خرج عما قرروه من قواعد وضوابط احتالوا عليه بوسيلة من وسائلهم ، ولذلك قالوا بالتضمين :

قال الزمخشري : « ومن شأنهم أن يضمنوا الفعل معنى فعل آخر فيجروه مجراه ويستعملوه استعماله مع ارادة معنى المتضمن . قال والغرض في التضمين اعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من اعطاء معنى، ألا ترى كيف رجع معنى (ولا تعد عيناك عنهم) [27] الى قولك : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ، وكذلك قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) [28] اي لا تضموها اليها آكلين » .

وأنت ترى ان حقيقة التضمين عند الزمخشري قائمة على أساس ضعيف اذ كيف يجوز ان يتضمن الفعل في جملة واحدة معنيين ، ولم يفت هذا الاضطراب المعنوي على الاقدمين أنفسهم ، فقد ذكر الشيخ سعد الدين التفتازاني في حاشية الكشاف : فان قيل الفعل المذكور ان كان مستعملاً في معناه الحقيقي فلا دلالة على الفعل الآخر ، وان كان في معنى الفعل الآخر فلا دلالة على معناه الحقيقي ، وان كان فيهما جميعاً لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز .

والسيوطي في الاشباه والنظائر يورد أقوالاً متضاربة تظهر بوضوح مدى حيرة الاقدمين ازاء الاستعمالات والاساليب ، ومن أجل ذلك لم يتفقوا على حقيقة التضمين وطريقته ، فقد نقل ابن جني في الخصائص : « اعلم ان الفعل اذا

---

٢٦ – السيوطي ، الهمع ١٣٤/١ . شرح الرضى على الكافية ٣٤٦/٢ - ٣٤٧ .

٢٧ – سورة الكهف ٢٨ .

٢٨ – سورة النساء ٢ .

كان بمعنى فعل آخر وكان احدهما يتعدى بحرف ، والآخر بآخر ، فان العرب قد تلسع فتوقع احد الحرفين موقع صاحبه ايذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ، فذلك جيء معه بالحرف المعتاد على ما هو في معناه وذلك كقوله تعالى (أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) [29] وانت لا تقول رفثت الى المرأة ، وانما تقول رفثت بها أو معها لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الافضاء وكنت تعدي أفضيت بـ (الى) كقولك : أفضيت الى المرأة ، جئت بالحرف (الى) مع الرفث ايذاناً واشعاراً أنه بمعناه » [30] .

وقد وقع مجمع اللغة العربية في الحيرة نفسها ولم يستطيعوا أن يدرسوا المشكلة دراسة أسلوبية حديثة ، فقد أخذوا بالتضمين ، وقالوا بتضمين أفعال كثيرة لمعان كثيرة [31] .

وتزداد طائفة الافعال المتضمنة لمعان اخرى اذا ما فتشنا عن هذه الافعال في كتب البلاغة .

فقد ذكر سعد الدين التفتازاني : ان الظهور بمعنى الزوال كما في قـــول الحماسي :

وذلك عارٌ يا ابن ريطة ظاهر .

وقول أبي ذؤيب : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ، أي زائل [32] .

ولم يقتصر الامر على تضمين فعل بمعنى فعل آخر ، وانما تعداه الى صيرورة فعل لازم فعلاً متعدياً أو بالعكس .

---

٢٩ – السيوطي ، الاشباه والنظائر ١/١٠١ .
٣٠ – السيوطي ، الاشباه والنظائر ١/١٠٤ .
٣١ – دور الانعقاد الاول ٢٠٦ .
٣٢ – التفتازاني ، شروح التلخيص ٤/٩٧ .

ومن ذلك ما جاء في مجلة مجمع اللغة العربية : « وجاز تضمين اللازم المتعدي مثل : فانه سفّه نفسه أي أهلكها .

وذهب ابن هشام الى أبعد من هذا ، اذ قال : « وزعم قوم من المتأخرين منهم خطاب الماردني أنه يجوز تضمين الفعل المتعدي لواحد معنى « صير » ويكون من باب « ظن » فأجاز « حفرت وسط الدار بئراً » أي صيرت . وقد أجاز « بنيت الدار مسجداً » ، « وقطعت الثوب قميصاً ، وقطعت الجلد نعلاً » وجعل منه قول ابي الطيب :

فمضت وقد صبغ الحياء بياضها
لوني كما صبغ اللجين العسجدا [٣٣]

وانت ترى مما عرضنا ان مواضع التضمين واسعة ، وهذا الاتساع لا يدل على سعة البحث في الموضوع أو انهم تعمقوا في المشكلة فعرضوا لوجوهها جميعاً ، وانما يدل على حيرتهم في البحث عن المعاني والاساليب ، وربما كشف عن جمودهم ووقوفهم عند استعمالات لا يتعدونها الى غيرها ، وما خلا هذه الاستعمالات فهو بين أن يكون محمولاً على الخروج والخطأ والتجاوز ، أو انه داخل في باب التضمين ان لم يجدوا وجهاً الى تخطئته وخروجه كأن يكون من كلام الله ، كقوله تعالى : « أفلم ييأس الذين آمنوا » [٣٤] وقد ذكر المفسرون أن معناه : أفلم يعلم وقد قالوا : انها لغة نخع وهوازن ، وقال سحيم بن وثيل اليربوعي :

أقول لهم بالشعب اذ يأسرونني
ألم تيأسوا اني ابن فارس زهدم

---

٣٣ - السيوطي ، الاشباه والنظائر ١/١٠٣ .

٣٤ - سورة الرعد ٣١ .

وقد روي «ألم تعلموا» على الوجه الصحيح، كما أن ابن عباس قد قرأ: (أفلم يتبين الذين آمنوا)، وقد أنكر الفرّاء كون «ييأس» بمعنى يعلم.

وقد تبين انّ التضمين انْ تستعمل مادة فعلاً كان أو اسماً أو أداة محل غيره مع قرينة، قولية أو حالية، تشير الى المعنى الذي استعمل. وهذا الحد في التضمين يثير الاستفسار عن المادة المستعملة من حيث الحقيقة والخروج عنها الى المجاز أو الكناية أو الاستعارة.

لقد اختلف الاقدمون في حقيقة التضمين من حيث كونه حقيقة أو انه خروج عن الحقيقة الى غيرها توسعاً ومجازاً، ونستطيع أن نخلص الى مذاهب ثلاثة في الموضوع: فالمذهب الاول يقرر ان المادة المتضمنة قد استخدمت على الوجه الحقيقي مع قطع الصلة بينها وبين الاصل. والمذهب الثاني يقرر ان المادة قد استخدمت على الوجه المجازي مع القرينة الدالة. والمذهب الثالث يجمع بين المذهبين فيقرر أن المادة مستخدمة على الحقيقة والمجاز في آن واحد.

أما المحدثون الذين أقروا التضمين، فقد كانوا يريدون الاخذ به للحاجة اليه ولأن متطلبات العصر تستدعي أن تسعف العربية بمادة ضخمة حتى تساير الحياة الحاضرة ومتطلباتها المعقدة الكثيرة. وقد فعل هذا مجمع اللغة العربية بالقاهرة وقال بقياسية التضمين.

وتظهر هنا مسألة مهمة تتعلق بهذه «القياسية» التي يراد منها أن تستخدم استخداماً فنياً (Technique) في الحياة العامة، وما جد فيها من ضروب العلم التجريبي والنظري.

واذا جاز هذا، جاز أن نتوسع في الموضوع وندخل هذا في اللغة الادبية

والاسلوب الفني الذي يعتمد على خلق الصور الادبية التي تستمد عناصرها من خيال الاديب الذاتي ، ومما توحيه له بيئته ومجتمعه .

وينجم عن هذا أن لا بـــد أن تؤرخ الالفاظ وتقيد بعصورها وبقائليها حاسبين للاقاليم والمجتمعات حسابها في الاستعمالات وما شاع بينها من فنون القول ، وبهذا تفيد المعجمية العربية فائدة جليلة ، فيعاد بناء المعجمات المطولة على أساس جديد ، بمراعاة الظروف التاريخية وتطورها وانعكاس هذه الظروف المتطورة في المادة اللغوية ، ومن هنا تأتي ضرورة القيام بمعجم تاريخي .

الثقافة العربية والاقليمية

لن أحدثك عن العراق فما أغناك عن حديث تعرف من أمره شيئاً كثيراً ، ولا أريد أن أعيد عليك حديث البصرة والكوفة من حواضر الثقافة العربية الاسلامية ، ودع عنك « مدينة السلام » فالحديث عنها ذو شجون ، وما أراك الا قد عرفت من ذلك ما أنت مكتف به ، ولم أقصد ان أحدثك عن أي قطر من أقطار العربية في هــذا الشرق العربي ، فأنت تعرف مصر والشام وأقاليم الجزيرة ، وان هذه جميعاً منسجمة في ثقافتها وتفكيرها ، أو قل ان وحــدة فكرية تشتمل على هذه الديار من أرض العروبة .

ولكني سأحدثك عن جماعات أحبت الثقافة العربية وشغفت بها ، كما أحبت الاسلام ولزمته ، سأحدثك عن هؤلاء الاخوان المغاربة في الشمال الافريقي الذين ما زلنا نحن « المشارقة » نجهل من أمرهم أشياء ، وما زال في نفوسنا حاجــة لمعرفة هؤلاء الناس . ولعلك تعرف من تاريخهم القديم فنوناً كثيرة ، ولكنك تجهل من حاضرهم ما لست عنه بمستغن أبداً .

وليس عجيباً أنك لا تعرف عن تاريخهم الحديث كثيراً ، ذلك أن فرنسا الباغية الآثمة قد سدّت المنافذ على هؤلاء الناس ، وصرفت أمورهم كما تحب وتهوى ، وحيل بينهم وبين الاتصال بالمشرق من ديار العربيــة ، حتى فكر هؤلاء الجبابرة أن يمنعوا أداء فريضة الحج ، وأقاموا على طالب الحج شروطاً ومصاعب ليثنوه عما اعتزم ، ولقد منعوا المشارقة العرب من دخول هذه الارض الطيبة ، وما سمحوا للحكومة المصرية أن تقيم « معهدها العلمي » في المغرب

فتحولت به الى منطقة الريف مما تدير أمره حكومة باغية اخرى وهي اسبانيا . وما كان لبشر منا أن يحدث نفسه بالذهاب الى هذه الديار يوم كانت الفئة الباغية تمسك بالرقاب ، ولم يقتصر المنع على العرب من المشارقة ، وانما شمل غير العرب من الشرقيين المسلمين ، وربما تعدى ذلك الى غير المسلمين من الشرقيين .

وقد أحكم هؤلاء الظالمون قبضتهم على هذه الديار وأرادوا ان يمسخوا طابعها وحضارتها وقد عمدوا الى طمس الثقافة العربية الاسلامية ، فما كانت العربية اللغة الرسمية التي تدار بها الشؤون العامة ، وهي لغة مجموع هذه الشعوب ، أقول لغة مجموع هذه الشعوب مع علمي أن البربرية قائمة ، وانها لغة القبائل من سكان الجبال ، وذلك لان هؤلاء البربر مضطرون الى تعلم هذه العربية ، وهي اللغة الشريفة عندهم، وانها اللغة التي اتصل بها تاريخهم وانهم أحبوها حباً بحيث انك ترى « القبائلي » من هؤلاء يتحرق حزناً لانه لا يعرف العربية او ان معرفته بها قاصرة .

وقد حاول الفرنسيون ان يعملوا على عزلة البربر وان يثيروا في نفوسهم نزعة تهدف الى العنصر وتبغض العرب لديهم ، ولكنهم لم يفلحوا .

ولقد وقفوا في وجه العربية ومنعوا تعلمها وتعليمها ما وسعهم ذلك بحيث اضطرت صحيفة التايمس الانكليزية الى ان تقول مرة : أصبح تعلم العربية في الجزائر جريمة تستحق العقاب وان مزاولة هذا النشاط يشبه الى حد كبير ما تزاوله الجمعيات السرية في اقبائها المظلمة .

ومن أجل ذلك باتت اللغة مشكلة من المشكلات المهمة في هذه البلدان . وقد خصصت مجلة الفكر التونسية [1] جزءاً من أجزائها لهذه المشكلة الخطيرة وتحدث في المشكلة جماعة فيهم التونسيون وفيهم الفرنسيون .

---

١ — الفكر ، الجزء الخامس ١٩٦٠ .

وأنت اذا قرأت طائفة من هذه المقالات وجدتها تبحث في المشكلة بحثاً علمياً صحيحاً ، ولكنك تلاحظ أن المشكلة قائمة في الكتاب أنفسهم ، كان يستعير الكاتب طرقاً أجنبية في التعبير عرفها وترجمها ، شاعراً كان أم غير شاعر ، فقد جاء في الجزء السابع [٢] من هذه المجلة سنة ١٩٦٠ في مقالة للكاتب الجنيدي خليفة : « جاحداً أكون اذا أنا بوصفي عربياً ، لم أشكر الاستاذ ... » وواضح جداً أن هذا الاسلوب غير عربي فبدء الجملة على هذه الصورة مما لا يسوغ في هذه العربية التي تأبى التعقيد وتتوخى السهولة ، وهذا شيء سائغ في الفرنسية مثلاً .

وحديث استعارة الاساليب في هذا الباب معروف للباحثين ، والأساليب الداخلة في عربيتنا الحديثة ولا سيا في هذه الديار كثيرة جداً .

وللمغاربة أقوال لا نعرفها نحن المشارقة ، فالكاتب فيهم يقول مثلاً « وهذا على حدة قول فلان ... » ولا نعرف في العربية مؤنثاً للحد على هذه الصورة وفي هذا المعنى ، وأنت تسمع مثلاً في اذاعة من الاذاعات اللاسلكية خبراً مؤداه أن فخامة الرئيس اقتبل على الساعة الخامسة ... ، وهم يريدون بالفعل «اقتبل» « استقبل » أما قولهم على الساعة الخامسة فهو تعبير غير وارد في العربية وربما كان للترجمة تأثير فيه ، وليس هذا من باب اضطراب المعربين في استعمال حروف الجر .

ولعل المشارقة لا يفهمون شيئاً من عباراتهم التي جاءت اليهم مترجمة أو أنهم ترجموها دون أن يشعروا ، فأنت تقرأ في صحيفة المجاهد [٣] مثلاً : « والدول المسيطرة على حظوظ الامم ... » والمراد بالحظوظ « المصائر » ولكن الكاتب آثر أن يترجم الكلمة الفرنسية « Sort » بالحظ فغابت عنا بعض الشيء ، وأنت تقرأ ايضاً : « فاننا لا نقصد الى أن الجيش الفرنسي كـــله متناسق منسجم ،

---

٢ – الفكر ، الجزء السابع ١٩٦٠ ص ٦٢ .

٣ – المجاهد ، العدد ٦٥ سنة ١٩٦٠ .

ولكن نعني بها الاطارات المتطرفة لانها هي وحدها ... » فلا تفهم معنى « الاطارات » فلم تنتقل هذه الكلمة في العربية المعروفة انتقالاً مجازياً على نحو ما ما قرأنا في هذه العبارة ، ومن أجل هذا جاء المعنى مستغلقاً وهي ترجمة لكلمة Cadres . وقد أبقت الفرنسية عند هذه الشعوب المؤمنة الطيبة آثاراً لغوية واضحة ، فأسماء الشهور مثلاً مما لا نعرفه نحن المشارقة فهم يستعملون « فيفري » ويريدون به « شباط » و « جانفي » ويريدون به « كانون الثاني » وهكذا في سائر أسماء الشهور . ولم يقتصر هذا على اللغة السائرة الدارجة بل تعداه الى اللغة الادبية العالية [٤] . وربما وقعت في كتبهم على شيء لا تقره ولا تستريح اليه ، فهي مرمومة بالارقام الاوروبية ، بدلاً مما تواضع عليه الشرقيون في رسم الارقام ، وحجتهم انها عربية قد أخذها الاوربيون والوجه انها جميعاً هندية ثم استقرت على نحو مـــا نعرف من التقسيم الجغرافي ، فلا تستريح مثلاً أن ترى « اعجاز القرآن » للجرجاني ، وهو من أجل الكتب المعروفة والتي تتصل بأكثر من باب واحد في علوم العربية ، مرقوماً بالارقام الاوربية .

ومن آثار الفرنسية عندهم ما يبدو في أسمائهم ، من أنهم يقدمون اللقب على الاسم ، واللقب مشير الى الاسرة ، وهذا مما لا نعرفه في العربية .

وربما كانت المشكلة هينة بعض الشيء في تونس والمغرب الاقصى ، ولكنها صعبة في الجزائر ، ذلك أن في تونس والمغرب معاهد ناهضت الاستعمار البغيض وثبتت على مر العصور طوال حكم المستعمرين ، ثم ان نظام الحكم في هذين البلدين غيره في الجزائر التي حاولت فرنسا أن تضمها اليها وأن تعتبرها ولاية تابعة كأية ولاية فرنسية في أرض فرنسا وهم يتشدقون بعبارتهم : L'Algerie Francaise

---

٤ – جاء في قصيدة للشاعر ابن تومرت يحيي فيها الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية :

دعا التاريخ ليلك فاستجابا نفنبر هل رفيت لنا النصابا

والمراد بـ « نفنبر » تشرين الثاني .

ويقصدون بها الجزائر الفرنسية ، فقد أحكموا عليها سلطانهم فاستعبدوا الناس وأذلوهم وعملوا على مسخ طابعهم العربي الشرقي المسلم .

وقد نجح الفرنسيون في مسعاهم بعض الشيء ، فالعربية تكاد تكون لغة أجنبية ، ولا تعجب أن تجد جمهرة كبيرة فيهم المثقف وغير المثقف ممن لا يعرف العربية الا في الدارج السائر الكسيح الذي غلبت عليه الفرنسية ، فانت تسمع مثلاً أن الجزائري يقول في غير ما تكلف ولا تصنع « الباب ferme » فهو يجمع بين كلمتين احداهما عربية والاخرى فرنسية ويريد بهذا التركيب الممسوخ « اغلق الباب » . واذا أصغيت لجزائري عامل ممن يشتغلون في فرنسا وهو يتكلم ، استطعت أن تلمح الكلمات الفرنسية موزعة في كلامه الدارج دون أن يعمد الى هذه العملية التركيبية .

وربما تعدت هذه الطريقة في التعبير مجالات الحياة اليوميـــة الى مجالات أخرى ، فالجزائري ينادي رفاقه ليتجمعوا وليكونوا على صف واحد كما لو كانوا في الصلاة قائلاً : « يرحمكم الله Alienz Vous » فكلمة « يرحمكم الله » تشير الى أن المقام متصف بالوقار ، متسم بالجد من الامر .

ولا أريد ان اعرض هذا دون ان اعرض عليـــك نموذجاً من هذه اللغة الدارجة المبرقشة بالفرنسية كما في منظومة شعبية جزائرية * .

يا عمي جوني ، لفرنسيس راهم ظلموني ، بالشر قتلوني ، سلطوا عـــلى الميزيريه[٦] . . . .

---

* — يدعي الناظم (عبابة) ، وقد نظمت القصيدة سنة ١٩٤٤ بمناسبة انعقاد مجلس لجنة الاصلاحات ، وقد دعي الى حضوره جماعة من الوجوه في القطر الجزائري ممن يشير اليهم الناظم في منظومته لابداء الرأي في المشكلة الجزائرية .

٦ — الميزيرية ، كلمة فرنسية هي La misère ، أي الفقر .

لغتنا فنات [7] ، حتى جوامعنا تفرمات [8] ما بقات حياة . . . .

درت ديسكور [9] ، وابـــديت انحوّس واندور ، لا بقي واحد يسمع ليَّه . . . .

نولي ديبيتي [10] ، ونولي برسبيتي [11] . . . .

هـــذا نموذج يظهر عجز العربية السائرة الدارجة عن الاعراب عن المعاني وذلك لجهل القوم بالفصيح المعروف .

ومما هو جدير بالتنويه به جهود جمعيه العلماء المسلمين ، وحركتها الدائبة من أجل احياء التراث القومي ، فقد نشرت معاهدها بالرغم من العقاب الصعاب التي يخلقها المستعمر الجائر لاحباط هذه المشروعات الخيّرة .

وكان من ثمرة هذه الجهود الطيبة ان ظهر في القطر الجزائري شعراء وأدباء ، فقد حدث ان عقد هؤلاء اجتماعاً سنة ١٩٣٢ وأنشدوا فيه من أدبهم ما أنشدوا مشيدين بكيان الجزائر وحقها في الاستقلال ، مشيرين الى تاريخها الثقافي وقوتها وسيادتها مارين بالانتفاضات الشعبية والثورات المتوالية ضد الحكم الفرنسي الجائر ، ومن هؤلاء الشاعر محمد العيد وهو القائل [12] :

---

٧ – فنات ، هو الفعل فني، والتاء للتأنيث .

٨ – تفرمات ، كلمة فرنسية هي Fermer وتعني الاغلاق ، والتاء الاولى فيها للمضارعة.

٩ – ديسكور ، وهي كلمة فرنسية Discours وتعني الخطبة ، وكلمة درت معناه قلت .

١٠ – ديبيتي، وهي كلمة فرنسية Député وتعني الممثل للشعب، اي النائب في المجلس.

١١ – برسبيتي ، وهي كلمة فرنسية Précipité وتعني السريع او العاجل .

١٢ – مجلة « الاتحاد العام » للطلبة المسلمين الجزائريين ، سنة ٩٥٨ ص ٢٣ .

ولي وطن حبيب لي خصيب
وقفت عـــلى محاسنه هـــوايا

وكنت له من الاحرار عبداً
له روحي وما ملكت يدايا

أصابك يا جزائر عهـــد سوء
ظللنا بائسين به (خزايا)

وتزدهر المعـــادن كاشفات
مجاهـــل من مآثرنا خفايا

بلاد لا تركتِ الى بغاتٍ
تشينـــك بالفساد ولا بغايا

حذار من الشقاق فان أقمتم
عليه عصاكم انكسرت شظايا

ومن قوله في الغرض نفسه :

حثوا العزائم واصدقوا الآمالا
ان الزمان يسجل الاعمالا

يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم
فالعمر ساعات تمر عجالا

الأسر طال بكم فطال عناؤكم
فكوا القيود وحطموا الاغلالا

والشعب ضج من المظالم فانشدوا
حريةً لتحقق استقـــلالا

ومن قصيدة له مخاطباً المستعمر الذي منع على الجزائريين أن يتعلموا لغتهم وهي عنوان مجدهم ، ووسيلة في تفهم ثقافتهم العربية الاسلامية :

يا من يحارب ديننا ولساننا في ذي القرى
إعلم بأن الدين ديـ ن الله مصباح الورى

ثم يختتم هذه المقطوعة بقوله :

فلقد حلفنا أن نعيـ د تراثنا أو نقبرا

وقد ظل الشاعر محمد العيد والشاعر ابن تومرت يذكيان في الطليعة المثقفة روح الحماس والاندفاع في هذه الثورة المقدسة .

ومما يجب التنويه به ما يكتبه الجزائريون من أدب روحه وطابعه من تربة الوطن الجزائري ، غير أن لغته فرنسية ، وربما كان أكثر نضجاً وأعمق أفكاراً من أدب اولئك الشعراء التقليديين ، ذلك ان هؤلاء قد أخذوا من الفرنسية وطرقها ووسائل الاعراب فيها ما جعل في أدبهم قوة وحياة ، وأدب هؤلاء يقوم على القصة والمقالة، ومن هؤلاء مولود معمري وادريس الشرايبي وغيرهم[١٣] .

١٣ – ابراهيم الكيلاني ، أدباء من الجزائر ص ٧ .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الثقافة العامية في التاريخ

كشف البحث العلمي عن صلة اللغة بالانسان وبيئته ، فهي تظهر المجتمع الانساني على حقيقته ، وقد اهتم بموضوع اللغة العلماء المختصون في العصور الحديثة ، كما بحثه الاقدمون فكتبوا فيه على الطريقة التي سلكوها في علومهم القديمة . على أن نفراً غير قليل من غير ذوي الاختصاص في موضوعات اللغة قد بحث في الموضوع نفسه في خلال دراساتهم ، ومن هؤلاء علماء الاجتماع وعلماء النفس والفلاسفة وآخرون غيرهم ، وليس عجيباً فقد بحث الفلاسفة الاقدمون في موضوع اللغة ، وكانت اللغة موضوعاً فلسفياً عندهم .

وللموضوع جوانب كثيرة وأبواب متعددة ، فاللغة أساس كل أنواع النشاط الثقافي ، « وهي بذلك خير دليل يهتدي به الباحث الى معالم أي من المجتمعات الحديثة »[1] .

ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته وسعته ، تشغل اللغـــة مكاناً ذا أهمية أساسية ، اذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع ، وهي في الوقت نفسه رمز الى حياتهم المشتركة وضمان لها .

فما الاداة التي يمكن أن تكون اكثر كفاية من اللغة في تأكيد خصائص الجماعة ؟ فهي في مرانتها ويسرها ، وامتلائها بالظلال الدقيقة للمعاني تصلح

---

١ — Block and Tauger, Outline of Linguistic Analysis. p. 5.

لاستعمالات متشعبة ، وتقف موقف الرابطة التي توحد أعضاء الجماعة ، فتكون العلامة التي بها يعرفون والنسب الذي اليه ينتسبون [٢] .

وليست اللغة رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه ، انما هي عامل مهم للترابط بين جيل وجيل، وانتقال الثقافات عبر العصور لا يتأتى إلا بهذه الوسيلة. ومن أجل هذا كان على الباحثين أن يكتبوا تاريخاً واضحاً لكثير من اللغات الحديثة ، بادئين بأقدم صورة للغة ، متعقبين التطور التاريخي لها ، ولذلك استطعنا أن نقف اليوم على البحوث القيمة في هذا الموضوع .

ولقد كان لمالينوفسكي العالم الانثروبولوجي فضل كبير في لفت الانظار الى مفهوم جديد في اللغة ، فقد أدرك عندما كان يدرس بعض المجتمعات التي اصطلح عليها بالمجتمعات (البدائية) أو (الفطرية) أو (الوحشية) ، أن دراسته لن تصح دون معرفة الوظيفة التي تقوم بها اللغة في المجتمع ، وقرر مالينوفسكي بعد قيامه بهذه الدراسات في هذه المجتمعات ، أن اللغة لم تكن وسيلة فقط للتفاهم والاتصال ؛ فهي حلقة في سلسلة النشاط الانساني المنتظم ، وانها جزء من السلوك الانساني وهي ضرب من العمل ، وليست أداة عاكسة للفكر [٣] . وهـــو يرى ان العمل الانساني هو أصل مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية ، وتبرز نظريته في الصلة بين العمل واللغة ويرى ان مواقف العمل هي التي تعمل في تنويع اللغة ، وهو يسجل في دراسته لمختلف قبائل استراليا وجزر الهند الغربية أن للصيادين لغـــة تختلف موسيقاها عن موسيقى لغة الزراعيين ؛ والالفاظ تدور في سهولة وخفة مع العمل اليسير ، وتتعقد بتعقد العمل .

---

٢ – J. Vendryes, Language, p. 240.

٣ – مالينوفسكي B. Malinowski ، المقدمة التي كتبها لكتاب موضوعه : (The Meaning of Meaning) p. 312.

ومعلوم ان لكل زمن أو بيئة ذوقاً خاصاً في استعمال ألفاظ اللغة ويبدو ذلك في أدب الامة ولا سيما في الجانب الشعبي منها ، ولا يمكن أن نطبق ما تواضع عليه الناس من أساليب الذوق في هذا الباب في زمن معين ، على لغة أو لهجة في زمن آخر أو بيئة اخرى .

ولا بد أن نعرض لرأي آخر في تفسير موضوع اللغة واجتماعيتها فهذا ابن خلدون يعرض في مقدمته لموضوع العلوم اللسانية فيقول في نشأة لغة الامصار من اللغة الاولى ، وهو على معرفـــة نفسية بأثر اختلاف البيئات على الظواهر الاجتماعية التي منها اللغة ، واليك قوله : « ان كلا منهم متوصل بلغته الى تأدية مقصوده ، والابانة عما في نفسه ، وهذا معنى اللسان واللغة ، وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم »[٤] .

ويقول ايضاً بعد عرضه لطائفة من فنون الشعر في هذه الامصار : « والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصاً علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم اذا سمعها ، ويمج نظمهم اذا أنشدوا ، ويعتقد أن ذوقـــه انما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها وهذا انما أتى من فقدان الملكة في لغتهم (ويقصد بذلك العلماء) فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم (ويقصد بذلك الشعوب) لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها وان كان سليماً من الآفات في فطرته ونظره ، والا فالاعراب لا دخل له في البلاغة ... فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة ، فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر ، صحت الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك . وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في أواخر الكلم ، فان غالب كلماتهم موقوفة الآخر »[٥] .

---

٤ — ابن خلدون ، المقدمة ص ٤٩٣ .

٥ — المصدر السابق ، ص ٥١٣ .

ونريد الآن بعد هذا العرض ان نخلص الى لغة الناس العامة لنتبين الجو العامي والثقافة العامية ، ولعل النصوص التي عثرنا عليها على قلتها تشير الى هذا الذي نريد أن نتبينه . والنصوص قليلة وقلتها راجعة الى ان هذه اللغة وهذا الاسلوب ، لم ينظر اليهما بما يستحقانه من احـــترام ، فقد غلب النظر الى الفصيحة ، وأسباب ذلك معروفة سنشير اليها في هذا العرض التاريخي .

كان للحدث القرآني تأثيره العظيم في العربية ودفعها خطوات فسيحة الى الامام، فقد عملت لغة التنزيل على توحيد هذه اللغة ، ومعلوم ان الامصار كانت تقرأ القرآن قراءات مختلفة ، وسبب هذا الاختلاف ان لغات الاقاليم قد فعلت فعلها في الموضوع ، فما كان من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان الا أن يعملا على توحيد هذه القراءات ليكون المسلمون إجماعاً على لغة واحدة .

فقد منع عمر عبد الله بن مسعود أن يُقرىء الناس بلغته الهذلية حين سمع أحدهم يقرأ الآية الخامسة والثلاثين من سورة يوسف (ليسجننه عَتّى حين) بدلاً من (حتى حين) [٦] .

ولم يكن شيوع اللهجات العامية مختصاً بعصر دون آخر ، أو قل ان مشكلة الفصيح والعامي قائمة في كل عصر في التاريخ الاسلامي .

ولا نستطيع أن نعد شيوع اللحن دليلاً على نشوء العامية ، فقد عرف اللحن في أوائل العصر الاسلامي ، وقد ظهر على ألسنة الطبقة المثقفة المتعلمة .

ففي الاخبار ان عمر بن الخطاب قد أدب أولاده بسبب اللحن [٧] ، وان عبد الملك بن مروان كان يحذر أبناءه من اللحن ، فان اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه .

---

٦ – الزمخشري ، الكشاف (سورة يوسف) .

٧ – ياقوت ، الارشاد ٢٠/١ .

وقد أشار الاصمعي الى اللحن في لغة مالك بن انس (المتوفى سنة ١٧٩ هـ)[٨]. ومعلوم ان مالكاً هذا يحتل مكانة عالية بين الطبقة المثقفة والذي يرجع اليه في مسائل كثيرة ، واحسب ان القارىء يعرف الشيء الكثير عن مالك بن انس فلا حاجة بنا الى التعريف به فهو معروف مشهور ، ومثل مالك هذا في اللحن على منزلته ومقامه ، أيوب السختياني فقد كان يلحن حتى في كتاب الله[٩] .

وقد فطن النحاة الى أن اللحن قد عَرَض لقراء القرآن ، فهم يعيبون على نافع مقرىء أهل المدينة أنه قرأ (معائش) بالهمز وكان حقها أن تقرأ بالياء[١٠] .

ولم يكن وضع قواعد النحو بمجدٍ في التزام القوم بالفصيح وعدم الاخذ بالدارج ، وغرض الواضعين معروف فهو حفظ لغة التنزيل أن يتسرب اليها اللحن والاخذ باللغات الاقليمية ، وقد مر الشعبي (المتوفى سنة ١١٠ هـ) على قوم من الموالي يتذاكرون النحو ، فقال : (لئن اصلحتموه ، انكم لاول من أفسده)[١١] .

وكان شيوع اللهجات بحيث ان القراءات الشاذة استمرت بالرغم من الزام الناس بالأخذ بما اجمع عليه المسلمون ، وبالرغم من منع اصحاب الامر القراءات كما مر بنا ، فقد عرفنا في القراءات الشاذة الشيء الكثير من تأثير اللهجات في قراءات القرآن ، وكتب التفسير حافلة بهذه القراءات ، فقد ذكر ان أحدهم قرأ على طريقته ولهجته « ولا تِقربا هذه الشجرة » بكسر التاء في الفعل ، ثم ان آخراً قرأ « ولا تقربا هذه الشِيرة »[١٢] بكسر الشين وابدال الياء بالجيم ، وهذه

٨ — الصولي ، أدب الكاتب ، ص ١٣٣ .

٩ — ياقوت ، الارشاد ٢٠/١ .

١٠ — الذهبي ، ميزان الاعتدال ٢٢٧/٣ .

١١ — المبرد ، الكامل ٤٠٥/٢ (طبعة البابي الحلبي) .

١٢ — ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن (سورة البقرة) .

المخالفات للفصيح المعروف معروفة في اللهجات الاقليمية ، وما زال هذا الابدال حتى يومنا هذا في كثير من الجهات في القسم الجنوبي من العراق .

وقد أسلفت ان اللهجات الخاصة قد رافقت الفصيح في سائر عصور العربية ، ولعل ذلك كان سبب الدعوة القائلة بوجود المشكلة ، ولا يحسب القارىء ان المشكلة اللغوية وما ينتج عنها من مشكلات ثقافية هي وليدة عصرنا الحديث ، فهي قديمة كما عرفنا ذلك بالبحث اللغوي التاريخي ، ولكننا نستطيع ان نقول : انها اليوم أعقد مما كانت بالامس وذلك لان المجتمع العربي يواجه حضارة معقدة تلزمه أن يكون مزوداً بآلات للاخذ بنواحي هذه الحضارة المتعددة الاطراف ، ومن هذه الآلات والادوات مسألة اللغة ، فلا تغني لهجة اليوم الدارجة ، كما ان الفصيح لم يعد اللغة التي يملكها الناس ويتصرفون في أمرها ، ولذلك فالتعلم والتلقين واجب .

وقد كنت أحصي من النصوص العامية في لهجاتها الدارجة ما أقع عليه في هذا البحث التأريخي .

وقد عرفنا ان اللغة العامية كانت معروفة في أيام العربية الاولى ، ولا أريد بالعربية الاولى العصور التي سبقت الاسلام وظهور النبوة فتلك حقب لا نعرف من أمرها الشيء الواضح الذي يمكن ان يكون أساساً للبحث .

ومعلوم ان العربية بدع بين اللغات القديمة ، ذلك اننا لا نعرف عن طفولتها شيئاً نجعله مادة أصيلة في البحث بحيث نقيم من هذه الركائز بنـاء يظهر التاريخ اللغوي العام لهذه اللغة .

ولكني أقول: ان العامية عرفت في أيام الخليل بن أحمد واضرابه من النحويين

واللغويين ، وقد نسب للكسائي النحوي انه ألف رسالة[13] في لحن العامة . وقد ذكر صاحب الاغاني ان سبب نسبة المغني المشهور ابراهيم الموصلي الى الموصل انه كان يغني متى شرب وهو يروي هذين البيتين :

أنا جت من طرف موصل أحمـــل قلــل خمريا
من شارب الملوك فــلا بـــد من سكريا[14]

وواضح من هذين البيتين انهما باللسان الدارج الذي كان الموصليون يستعملونه. وسمع ابراهيم بن سفيان الزيادي النحوي المتوفى سنة ٢٤٩ هـ مغنياً يغني أبيـاتاً فقال له : لمن هذا الشعر أصلحك الله ؟ فقال له المغني : « لي يا سيدي وأنا جوان ابن دست الباهلي سيدي » قال : فقلت : ليس جوان ودست — عافاك الله — من أسماء العرب . قــال : « ايش عليك من ذا يا سيدي » قلت : فردد الصوت . قال : تريد « تقشمه » « كنّك »[15] عقاب او « كنّي »[16] ما أعرفك ، مـــا تركت على كبد ابن عمي الاصمعي الماء وقد جيت إلي ، طارت فراخ برجلك طارت »[17] .

ولعل كتب الجاحظ خير مصدر لمعرفة اللغات واللهجات الخاصة، فقد سجل الجاحظ نماذج من هذه اللهجات، وفطن الى مصطلحات العامة وأصحاب الحرف. وحسبك ان تعرف ان الجاحظ قد أشار الى لغة الاطفال وكيف ان الطفل

---

١٣ — كتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي ضمن مجموعة تضم ثـلاث رسائل بتحقيق عبد العزيز الميمني سنة ١٣٤٤ .

١٤ — الاصفهاني ، الاغاني ، (دار الكتب) ٥/١٥٦ .

١٥ — أي كأنك .

١٦ — أي كأني .

١٧ — ياقوت ، معجم الادباء ١/٦٣ .

يستخدم ألفاظاً خاصة يطلقها على مدلولات معينة فالطفل يرمز للكلب بلفظ « واوّاو »[18] كما يرمز للشاة بلفظ « ماءما »[19] .

كما تحدث الجاحظ في البيان عن لغات غير العرب من الموالي ممن نزلوا بين العرب وأخذوا لغتهم ، ولكنهم مع تعصبهم للعربية وحبهم لها ، وهجرانهم للغاتهم الاولى ظلوا يتكلمون هذه العربية بلحونهم المعروفة ، فهو يقول: ويستطيع الحاكية من الناس ان يحكي نطق الاهوازي والخراساني والزنجي والسندي حتى تجده كأنه أطبع منه[20] . وهو يقول ان النبطي القح يجعل الزاي سيناً والعين همزة[21] . ويسرف الجاحظ فيروي الحكايات التي تثير الضحك والفكاهة عن هؤلاء الناس .

والأمثلة في « البيان » كثيرة ، ولعل من الطريف ان نذكر اشارة الجاحظ الى استعمال الدخيل الفارسي في النصوص الفصيحة وهو الفارسي الذي لم تألفه العربية من قبل ، فقد جاء في شعر الشاعر العماني مادحاً هرون الرشيد :

« آلى يذوق الدهر آب سرد » ومعناه حلف لا يشرب الماء البارد أبداً »[22] .

وقد فطن الجاحظ الى استعمالات ولهجات الطبقات الدنيا في المجتمع في أيامه ، فهو يعرض للغة المتسولين والمحتالين ولا سيما ما جاء في كتاب « البخلاء » من هذا الباب وسنعرض له عند التحدث عن موضوع البخلاء .

---

١٨ – الجاحظ ، البيان ١/٢٩ .

١٩ – الجاحظ ، الحيوان ٥/٨٩ .

٢٠ – الجاحظ ، البيان ١/٣١ .

٢١ – المصدر السابق ١/٣٢ .

٢٢ – الجاحظ ، البيان ١/٦١ .

كما أشار الجاحظ الى جماعة من هذه الجماعات التي ارتضت لنفسها ان تحيا حياة خاصة وهم اللصوص وقد كتب في الموضوع رسالة أسماها «كتاب اللصوص» وقد جاء ذكر الكتاب في مظانّ عدة [٢٣] . ومن المفيد ان نذكر ان الجاحظ لم يكن أول من كتب في اللصوص ، فقد كتب أبو عبيدة في الموضوع نفسه ، غير اننا نعرف ان نزعة الشعوبية عند أبي عبيدة هي التي دفعته الى الكتابة في هذا الموضوع للانتقاص من العرب وتعصباً للفرس .

ولعل هواية الجاحظ في تسجيل آداب العوام وملحهم وظرفهم هي التي دفعته ان يسجل حكايات عن الملاحين مع ذكر مصطلحاتهم التي يستعملونها [٢٤] . كما أشار الى شيء من هذا أبو المطهر الازدي في حكاية أبي القاسم [٢٥] .

وفي كتاب المستطرف شيء من هذه المصطلحات ايضاً [٢٦] .

ولا بد لي ان آتي على كتاب «البخلاء» فأقول فيه شيئاً، فقد حكى الجاحظ عن زمرة من البخلاء ، وكان سبيله ان يولد الاحاديث على ألسنة هؤلاء ، وهو في هذه الاحاديث يكشف عن الاوساط العامية التي يحيون فيها .

وفي طوق الجاحظ ان يصور البيئة العامية او قل يوحي اليك وأنت تقرأ أحاديث البخلاء البيئة الفقيرة الشحيحة ، ذلك ان الجاحظ نفسه قد عاش في بيئة معدمة فقيرة ، فلقد شوهد في أيام طفولته وصباه يبيع الخبز والسمك في سيحان .

---

٢٣ – الجاحظ ، «تصنيف حيل لصوص الليل وتفصيل حيل سرّاق النهار» كما ورد ذكر «كتاب اللصوص» في الحيوان ٥٧/٢ ؛ ياقوت ، ارشاد ٧٦/٦ . والكتاب من الكتب التي لم تصلنا .

٢٤ – الجاحظ ، البيان ٢١٢/١ .

٢٥ – أبو المطهر ، حكاية ابي القاسم (Mez) ص ١٠٤ .

٢٦ – الابشيهي ، المستطرف ٢٤٥/٢ .

وهو يحاول ان يستعيد البيئة العامية بملحها وظرفها وتقاليدها ، وهو يشير الى هذا في كتاب البخلاء كما نقلنا ذلك في غير هذا المكان [٢٧] .

ولم يقتصر على استعمال اللحن والكلام غير المعرب واللفظ المعدول عن جهته، وانما أوحى بهذا المذهب فقال : « ومتى سمعت — حفظك الله — بنادرة من كلام الاعراب ، فاياك ان تحكيها إلا مع اعرابها ، ومخارج ألفاظها ، فانك ان غيرتها بأن تلحن في اعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين ، خرجت من تلك الحكاية ، وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام، فاياك ان تستعمل فيها الاعراب او تتخذ لها لفظاً حسناً ، او تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً ، فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ، ويذهب استطابة الناس لها . »[٢٨]

وأنت تحس حين تقرأ في « البخلاء » كيف يقضي سواد الناس سحابة يومهم، فهو يقول على لسان صاحب الدار المؤجرة ، وهو يشكو الساكن من اتلافه للدار « ويدق على الاجزاع والحواض والرواشن »[٢٩] . ولا يكتفي الجاحظ بالجو العامي للعبارة او اللفظة بل يتعداه الى القول العامي ينقله كما هو على ألسنة الناس ، وربما جاء بالدخيل الاعجمي المستعمل في لهجاتهم ، فقد ذكر التشريب والرزة والجلة والثريد والبوش والهريسة والكرنبية والفجلية والبالوعة والدوشاب وغير هذا مما هو كثير في « البخلاء » .

وقال : « فقـــال لو خرجت من جلدك لم أعرفك » وترجمة هذا الكلام بالفارسية : « اكراز بوست بارون بيائي نشناستم » [٣٠] .

---

٢٧ – الجاحظ ، البخلاء ، (طبعة الحاجري) ص ٤٠ .
٢٨ – الجاحظ ، البيان ١/٨١ .
٢٩ – البخلاء ٨٤ .
٣٠ – البخلاء ٢٢ .

قال أحد المراوزة البخلاء لصديقه العراقي الذي زاره في مدينة مرو ، وكان هذا المروزي قد أظهر الغباء والجهل التامين ، كي لا يعرف صديقه العراقي مخافة ان يدعوه للغداء .

وقال محدثاً عن الكندي أحد بخلائه ، وكان هذا صاحب دور للسكن اذ يقول له : واذا كثر الدخول والخروج والفتح والاغلاق والاقفال وجذب الاقفال تهشمت الابواب وتفلقت الرزات ، واذا كثر الصبيان وتضاعف البوش نزعت مسامير الابواب » [٣١] .

والرزة من ألفاظ المعجم في حين ان « البوش » من الالفاظ العامية التي لا تشير اليها المعجمات .

ولا بد من الاشارة الى المصطلحات العامية التي أشار اليها الجاحظ في حديثه عن البخل : « قال أبو فاتك : الفتى لا يكون نشالاً ولا نشافاً ولا مرسلاً ، ولا لكاماً ولا مصباحاً ولا نفاضاً ولا دلاكاً ولا مقوراً ولا مغربلاً ولا مسوغاً ولا ملغماً ولا مخضراً فكيف لو رأى ابو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاش والمدّاد والدفاع والمحوّل » [٣٢] . وهذه الالفاظ ممـــا حملها العوام معاني لا تشير اليها المعجمات وكتب اللغة .

ويشرح الجاحظ مفسراً المخطراني فيقول : « انه الشخص الذي يفتح فاه كما يصنع من يتثاءب فلا ترى له لساناً البتة » [٣٣] .

وهكذا نستطيع ان نتبيّن في كتب الجاحظ مادة غزيرة في الثقافة العامية وانها خير مصدر لمعرفة البحث اللغوي التاريخي .

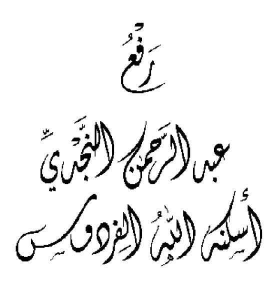
---

٣١ – المصدر السابق ٨٢ .

٣٢ – المصدر السابق ٦٧ .

٣٣ – المصدر السابق ٥١ .





الدخيل في الثقافة العربية الاسلامية

لا أريد في هذه المقالة ان أعرض لمواطن الدخيل في ثقافتنا العربية الاسلامية ذلك ان البحوث في هذه الناحية كثيرة ، وأنا ان فعلت ذلك فلا أراني أقول الا معاداً .

ولكني أريد ان أعرض للموضوع لأقول : ان الذين عرضوا الى هذا أطلقوا أقوالاً عامة ، تنتهي الى ان الثقافة العربية الاسلامية قـــد تأثرت في صورها المختلفة بالعقلية الاغريقية .

وأول من أطلق هذه الاحكام هم المستشرقون ، ومن بين هؤلاء من لم يتصف بالعدل والقصد فما أمر Renan الفرنسي في القرن الماضي ببعيد . فقد ذهب هذا الى ان العرب أو قل ان العقلية السامية قاصرة لا ترقى الى غيرها من العقليات كالاغريقية والرومانية ومن أجل هذا كان هؤلاء عيالاً على غيرهم من الشعوب في حضارتهم . وقد أسرف هـــذا الفرنسي المسيحي المتعصب لأكثر من غرض واحد ، ولسنا بصدد بيان هذا . وقد ذهب غيره هذا المذهب دون ان يلتزم بعنفه وشدته .

ولا أريد ان أدفع عن ثقافتنا تأثير الاغريق فما الى ذلك قصدت ، وأنا ان فعلت ذلك فقد جرت على الحقيقة كما جار النفر الآخر ، ولكني اريد ان اقول :

لقد بالغنا — نحن المشارقة — في هذا الزعم ، فأساتذتنا المصريون وغير المصريين من المحدثين قد ذهبوا أكثر مما ذهب اليه اولئك الاعاجم المستشرقون .

فما قولك فيمن يعزو شاعرية ابن الرومي المقلقة الى كونه يرجع الى أصل غير عربي او قل رومي ، ولم يقصد يومئذ بالرومي التحديد التام فربما كان الاغريقي رومياً ايضاً ، والى مثل هذا ذهب المفتنون بأبي تمام وقالوا ان فيه شيئاً آخر لا يرجع الى دنيا العرب . ثم ما قولك فيمن يقول : ان ملكة الكتابة عند عبد الحميد الكاتب وترسله المعزوف والنحو استمد اصولها ونهجها من عقلية لا تمت الى العروبة بصلة . ولن تعجب من هذه الاقوال ، فلم يقلها مخرق مدّع ، ولم يقلها جاهل لم يألف البحث العلمي ، وانما قالها استاذ عميد ، غبرت عليه السنون وشارك في ثقافة الاجيال الحديثة ، ذلكم هو طه حسين .

ولا نريد ان نشتط كما اشتط هؤلاء ففي ثقافتنا أصول دخيلة أخرى، وليس عيباً ان تتأثر ثقافة بأخرى ، وما من حضارة في الارض ، قديمها وحديثها إلا كانت متأثرة بغيرها سلباً وايجاباً . ولعل مما يشير الى قوة الثقافة والى قيمتها من حيث مكانها في التطور والرقي ، انها ذات قابلية في الاخذ من غيرها ودمج هذا الدخيل فيها حتى يصبح شيئاً منها .

وقد حصل هذا في ثقافتنا العربية – الاسلامية ، فالذي اصطلح عليه الباحثون من « الفلسفة الاسلامية » ان هو إلا شيء من هذا ، فالفلسفة في كتب الغزالي وابن سينا والفارابي وابن رشد مزيج من ثقافتين ، ولكن هذا المزيج له وحدته ، وله طابعه وهذا الطابع لا ينأى به عن الشكل العربي المسلم . وفي أعمال هؤلاء شيء مما يسميه الباحثون اليوم بـ (Synthèse) ولا أريد ان اسرف في هذا الشق من الموضوع ، ذلك اني أريد ان أعود فأقول ان الذين ذهبوا الى تأثر الثقافة الاسلامية بالاغريق قد أطلقوا هذا التأثر على شعب المعرفة جميعها .

فالدكتور ابراهيم سلامه المصري يضع كتاباً في بلاغة ارسطو بين العرب واليونان يقول فيه : ان البيان العربي قد ابتدأ بالجاحظ ، وان « بيانه » قد اختلط فيه النقد مع القاعدة البلاغية ، والتقت فيه عدة ثقافات . ثم بين لنا ان

ابن المعتز قد عرض لبلاغة عربية المثل ، عربية الاصطلاح ، عربية المأخذ ، ولو انه عاصر « قدامة بن جعفر » الذي اطلع على كتابي ارسطو « الخطابة والشعر » ولكنه جعل كتابه في البلاغة العربية وفي النقد الأدبي عربياً أصيلاً في عبارات اصطلاحية لها دلالتها الخاصة من ناحيتها اللغوية ، ووجد فيما قرره الجاحظ من المصطلحات ما أعانه على تقسيم كتابه ، هذا التقسيم الدقيق الذي فرق بين الصنوف الخمسة الاولى للبديع وبين الصنوف الاخرى التي سماها بالمحسنات .

ثم تتبع الاستاذ سلامة ابن المعتز فيما يكون له شبه بالبلاغة اليونانية ، فقرر ان الاطالة واضحة ، وخطة ابن المعتز بالقياس الى خطة ارسطو غاية في البساطة ، بعيدة عن التحديد المنطقي الذي عرف به ارسطو في تعريفاته . ثم قرر ان الشبه بينهما حاصل في خطة كل منهما ، فكما ان ارسطو تتبع شعراء اليونان واستخرج من كلامهم بلاغته وفنه ، كذلك تتبع ابن المعتز شعراء العربية مسجلاً في أشعارهم الموضوعات البلاغية .

ولكن الدكتور سلامة لا ينفي ان قدامة بن جعفر قد أخذ عن أرسطو – المعلم الاول – وتأثر بكتابي « الخطابة والشعر » ولكنه يعود فيقول : ان شخصية قدامة بقيت ظاهرة .

ولا بد لنا ان نقول هنا شيئاً ، وذلك ان هؤلاء الذين يذهبون هذا المذهب ربما كانوا يطلقون الاقوال قبل الرجوع الى المظان المعروفة ، وربما كان ذلك راجعاً الى انهم قد استقرت في أذهانهم فكرة الدخيل الاغريقي في جميع ألوان المعرفة العربية ، ومن أجل هذا يطلقون هذه الاقوال ثم يقيدونها على الشكل الذي عرفنا . فكتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر مادة في البلاغة العربية والنقد العربي كما عرفه الاقدمون .

والمطلع على الكتاب لا يجد صعوبة في اكتشاف الحقيقة وهي ان هذا الكتاب

عربي في شكله ومادته وترتيبه ومصطلحاته الفنية مصطلحات لغوية لا تختلف كثيراً عما وجدناه في « بديـع » ابن المعتز .

وقد بين الدكتور سلامة ان العرب لم يتركوا أنفسهم يندفعون في البلاغة اليونانية . التي جذبهم اليها « قدامة » وقد تعقبه « الآمدي » في « الموازنة » .

وتعقبه العسكري في الصناعتين وقال ان خطأه فاحش في كثير مما ذهب اليه ، ولم يرض الجرجاني بما فعله ووعد في « الوساطة » ان يكتب في موضوع البديـع .

ويبدو ان الدكتور سلامة مؤمن بصلة البلاغة العربية بالبلاغة اليونانية ، فقد قرر مع هذا ان هذا الاخذ لم تنقصه الفطنة ولم يغب عنه الذكاء العربي .

ونحن لا ننكر التأثر في هذا الميدان ، التأثر الذي لا ينصب على المـــادة والاصول وانما ينصب على الشكل .

فالاسلوب الجدلي والمحاكمات العقلية التي طبعت على كتب البيان ذات علاقة بالاساليب الدخيلة اليونانية في البحث ثم ان شيوع طائفة من الاصطلاحات راجع الى هذا ايضاً كالقول بالتجريد والقياس والاطلاق وغير هذا .

عرف العرب كتب أرسطو فقد سموا (كتاب الخطابة) أو الفن الخطابي بـ (ريطوريقا) (Rhethorique) وسموا كتابه (الشعر) (ابو طيقا) . وقد ذكرهما صاحب الفهرست في مجموعة كتبه (المنطقيات) . وقد نقل الفيلسوف العربي ابن رشد كتاب الشعر الى العربية .

ويشير الدكتور سلامة في كتـــابه الى ان العرب قد عرفوا مبادىء السوفسطائين وفلسفتهم . واهتمام اولئـــك بالبلاغة والخطابة ، جعل العرب يهتمون بالخطابة والبلاغة وأساليبها وبهذا تأثر ابن المقفع فقد عرف هؤلاء ،

وكأن الدكتور سلامة يريد أن يقول ان النثر الفني متأثر بهذه المبادىء وهذه الفلسفة ، ذلك انه يقرر ان ظهور النثر الفني كان مع ظهور السوفسطائين في القرن السادس قبل الميلاد .

وقد ذهب الدكتور طه حسين الى هذا ايضاً فقد انتهى الى : ان البيان العربي نسيج جمعت خيوطه من البلاغة العربية في المادة واللغة ، ومن البلاغة الفارسية في الصورة والهيئة ، ومن البلاغة اليونانية في وجوب الملاءمة بين أجزاء العبارة .

على ان هذا التيار لم ينقطع فقد زعم المحدثون ايضاً ، جرياً على سنّة الاعاجم : ان النحو العربي متأثر بالثقافة اليونانية أو قل بمنطق أرسطو . والى هذا ذهب الدكتور ابراهيم بيومي مدكور في مقالة نشرتها مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية سنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ وموضوعها « منطق أرسطو والنحو العربي » وقد أشرنا الى المقالة في غير هذا المكان .

وقد بنى رأيه في تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو على أمور :

١ — اعتبار القياس أصلاً من اصول النحو وتحديده ووضعه على نحو ما حدد القياس المنطقي ثم التشابه بين ما جاء من تقسيم الكلمة عند سيبويه الى اسم وفعل وحرف وما جاء من تقسيمها عند أرسطو الى اسم وفعل وأداة .

٢ — ظهور النحو السرياني في مدرسة نصيبين في القرن السادس الميلادي على مقربة من نحاة العرب الاولين ثم ترجمة عبد الله بن المقفع لمنطق أرسطو التي تعد كما يقول ثروة جديدة نقلت الى العالم الاسلامي .

٣ — تلمذة بعض السريان على الخليل بن أحمد كحنين بن اسحاق الطبيب السرياني المعروف الذي كان له أثر كبير في نقل علوم اليونان . وقرر الدكتور

ان حنينا قد عاصر الخليل وسيبويه ، وليس مذكور أول من ذهب الى هذا فقد قال بهذا القول قدماء ومحدثون .

ومن القدامى ممن ذهب الى هذا ابن أبي اصيبعة في «عيون الانباء» ١ : ١٨٤ ونقل عنه هذه الرواية القفطي في «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» ص ١١٧ .

ومن المحدثين الاستاذ أحمد أمين في «ضحى الاسلام» ١ : ٢٩٨ ورد هذه الاقوال يقوم على ان الخليل لم يعاصر حنينا فوفاة الخليل كانت في سنة ١٨٠ او قبل ذلك او بعده بقليل ، وان ولادة حنين لم تكن قبل سنة ١٩٤ . فلم يدرك اذن حنين الخليل ولا رآه ، والزعم باطل .

والاستاذ (دي بور) في تاريخ الفلسفة في الاسلام يذهب الى تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو ، كما ذهب الى هذا غير واحد من المستشرقين .

على ان نظرة واحدة الى النحو العربي تظهر بعد هذه المادة عن كونها متأثرة بالمنطق الارسطي . ولئن وجد شيء دخيل فيها لهو شيء خاص بالشكل دون الاصل وبالاسلوب دون المادة ، فالتقسيمات النحوية كالجنس والنوع ، الخاص والعام والمطلق والمجرد من هذا الدخيل الوافد على هذه المادة الاصيلة في عروبتها .

في الثقافة السريانية

كان للآراميين تأثير كبير في الثقافة العربية فهم نقلة الفكر اليوناني ، ومن ثم فلغتهم السريانية كانت مصدراً من مصادر المعرفة التي تزود بها المسلمون وعرفوا فيها فلاسفة الاغريق . اذن ما هذه اللغة ؟

اللغة الآرامية احدى اللغات السامية الغربية التي تشتمل على اللغات الآتية : الفينيقية ، الرهاوية ، الفلسطينية ، القبطية ، المندعية وأشهرها لغة الرها او حران. وقد كتب بها الكتاب الاوائل أمثال ابن ديصان المتوفى ٢٢٢م ويعقوب فرهاد او أفرهاط المتوفى (سنة ٣٤٥م) وأفرام السرياني المتوفى (سنة ٣٩٧) وربولا الرهاوي المتوفى سنة ٤٣٠ م وكثير غيرهم . ويقول المستشرق الفرنسي (رينان) Renan في كتابه Histoire générale des langues semitiques 1850 التاريخ العام للغات السامية : « ان الآرامية في القرن السادس قبل الميلاد طمست كل اللغات التي سبقتها وأصبحت اللغة الاولى خلال أحد عشر قرناً والمعبر الاول للعقلية السامية » .

ويقول الاب هنري لامنس اليسوعي في مقال له في مجلة المشرق سنة ١٩٠٣ (ص ٧٠٥ — ٧٠٧) : « ومن عجيب الامور ان انتشار لغة الآراميين بلغ على عهد السلوقيين مبلغاً عظيماً ، فأصبحت اللغة السائدة في كل آسيا السامية ، أعني في سوريا وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب. وكان المسلمون يدرسونها لكثرة فوائدها . وقد كتب بها الارمن مدة قبل انتشار الارمنية وحروفها ، وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى أقاصي الشرق في الصين شمالاً وفي

الاقطار الهندية جنوباً ، كما انها بلغت جنادل النيل . فلا نظن ان لغة أخرى حتى ولا اليونانية جارت السريانية في اتساعها اللهم الا الانكليزية في عهدنا » .

وظلت الآرامية نشيطة حتى جاء الفتح الاسلامي فأخذ يسري اليها الضعف لاتصال أهلها بالعرب وهكذا تغلبت عليها العربية في القرن العاشر وبقيت الآرامية لغة دينية مقرها الكنيسة تقام بها الصلوات وتلقى بها الخطب والمواعظ وصار علماء الدين يشرحون الكتاب المقدس للناس بالعربية وما زالت مستعملة في كنائس السريان والكلدان والموارنة الى اليوم .

وقد تغلبت العربية على الآرامية في المدن وما جاورها بسبب كثرة العرب فيها ومخالطة أهلها لهم ، أما الاماكن التي لم ينزلها العرب فلم يزالوا يتكلمون بالآرامية الى الآن منها قرى معلولا ونجعة وجب عدين في شرق دمشق ، وجبال طور عيدين وقرى آثور وجبال كردستان وزاخو . والجانب الغربي من بحيرة اورمية . حتى ان لبنان مع قربه من عاصمة الخلافة العربية على عهد الامويين ظلت فيه الآرامية اللغة العامة زماناً طويلاً بعد القرن العاشر ، واستمر أهله في بعض جهاته العالية المنعزلة يستعملون الآرامية حتى بعد القرن الثامن عشر ، كما يظهر مما كتبه العلامة جورجيوس السداني الماروني في كتابه « المنارة » الذي ألفه سنة ١٦١٩ ، ومما ذكره العلامة مرهج بن غرون الباني المتوفى سنة ١٧١١ في كتابه « سلاح الايمان » المطبوع بروما ١٦٩٤ انه قال : « انه لامر يستوجب الاعتبار ان بشرّي وقرية حصرون التي تبعد عنها قليلاً وثلاث قرى ومزارع غيرها تحاذيها قد حفظ سكانها ولم يزالوا حافظين اللغة السريانية القديمة فبها يتكلم الرجال والنساء غالباً » . ويقال ان العلامة السمعاني الشهير المتوفى ١٨٦٨ لما عاد من روما الى قريته حصرون خاطب والدته باللغة السريانية ، وفضلاً عن ذلك فان عدداً لا يحصى من الالفاظ الكنيسية المنقولة عن الآرامية ما زال مستعملاً عند الخاصة والعامة من نصارى لبنان وسوريا والعراق كالشماس والقسيس والكاهن والهيكل والمعمودية والمعمدان والاشبين والقداس والقربان والطبليت

والزياح والناقوس والدنح والفصح والمكوت الخ ... ومئات من أسماء المدن والقرى والاعلام وغيرها باقية على أصلها الآرامي فمن أسماء المدن والقرى صيدا « الصيد » عانا « الغنم » عين طورا « عين الجبل » برمانا « محل الرمان » بكفيّا « محل الحجارة » بتدين « محل الحكم والدين » بزمـــار « محل الترنم » ماردين « الحصون او القلاع » جزين « كنوز » كفريا « القرى » راشيا « الرؤوس » فاريا « الثمار » رشميا « رأس المياه » كفر زينا « قرية السلاح » .

ومن أسماء الاعلام نهرا « نور » شليطا «متسلط» سابا «شيخ» مرتا «سيدة» ، ومن غير أسماء القرى والاعلام فمـــا زالت العربية الدارجة في لبنان والموصل وغيرها تحوي الكثير من هذه الرواسب الآرامية مثال ذلك « شكارة » وتعني قطعة أرض وهي مستعملة في العراق جنوبيه وشماله ، ومن يرجـــع الى رسالة الدكتور الجلبي عن « الآثار الآرامية » يتبين صدق هذه الدعوى ، ولعل وزن فاعول أصيل في الآرامية أكثر منه في العربية ، وجريانه على الآلات والادوات مثل ساطور وشاقوف « آلة القطع » السريانيتين ، وقد بقيتا في العربية . أقول أصيل في السريانية أكثر من اصالته في العربية لان هذا الوزن شاع شيوعاً في عاميتنا في باب الوصف وغيره وما هو الا لان المد من اطالة الفتحة جرياً مـــع الذوق العامي ، فلعوب تصبح « لاعوب » ، وشغول تصبح « شاغول » ، وعمود تصبح « عامود » والى آخره .

وقد حصل مع تمادي الايام في الآرامية الرهاوية نفسها بين الشرقيين والغربيين بعض اختلاف في اللفظ لم يؤد الى جعلها لغتين بل صيرها لهجتين: شرقية وتعرف بالكلدانية ، وغربية وتعرف بالسريانية وهي لهجة الموارنة والسريان الكاثوليك واليعاقبة حيثما وجدوا ، والاختلاف الرئيس بينهما في الحركة المسماة « زقافا » فهي تلفظ عند المشارقة فتحاً طويلاً او ألف مد ، وعند المغاربة ضمـــاً طويلاً منفرجاً كأنها حركة O في اللغات الاوربية مثال ذلك عانا وتعني الغنم في اللفظ

الشرقي وعاتو على طريقة الغربيين ، وكذلك ارعا وتعني الارض في اللفظ الشرقي وارعو على طريقة الغربيين .

ومما تجب الاشارة اليه ان العين الآرامية يقابلها الضاد في العربية ويذكر القس بول الكفرنيسي الراهب اللبناني انه سمع سكان قرية معلولا وهي في القسم الغربي يتبعون الطريقة الشرقية فيسمون السوق « شوقا » والبيت « بيتـــا » والنهر « نهرا » الخ .

والاسلوب الشرقي هو القديم وهو الذي حفظ صورة الآرامية الاصيلة يدلنا على ذلك ما ذكره مرهج الباني عن لغة شمال لبنان ومنها بعض الالفاظ التي زالت في اللسان الغربي على صورتها الآرامية الاصيلة أي بالالف المطلقة (يغر ساهدوثا) وتعني رحمة الشهادة والكلمة هي نفسها في العربية . ومنها الالفاظ التي ما زالت على اللسان الشرقي ولا يعرف بالضبط متى حصل هذا الانقسام .

وكان السريان يتناقلون اللغة تناقلاً الى القرن السابع للميلاد فابتدأ بعضهم يؤلف في نحوها وبعضهم في جمعها وقاية لها من الضياع بسبب اختلاطهم بغيرهم من الامم .

وأول من ألف في نحوهـــا كتاباً يرجع اليه ويعول عليه الاسقف يعقوب الرهاوي المتوفى سنة ٧٠٨ م ، وكذلك يوسف الاهوازي استاذ مدرسة نصيبين المتوفى سنة ٨٥٠م ، ثم أبو زيد حنين بن اسحق المتوفى سنة ٨٧٣ م ، وايليـــا الطيرهاني المتوفى سنة ١٠٤٩ م وابن العبري الشهير المتوفى سنة ١٢٦٨ م الذي ألف كتابه المسمى بكتاب الاشعة (كتابا دصميا) وعنه أخـذ كل من صنف بعده في النحو ولا سيما نحاة الموارنة ، ومن هؤلاء يوسف العاقوري ١٦٤٨ واسحق الشدراوي ١٦٦٣ وابراهيم الحاقلاني ١٦٦٤ والخوري بطرس التولاوي ١٧٤٥ ويوسف السمعاني ١٧٦٨ والاب نعمة الله الكفري ١٩٠٧ والمطران يوسف دريان ١٩٢٠ والاب جبرائيل القرداحي ، ومن غـــير الموارنة المطران يوسف داود

السرياني ١٨٩٠ صاحب « اللمعة الشهية » والمطران يعقوب اوجين منّا الكلداني ١٩٢٨ .

ومن الذين ألفوا في جمعها وشرحها على ترتيب الابجدية ابو يحيى زكريا المروزي ٨٩٩ م وأبو الحسن بن علي ٩٠٣ م وأبو الحسن بن بهلول ٩٦٣ م وجورجيوس السداني الماروني المتقدم ذكره في كتابه المنارة ، والقرداحي صاحب اللباب .

وقد ألف المستشرقون الاوربيون ايضاً في نحوها كما ألفوا في أدبها كما سيأتي ذكرهم في الكلام على الادب .

ومن المشارقة محمد بن عطية الابراشي والعناني وليون محرز ، ألف هؤلاء كتاب المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها ، اتبع فيه مؤلفوه طريقة المستشرقين ولم يكن من بين مظانهم أي كتاب شرقي .

أما كتابة اللغة الآرامية فأقدم قلم يعرف لها هو القلم الفنيقي . وقد وجدت كتابات آرامية به في شمالي انطاكية وفي خرائب نينوى وجزيرة أسوان بمصر يرقى عهد أقدمها الى القرن الثامن ق. م وقد بقي الآراميون يستعملون هذا الخط حتى القرن الاول قبل الميلاد ثم أخذ آراميو الرها وبابل وتدمر والشام وفلسطين وحوران يتفننون فيه حتى تفرع منه لكل قوم قلم خاص بهم . وكان القلم الرهاوي المسمى باللفظ اليوناني اسطرنكيلا ويعني المستدير أجمل هذه الخطوط ولذلك غلب استعماله في الجزيرة ما بين النهرين والعراق والشام ولبنان (ومن هذا أخذ العرب الخط الكوفي) ثم تفرع عنه عند الغربيين في نحو القرن السابع القلم الغربي المعروف بالسرياني ، وعند الشرقيين في نحو القرن الثاني عشر القلم الشرقي المعروف بالكلداني وهو شبيه بالرهاوي .

وقد امتاز الكتاب الآراميون باستنباطهم في نحو القرن السادس النقط الدقيقة حركات لكتابتهم . ثم شرع الغربيون منذ القرن الثامن يستعملون ايضاً

الحركات الخمس المأخوذة عن الحروف اليونانية التي استنبطها تاوفيلوس الرهاوي الماروني المتوفى سنة ٧٨٥ م عندما ترجم الالياذة والاودبسيا الى الآرامية وربما اقتدى العرب والعبرانيون بالآراميين في استنباط الحركات .

اذن فاللغة التي نسميها اليوم سريانية ليست لهجة من الآرامية كما يذهب المستشرقون وأولهم William Wright في مقالته وتبعهم في ذلك مؤلفا الادب السرياني المطبوع حديثاً * .

ولا بد لي هنا أن أشير الى التعقيبات البارعة للمطران بولس بهنام مدير المدرسة الاكليركية الافرامية بالموصل في مجلته « لسان الشرق » هذه التعقيبات على كتاب الاستاذين المصريين مراد والبكري لانهما أثبتا كما أثبت اصحاب المفصل السالف الذكر في المقدمة : ان السريانية لهجة محلية من اللغة الآرامية .

اقول كما يقول غيري ان هذا الزعم غير صحيح وذلك ان الآثار التي ظهرت اخيراً تؤيد هذا ومنها كتاب احيقار الحكيم وزير سنحاريب ملك آشور .

والكتاب المقدس يسمي اللغة السريانية باسم « الارمية » دائماً كما جاء في سفر الملوك ودانيال وعزرا واشعيا .

ويسمي العلماء الاقدمون السريانية اللغة النهرية كما جاء في كتاب « الفصاحة » لانطون التكريتي . ولفظ آرامية وسريانية تتناوبان كما يدل على هذا ما يرد في هذا الباب في كتاب مختصر الدول لابن العبري وقد أنكر المتأخرون ممن كتب في الموضوع مثل يوسف داود صاحب اللمعة أن تكون السريانية فرعاً للآرامية . ومن أجل هذا ترد كلمة سريانية مردفة بالآرامية كما جـــاء في اللؤلؤ المنثور لمار اغناطيوس افرام الاول ويبدو انه لا فرق بين السريانية والآرامية فهما لغة

* – تاريخ الادب السرياني مراد كامل والبكري .

واحدة ، وقد جاء في تفسير سفر دانيال لابن العبري « وتكلم الكلدانيون أمام الملك بالآرامية » ثم يقـــول وتكلم الكلدانيون بالآرامية أي بالسريانية ، فالسريانية اذن هي الآرامية عينها أدى بها تقادم العهد الى ارتداء حلة جديدة كما سنعلم في بحث اللهجات الآرامية .

لهجات اللغة الآرامية

قال ابن العبري في المدخل في تعليقه على الحركات السريانية : « ان اللغة السريانية تفرعت الى فروع كثيرة أكثر من جميع اللغات وذلك لانتشارها في بلاد شتى بعيدة عن بعضها ، فصار بين اللهجة والاخرى بون شاسع لا يستطيع معه أبناء اللهجة الواحدة أن يفهموا المتكلمين ببقية اللهجات الا بواسطة الترجمان كأنهم يسمعون لغة غريبة عنهم » . ويحصي ابن بهلول في معجمه ست عشره لهجة سريانية ، والمعجم مطبوع في باريس ، وقد حققه المستشرق R. Duval .

وكانت هذه اللهجات نتيجة انتشارها الواسع في البلاد العديدة من جهة وامتزاج الآراميين أنفسهم بأمم غريبة اخرى من جهة ثانية . وكل تلك اللهجات هي فروع عن الاصل اللغوي القديم الذي يعد لغة دولية عامة كما نفهم ذلك من قراءة سفر الملوك ، وسفر اشعيا .

ولا بد من القول ان تقسيم هذه اللغة الى شرقية وغربية هو من باب التجوز وتسهيل الامر ، وأول من ذهب الى هذا المستشرقون ، ذلك اننا لا نستطيع أن نقول ان لهجة فلسطين هي غربية لانها كما بينا آرامية بابل جاء بها اليهود بعد السبي البابلي . اذاً فلا بد لنا ان نقيد القول بالتقسيم الى شرقية وغربية ، وذلك كما بينا ان الاولى مفتوحة الآخر ، والثانية مزقوفة أي مضمومة .

يقول (ماسبرو) في كتابه تاريخ شعوب الشرق القديم ص ٧٧٥ : « ان لغة

بابل ونينوى الآرامية ذاتها تفرعت الى فرعين ابان مجـــد الدولتين البابلية والآشورية » . ويقول أيضاً : « ان اللهجة المصقولة التي كان كتّاب نينوى وبابل يستعملونها في عهد هيرودتس لانشاء الكتابات الرسمية ، كانت قد أضحت منذ زمن طويل تشبه لغة نبيلة يفهمها فئة من الناس ويجهلها السواد من العامة ، وكان العامة من سكان القرى والمدن يتكلمون باللهجة الآرامية التي كانت أثقل من تلك وأوضح وأكثر تفصيلا » . ومعنى هذا ان الآرامية الام تفرعت الى هذه الفروع الكثيرة بواسطة اللهجات المحلية في كل حاضرة من حواضر الممالك السحيقة في القدم في حين ان الفصيحة حافظت على كيانها ، شأنها شأن اللغات السامية الاخرى » .

تعليق على مقال «عربي، آرامي، عبري»

قرأت في مجلة « سومر » في المجلد الرابع عشر لسنة ١٩٥٨ ، مقالة للاستاذ عبد الحق فاضل عنوانها (عربي ، آرامي ، عبري) [١] وسررت لعناية المجلة بهذه الدراسات اللغوية ، ذلك ان العربية قد افتقرت الى هذا النوع من البحث الذي يقوم على المقارنة والموازنة . والمقارنة وسيلة علمية مهمة من وسائل علم اللغة الحديث (Linguistique) .

اذن فالموضوع من الموضوعات المهمة لدراسة العربية على اسلوب جديد ، يحقق الغرض الذي نصبو اليه في رسم تاريخ علمي لهذه اللغة التي انقطعت عنا حلقاتها الاولى ومن ثم كان اهتمامي بالمقالة كبيراً ، ذلك اني سلخت أعواماً في موضوع هذه اللغات السامية وفي مادة مقارنتها بغية الوصول الى فهم مشكلات هذه العربية نحواً وصرفاً ولغة .

وكاتب المقالة ممن عرفه العراقيون من ادبائهم ، تستهويه المعرفة فيتعقبها ويسعى اليها ، وهو مشكور لهذه الهواية المستحبة ، ولاندفاعه في التزود من المعرفة ، على أن زاد الاستاذ الفاضل متعدد الجوانب ، فقد كتب في القصة منذ سنين ، ثم استهواه (الخيام) تأثراً فنار ثورته ، ثم هو من كتاب المقالة القصيرة تبحث في مختلف شؤون العصر ، وما أدري فلعله نظم الشعر ، وربما كان حبه للمعرفة هو الذي دفعه الى أن يسلك سبيل البحث في اللغة على طريقة المقارنة .

---

١ - راجع مقال « عربي ، آرامي ، عبري » . لعبد الحق فاضل (سومر ١٤) [١٩٥٨] ص ١٨٠ - ١٨٨ .

غير أن سلوك هذا السبيل مضن شاق ، فصاحبه ملزم أن يكون له من الوسائل ما يسهل عليه هذه المهمة الشاقة العسيرة ، والاسلوب الذي درج عليه الكاتب الفاضل يقتضيه أن يكون على علم بالاصوات واللهجات وتاريخ علوم اللغة عامة .

وقد بدا لي حين قرأت مقالة السيد الفاضل أن أكتب شيئاً في الموضوع ، تحقيقاً للغرض العلمي الذي نسعى من أجله ، وايماناً مني ان البحث العلمي جهود متظافرة لحشد كبير من الناس للوصول الى الحقيقة . ولا أريد ان أعقب على قول الاستاذ الفاضل عن علاقة اللغة الآرامية بالآراميين وصلتهم بآرام أحد أبناء سام بن نوح ، لان ذلك غير مجد ، ولسنا نستطيع أن نقول فيه شيئاً كثيراً . ولكني سأعرض للموضوع جملة وتفصيلاً ، فقد جاء في مقالة السيد الفاضل : وأود هنا أن أعرض « رأياً لي » في العلاقة بين اسم العربية والآرامية والعبرية لا يسنده نص قديم ولا حديث ، وانما هو « نظرية » خطرت لي منذ أعوام وما زلت أتحدث فيها كلما دعت مناسبة ، فلم أجد حتى الآن عند احد ما ينقضها ولا ما يبرمها » .

ثم يشير صاحب المقالة الى القرابة اللغوية بين هذه اللغات الثلاث وذلك انها انحدرت من لغة واحدة كانت أماً لهن ، ثم انه قد خرج عن هذا الاصل اللغوي لهجات عدة استحالت الى لغات بمرور العصور الطويلة . على انه يخلص من هذا الى « رأيه » وهو ان كلمتي « عربي وأرمي » كلمة واحدة ، ولم يختر « آرامي » لان هذه الاخيرة تفسد عليه كثـــيراً من رأيه كما سنرى ، وانهما كانتا (رتقا ففتقها تطور الحدثان) . وأنا أقول ان الكلمتين لم تكونا « رتقا » حتى « فتقتا » في مقالة الاستاذ الفاضل ، ذلك ان كلمة « آرامي » و « آرامية » ولا بأس ان نستخدم « أرمي » على نحو ما يريد كاتب المقالة ، و « أرمية » ، من الكلمات التي تشير الى لغـــة معينة ذات اصول معروفة ، وتاريخ معين ، ووطن معين

معروف [2] وان هذه متميزة عن العربية بوضوح وجلاء ، وينبغي على هذا أن « عربي » و « أرمي » ليس واحداً .

ولا بد أن نأتي الى تفصيلات لنقول فيها ما يفسد على كاتب المقالة « رأيه » أو « نظريته » . لقد ظن الاستاذ الفاضل ان موضوع « الابدال » في اللغة يوصله الى ما يريد ، وهكذا افترض ان العين في « عربي » و « عربية » وجميع صور الكلمة صارت همزة ، واستدل على ذلك بأن أمماً كثيرة لا تستطيع نطق العين ، ومن هؤلاء « الفرس » فهم يكتبون العين وينطقونها همزة كما مثل بقولهم « اتهادية آراب » ويريدون بها « اتحادية أعراب » وتعني عندهم « الجامعة العربية » .

ولقد فات كاتب المقال ان الامم السامية تنطق بصوت العين وهو من أجل ذلك ظاهر في لغاتهم جميعاً ، وأكبر الظن ان الصوت قد وجد في الاكدية ولكنهم رسموا له الرسم الذي اتخذوه للهمزة وذلك لقرب الصوتين في المخرج ، وعلى هذا فلم تكن « العين » كما أراد الكاتب سيئة الحظ . وقد ابدلت العين من الهمزة كثيراً في العربية ولم يحدث العكس في العربية مطلقاً . وهذا ما اصطلحوا عليه بالعنعنة [3] وقد خصوا هذا النطق بتميم وقيس من قبائل العرب ، وعلى هذا جاء قول الشاعر ذو الرمة :

أعن توسمت من خرقاء منزلة   ماء الصبابة من عينيك مسجوم [4]

---

٢ – كان للآراميين دويلات ومن هذه آرام النهرين « آرام نهرايم » والمقصود بالنهرين الفرات والخابور ، وموطن هذه الدويلة في الرقعة الكائنة بين هذين النهرين بامتداد سوريا . انظر ،
Roger, T. O. Callaghan, Aram Nahraim (Rome, 1948) , 143.
ومن هذه المواطن ، دويلة حران وقد اطلق عليها (فدان آرام) انظر سفر التكوين ٢٥ : ٢٠ ؛ ٢٨ : ٢ – ٦٧ ؛ ١٥ . وقد استوطن الآراميون في دمشق في حدود القرن الثاني عشر ق.م ، انظر طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ٢/٢٧١ .

٣ – ابن الحاجب ، شرح الشافعية ٣/٢٠٣ .

٤ – انظر ديوان ذو الرمة نشر مكارتني جاء في البيت : أعن ... والمراد أأن .

على ان اللغات الآرامية قد خلت من هذا الابدال ما عدا لغة الرها ففي هذه اللهجة تبدل العين همزة ، وليس الابدال مطلقاً ، وانما قيد بكون العين قد اتبعت بالهاء [5] ، وفي هذا ضرورة صوتية وذلك لتعذر اجتماع العين والهاء عندهم .

وأراد كاتب المقال ان يستفيد من موضوع الابدال مستدلاً على قوله بعسر نطق العين ، فذكر ان العرب يبدلون من العين نوناً كما في قولهم « ينطي » . وأود ان اقول ان هذا لم يكن ابدالاً ، وقد توهم الاقدمون وحسبوه لهجة وقيدت هذه اللهجة ببكر وقيس [6] وعرفت بالاستنطاء وعليها قرىء (أنا انطينـــاك الكوثر) [7] ، ومنه حديث رسول الله (ص) : « وانطو التبجة » [8] . وملاك الامر في هذه « النون » انها لم تكن مقابلة للعين في «أعطى» وانما جاءت من ان الفعل كان « أتى » بمعنى « أعطى » ثم ضعف الفعل فصار « أتّى » بتشديد التاء ، ومعلوم ان فك الادغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية ، يقتضي ابـــدال النون بأحد الحرفين المتجانسين كما نقول في العربية « جندل » وهي من (جدّل) بتشديد الدال وهذا كثير معروف ، وربما ابدل الراء بأحد الحرفين المتجانسين كما في السريانية كما في (ترين) و (ترتين) بمعنى (اثنين) و (اثنتين) وقد حدث مثل هذا في العربية كما في « فرقع » وهي من « فقّع » بتشديد القاف ، وكما في « قرضب » وهي من «قضّب» بتشديد الضاد ، وعلى هذا « أتّى » بتشديد التاء تصبح « أنتى » بفك الادغام ثم يحصل ابـدال الطاء من التاء وهذا شائع في العربية كما في « نقطة » و « نكتة » . و « أتى »

---

٥ — القس بولس الكفرنيسي ، غرامطيق اللغة السريانية ١٦ .

٦ — انظر مادة « عطو » في تاج العروس ، ولسان العرب .

٧ — الزمخشري — الكشاف ٨٠٦/٤ سورة الكوثر ١ .

٨ — المصدر السابق .

بمعنى « أعطى » وارد في العربية كما في قوله تعالى : « وآتى المال على حبه ذوي القربى » [٩] ، وكقوله تعالى : « وآتت كل واحدة منهن سكيناً » [١٠] .

ويستدل كاتب المقال بنطق العين همزة في السريانية العراقية ، وفاته أن لهجة هؤلاء قد تأثرت بأمم اخرى فالاقليم الذي يتحدث فيه النصارى بالسريانية في العراق متاخم لكردستان ولعل جوارهم لهذه البيئة ذات اللغة الغريبة عنهم هو الذي ولد عندهم هذا النطق ، والدليل على هذا ان السريانية الغربية كما في لبنان وسائر بلاد الشام قد احتفظت بنطق العين . ولعل مثل هذا قد حصل في العبرية ، فاليهودي الشرقي محتفظ بنطق العين لا يتعداه الى الهمزة ، أما اليهودي الغربي فهو يتعدى العين الى الهمزة وذلك لانه نشأ في بيئة لا وجود لهذا الصوت في لغاتها .

ولم يكتف صاحب المقالة بالابدال بين الهمزة والعين في « عربي » و «أرمي» وانما استفاد من مسألة الابدال بين الميم والباء قائلاً : « ومخرج الباب قريب جداً من مخرج الميم في الفم » ولم يقل انها من الشفة ، ثم قال : « فلو سددت شفتيك وقلت « ماما » لخرجت « بابا » . وكان عليه ان يقول ان الفارق بينهما ان الميم صوت يدخل فيه الانف (Nazal) على لغة أهل الاصطلاح . ولكن ابدال الباء من الميم او العكس لم يكن مطلقاً ، وانما هو مقيد بالسماع فقد سمع في العربية (أربى) و (أرمى) بمعنى واحد وربما كان ذلك مختصاً بجهة معينة من جهات العربية ، وعلى هذا ان الذي قال « بكة » لا يقول « مكة » كما في الآية : « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة [١١] » وان كان المفسرون لا يشيرون الى من يقول « بكة » ولا يقولها بالميم [١٢] .

---

٩ - سورة البقرة ١٧٧ .

١٠ - سورة يوسف ٣١ .

١١ - سورة آل عمران ٩٦ .

١٢ - الزمخشري ، الكشاف ١/٣٨٦ .

وليس من الطبيعي ان يحصل الابدال في موضعين من الكلمة الواحدة ، لانه لو جاز ذلك ، لجاز ايضاً ان يحصل في الكلمة ابدال واحد فتكون « عربي » و « عرمي » . ولا أدري ماذا يريد صاحب المقال بقوله : « واللغة الاكدية هي أم الآرامية او أختها و... واحتكت اللغتان وتفاعلتا تفاعلاً شديداً حتى ذابت الاكدية بالتدريج واضمحلت قبل الميلاد ، ولكن بعد ان تركت آثارها العميقة في الآرامية » . ولقد غير الاستاذ الفاضل طريقته في الاستفادة من الابدال حين وجد لفظ « الارميين » فيما أثر عن « سترابون » في كلامه عن بلاد العرب وقال بالحلقة المفقودة بين « عربى » و « أرمى » .

وقد عالج كاتب المقال موضوع « عبري » و « عربي » وخلص الى القول الى ان الاول من الثاني بعد عرض طويل لصور الكلمة مستفيداً من باب « القلب المكاني » في علوم اللغة . ولا أظن ان الابدال وان القلب المكاني يغنيان الباحث اللغوي للقطع بشيء، ذلك أن الإبدال وأن القلب مميزات اقليمية ضيقة قد توجد في بقعة ولا توجد في بقعة أخرى ، ودليلنا على هذا ما نراه في لهجاتنا الدارجة في عصرنا هذا وذلك ان الذي يقول مثلاً « يساوي » لا يقول « يواسي » ومعنى هذا ان جهة من الجهات تقول « يساوي » على الوجه الصحيح وان جهة اخرى تستفيد من القلب المكاني فتقول « يواسي » للمعنى نفسه .

وختاماً أقول : ان « عربي » و « أرمي » و « عبري » كلمات ذات دلالات مختلفة فكل منها تدل على لغة معينة وان كانت تؤلف مع غيرها من لغات أسرة لغوية خاصة هي الاسرة السامية .

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الاعلام

بحث تاريخي في اللغة واللهجات

لا اريد ان اعرض في هذا البحث لموضوع الأعلام العربية وتطورها في خلال العصور التاريخية ، ولا اريد ان اعرض ايضاً للموضوع نفسه معتمداً على المقارنة والموازنة بين العربية واخواتها الساميات ، علماً مني ان ما نشره المستشرق الالماني أنوليتمان [1] مفيد وكاف في الموضوع . ولكني اريد ان اعرض للاعلام الحديثة في العراق ودلالتها ومكانة هذه في السلسلة التاريخية ، وقيمة هذه الاعلام من الناحية اللغوية .

ودراسة الاعلام في العربية على هذه الصورة غير معروفة للدارسين والباحثين المشارقة ذلك ان هذا الموضوع لم تعرض له الا كتب النحو والصرف في موضوع (العلم) وهذا الموضوع ، عندهم يدخل في (باب المعـــارف) . غير ان المستشرقين قد عنوا بهذه الناحية تطبيقاً لمذاهب البحث اللغوي الحديث ، فاللغات كافة في العالم الغربي قد حظيت بهذه الدراسات ، وموضوع الاعلام فيها من الدراسات اللغوية التاريخية التي تخضع للتطور عبر العصور .

وقد اشرت ان لهذه الدراسة قيمة من الناحية اللغوية ، ذلك ان فكرة اقتباس العلم تتعلق بالذهنية اللغوية من حيث اختيار اللفظ ذي الدلالة والمرتبط

---

١ — انوليتمان ، مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الاول) الجزء الثاني ١٩٤٨ ، والجزء الاول ١٩٤٩ .

بالظروف المحيطة . وربما كان لذلك اللفظ فائدة تاريخية مقيدة بالزمان والمكان . كما أن للاعلام قيمة اجتماعية غير خافية فهي تعكس لوناً من ألوان التفكير الانساني ، ثم انها تظهر شيئاً من معالم حضارة الامة ، ومن أجل هذا فقد اهتم بها علماء الاجتماع والباحثون في الحضارات الانسانية .

ولما آلت العربية الفصيحة الى لهجات عامية دارجة ، تبتعد بنسب مختلفة عن الفصيح المعروف ، ظهر أثر ذلك في الاعلام الحديثة في كل جهة من دنيا العرب . ومن هنا كان لدراسة الاعلام الحديثة في كل قطر من أقطار العربية فائدة لغوية قيمة ، وذلك لانها تكوّن جانباً لغوياً لا بد من الاضطلاع به والتبصر فيه ليكون ذلك معيناً على فهم العربية الفصيحة ، وليكون حلقة من حلقات التاريخ اللغوي .

وسنتبين ان دراسة الاعلام تؤلف حلقة من حلقات اللهجات السائرة ، وان في الاعلام لصورة من صور الالسنة الدارجة في عصرنا هذا الذي ابتعد أهله عن فصيح العربية ، وفي العصور التي خلت والتي كان فيها شيء من الكلام الدارج الى جانب الفصيح المعروف . واريد أن اقول : ان الاعلام مصدر من مصادر اللغة ، ولون يظهر المألوف والدارج من اساليبها .

ولقد هدانا الاستقراء الى تقرير هذا كما سنبينه في هذه المقالة . ومعرفة اللهجات والاهتداء اليها من الامور العسيرة ، ذلك ان المادة اللغوية الضخمة التي بين أيدينا لا تعين على هذا . فالمعلوم أن الاسلام قد جاء بحضارة جديدة وبمجتمع جديد ، ثم انه كان العامل الاكبر في توحيد اللغة ، والحدث القرآني وما كان من جمع القرآن وقراءاته ثم اطمئنان المسلمين الى المصحف العثماني ، كل ذلك قد عمل على توحيد لهجات هذه اللغة في شكل قويم درج عليه العرب ، وجرت به ألسنتهم ، فشاع في لون جديد للعربية . ولا اريد ان اطيل في هذا الموضوع ذلك اني لم اقصد اليه ، ولكني اريد ان اخلص الى ان العربية وان استقرت في لغة

التنزيل على النمط الذي انتهت اليه ، فانها احتفظت بالشيء الكثير من عناصر اللهجات المحلية ، ففي القراءات التي أجمع عليها الفقهاء والتي لم يجمعوا عليها ، مواد مهمة تدخل في هذا الباب [٢] .

والمعلومات عن هذا الموضوع قليلة ولا نريد ان نعرض لاسباب ذلك ، وحسبك أن تعرف ان الاصمعي من علماء اللغة ومن رواة الاخبار والادب قال : « والعرب لا تروي شعر أبي دؤاد الايادي ، وعدي بن زيد ، وذلك لان الفاظهما ليست بنجدية » [٣] .

ولعل حرصهم على أن يسود الفصيح المشهور ، هو الذي حملهم ان ينعتوا الشنشنة والكشكشة والكسكسة والطمطمانية والعجعجة وما الى ذلك من ألوان اللهجات باللغات المذمومة [٤] .

وفي كتب الادب ومعجمات اللغة ، اشارات للمألوف من الكلام الدارج جرى على ألسنة الناس في مختلف الازمنة .

وسنعرض فيما يلي لموضوع الاعلام ، لنتبين الى أي حد نستطيع ان نفيد الفوائد اللغوية التي نروم الوصول اليها .

لا بد لنا أن نصنف الاعلام الحديثة في صنفين اساسيين ، وهما : الاعلام الحضرية ، والاعلام غير الحضرية ، ويدخل في الصنف الثاني الاعلام القروية والبدوية ، وجميع الاعلام التي يستعملها غير المتعلمين من الناس .

---

٢ — حسبك ان تعرف ان أحدهم قرأ : (ولا تقربا هذه الشيرة) بكسر الشين والياء حكاه أبو زيد ، انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع (شواذ البقرة) . ويحمل الجاحظ قراءتين للحسن على الخطأ ، احداهما: «وما تنزلت به الشياطون» سورة الشعراء ٢١٠ انظر البيان ٢/٤ .

٣ — ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١٢١ ، المرزباني ، الموشح ٧٣ .

٤ — ابن فارس ، الصاحبي ٢٤ .

الاعلام الحضرية

ويشتمل هذا الصنف الاول على الاعلام العربية المعروفة في سائر عصور العربية ، فهي بذلك أعلام تقليدية . ونستطيع ان نصنف هذه فيما يأتي :

١ – الاعلام الدينية :

ويدخل في هذه الاعلام (أحمد) و (محمد) وقـــد سمى بهذين العلمين المسلمون ° في سائر العصور ، ومـــا زال العراقيون يسمون بهما تيمناً بالنبي محمد (ص) .

ومن هذه الاعلام (عبد الله) وهو من الاعلام المركبة تركيباً اضافياً ، وذلك باضافة (عبد) الى (الله) . ومثل هذا (عطاالله) و (نصرالله) و (خيرالله) و (سعدالله) و (جارالله) و (حسب‌الله) ، وكل هذا ما زال سائراً مستعملا .

أما (عبدالله) فهو قديم جـــداً وقد كان معروفاً في الجاهلية الاولى ، وحسبك أن تعرف ان ابا النبي محمد (ص) هو (عبدالله) ، وربما كان مستعملا في تلك الحقبة السحيقة الى جانب (عبداللات) وليس عبدالله من ابتداعات الاسلام كما يظن بعضهم . وان (عبدالله) من الاعلام التي يسمي بها المسلمون في العراق الآن عرباً كانوا أم غير عرب ، وهو كذلك من الاعلام الشائعة بين اليهود والنصارى والصابئة وسائر الطوائف الاخرى . ومثل (عبدالاله) ولكنه أقل شيوعاً منه .

° – انصرف هذان العلمان للمسلمين دون غيرهم من الطوائف ، ولكنك ربـــا وجدت بين نصارى لبنان من سمى (محمد) و (أحمد) وتفسير ذلك انه ربما التجأت الأم التي لا ترزق أولاداً ان تسمى ابنها بأسماء المسلمين رجاة ان يعيش لها ولدها . والاسم (أحمد) من الأعلام التي سمّى بها الصابئة في جنوبي العراق (العمارة) ابناءهم .

ومن الاعلام المصدرة بـ (عبد) (عبدالنبي) [٦] وهو شائع بين المسلمين ولا سيما الشيعة منهم كما انه معروف عند الصابئة واليهود في أيامنا هذه .

ولا تضاف (عبد) الى لفظة الجلالة وحدها ، بل تضاف كذلك الى أسماء الله الاخرى او صفاته مثل (عبدالعظيم) و (عبدالقادر) [٧] و (عبد الغفور) و (عبدالمجيد) و (عبدالملك) و (عبدالجبار) و (عبدالرحمن) [٨] و(عبدالرحيم) و (عبدالصمد) و (عبدالحميد) و (عبدالسميع) و (عبـــدالحكيم) و (عبدالجليل) و (عبدالازل) و (عبدالكريم) و (عبدالودود) و (عبدالكافي). وهذه الاعلام وغيرها على شاكلتها شائعة في العراق من شماليه الى جنوبيه ، وربما انفردت جهة من الجهات بأعلام على هذه الشاكلة دون غيرها كشيوع (عبدالنافع) و (عبدالباسط) في الموصل وما جاورها دون سائر الجهات العراقية .

ثم ان هذه الاعلام المركبة باضافة العبد الى اسماء الله شائعة في الاقطار

---

٦ — بكسر النون . وربما كانت الأعلام المصدرة بـ (عبد) عند غير المسلمين نتيجة تقليد هؤلاء للمسلمين في عادات التسمية ، وربما كان (عبد الأحد) بتشديد الحاء عند النصارى في أيامنا هذه نتيجة هذا الاتصال والتأثر بذلك . وذلك لعدم شيوع هذا العـــلم بين النصارى في الاقطار العربية الاخرى ، او قل بين النصارى في العصور القديمة . ومثل هذا استعمال النصارى في جميع الاقطـــار (عبد النور) و (عبد الأحد) عندهم يريدون به (عبد المسيح) وهو شائع ايضاً .

٧ — من الأعلام المعروفة في العراق اليوم وهو قديم ايضاً ومعروف في سائر اقطار العربية وأكثر الذين يسمون به هم السنّة من مسلمي العراق . وربما كان ذلك لانه اسم الصوفي المعروف (بالجيلاني) او (الجيلي) . وقد شاع هذا العلم شيوعاً عجيباً في المغرب الافريقي بهيئته التركيبية وبهيئته المصغرة (قدور) و (قدوري) تيمناً وتـــبركاً . كما انهم ليسمون (جيلاني) للسبب نفسه .

٨ — من الأعلام المعروفة عند المسلمين عامة غير ان الشيعة منهم يتحاشونه لانه ربما يذكرهم بعبد الرحمن بن ملجم قاتل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) .

العربية وربما أنفرد قطر بطائفة منها دون غيره مثل (عبدالجواد) و (عبدالمعطي) و (عبدالمولى) و (عبدالصبور) فهذه الاعلام معروفة وشائعة في مصر دون سائر الاقطار العربية وربما تجد شيئاً منها في سوريا . وقد شاع في المغرب العربي تسميتهم بـ (عبدالمؤمن) و (عبد البر) وطبيعي ان العبد غير مضاف الى اسم من أسماء الله .

والتسمية بالعبد مضافاً الى هذه الاسماء او قل هذه الصفات مما جاء به الاسلام فقد شاعت في صدر دولة بني امية ثم جرى عليها العرب المسلمون ثم شاعت بين غير العرب من المسلمين .

ولكن اضافة كلمة (العبد) لم تقتصر على لفظة الجلالة أو على أسماء الله وانما تعدت ذلك الى اسماء الائمة والاولياء الصالحين [9] او الى ألقابهم وما اشتهروا به نحو (عبدالامير) [10] و (عبدعلي) و (عبدالحسن) و (عبدالحسين) و (عبدالعباس) و (عبدالحمزة) و (عبدالكاظم) و (عبدالرضى) و (عبدالصاحب) [11] و (عبدالزهرة) و (عبدالائمة) [12] .

---

٩ – شاعت عادة التسمية باضافة (عبد) الى اسماء الائمة او الى ما اشتهروا به كما مثلنا ، بين الشيعة من المسلمين في العراق وايران ، على انهم يسمون بالأعلام المركبة الأخرى والتي ذكرنا طائفة منها نحو (عبد الجبار وعبد الله وعبد الحميد) وما الى ذلك .

١٠ – والمقصود بـ (الأمير) هو الامام علي (ر) . كما شاع بينهم ايضاً اسماء الائمة مثل (جعفر) و (عمار) و (ياسر) وغير ذلك ، ولا تعدم ان تجد هذه الاسماء الاخيرة مستعملة عند السنّة ايضاً .

١١ – والمقصود بـ (الصاحب) هو صاحب الزمان الامام المنتظر الذي يخرج عند قيام الساعة ، وهي العقيدة المعروفة عند الشيعة ، وهو المهدي المنتظر .

١٢ – والاستقراء يهدينا الى ان الاعلام آخذة في الزوال ، بين الأسر المتحضرة والتي أخذت من الثقافة بنصيب ، فقد اقلعت هذه الأسر عن هذه العادة في التسمية .

ولعلك تعجب اذا عرفت ان النصارى في العراق يسمون بأعلام انصرفت الى المسلمين في سائر العصور التاريخية ، مثـــل عبدالعزيز ، وعبدالحكيم ، وعبدالفتاح ، وعبدالرحيم ، ولعل عجبك يزيد اذا عرفت انهم يحشرون هذه الاعلام الى جوار أعلام مسيحية ، وربما كانت أعلاماً اوروبية كأن تجد ان احد الاطباء في مدينة البصرة يدعى (جلبرت فرج عبد الرحيم) وليس من شك أن (جلبرت) هذا من الاعلام الاوروبية . وكأن تجد بينهم (صبيح جورج) مثلا .

ولا بد ان نعرض للون آخر من الاسماء المركبة تركيباً اضافياً ، وهي تلك التي تضاف الى (الدين) مثل : عزالدين ، ونجم الدين ، وصدر الدين ، وشمس الدين وغير ذلك . ولم تكن هذه المركبات الاضافية أعلاماً في العصور التي سبقت عصرنا هذا ، ذلك انها كانت مركبات تصدر بها الاعلام الحقيقية على شاكلة الالقاب شأنها في ذلك شأن الالقاب التي الصقت بخلفاء بني العباس فغلبت عليهم ، مثل المتوكل على الله ، والمسترشد بالله ، والمهتدي بالله ، وغير ذلك ، وشأنها في ذلك ايضاً شأن ركن الدولة ، وعضد الدولة ، ونظام الملك وغير ذلك . فأبو البركات ابن الانباري هو كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، والمؤرخ المعروف بابن الدبيثي هو جمال الدين محمد بن سعيد الواسطي . غير ان هذه المركبات جرت أعلاماً في أيامنا ، وربما استغني عن المضاف اليه وهو (الدين) تخففاً واختصاراً في المألوف الدارج من الاستعمال ، فقيل (شمسي) بالياء [13] في

١٣ ــ واضافة الياء في هذه الأعلام مأخوذ من الطريقة التركيبية في اعلامهم المستعارة من العربية وهي في الكثير الغالب مصادر ختمت بالياء ، مثل (صلحي) و (زهدي) و (حقي) و (فهمي) وغير ذلك . على ان هذه اليـــاء ليست من ياء النسبة في شيء . وهذه الأعلام قد استعملها العرب في العهود التركية المتأخرة ومـــا زالت مستعملة حتى يومنا هذا . كما استعار الاتراك ألفاظاً عربية اخرى وأجروها مجرى الأعلام ولكنهم اتبعوا فيها طريقة اخرى ، وذلك انهم ختموها بتاء معجمة محققة وهي (رفعت) و (بهجت) و (شوكت) وهذه من غير شك من الرفعة والبهجة ، والشوكة ، والهداية ، غير ان وجه الخلاف يكون في التاء فليست الكلمة =

(شمس الدين) ، وقيل (عزّي) بالياء في (عزالدين) ، وقيل (نجم) في (نجمالدين) ، كما حدث شيء من هذا عند الفرس في الالقاب المركبة مثل (نظامالملك) ، و (علاءالملك) و (مشيرالملك) ثم حذف المضاف اليه فصارت (نظامي) و (علائي) و (مشيري) ثم غلبت هذه الالقاب فصارت كأنها أعلام ، كما غلب (سعدي) وهو لقب على اسم الشاعر المعروف .

٢ – الاعلام التاريخية :

ويدخل في هذا الصنف من الاعلام ما كان مستعملاً في العصور التاريخية السالفة وقد ظل مستعملاً الى يومنا هذا ، ومن أمثلة هذا النوع من الاعلام ، أحمد ومحمد وعلي وهذه الاعلام ما زالت جارية عند المسلمين كافة ، أما أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة [١٤] فهي من الاعلام التي شاع استعمالها عند السنّة منهم ، وبخاصة عند الاكراد والاتراك المسلمين .

ومن هذه الاسماء الاعلام المنقولة وهي التي نقلت من النعوت والمصادر الى

= العربية وهي مختومة بالتاء كالكلمة في استعمالها الاعجمي وهي مختومة بالتاء ، ذلك ان التاء في الطريقة التركية لازمة أبداً ، ولا يوقف عليها بالهاء كما في العربية، ومن أجل ذلك كانوا على حق في رسمها بالتاء الطويلة . وقد سمى العراقيون بهذه الألفاظ تقليداً لهؤلاء الأعاجم . ولكنهم آثروا رسم التاء بالمربوطة لمحاً لأصلها العربي . وقد استعمل الفرس هذا النوع من الأعلام فسموا بـ (هدايت) و (حكمت) و (نشأت) .

١٤ – قل ان تجد بين الشيعة من سمى بهـذه الأعلام ، وهي ان وجدت بينهم فلفائدة ، وتلك عادة جرى عليها النساء اللواتي لم يرزقن فانهن يتشبثن بهذه الأسماء التي يعافها الكثير رجاة ان يكتب لمولودهن الحياة والبقاء . ومثل هذه العادة معروف عند القرويين ايضاً ، فالمرأة التي لا ترزق تتشبث بالأسماء التافهة والألفاظ الحقيرة رجاء ان يعيش لها مولودها ، كأن تسمي ابنها (زبالة) او (زبانة) او (خريبط) او ما شابه هذا من الألفاظ التافهة . وقد حصل مثل هذا للمسلمين في الموصل المجاورين للنصارى ، فقد تعمد الأم الى تسمية طفلهـا باسم نصراني للغرض نفسه ، فتسميه جرجيس والياس وغير ذلك من أسماء النصارى . ولا بد من الاشارة الى ان (جرجيس) هو عند النصارى (كوركيس) .

العلمية مثل الحسن ، والحسين ، والفضل ، والعباس وغير هذا ، وما زالت هذه الاعلام معروفة مستعملة ولكنها مجردة عن هذه الالف واللام [١٥] التي كانت لازمة لهـــا في العصور التي سبقت عصرنا هذا ، فالشائع اليوم هو (حسن) و (حسين) بالامالة و (عباس) . وقد استعمل غير العرب من المسلمين كالاتراك والفرس هذه الاعلام مجردة عن هذه الزيادة في عصرنا هذا .

٣ – الاعلام المستحدثة :

واريد أن ادخل في هذا الصنف نوعين من الاعلام :

(أ) الاعلام المستحدثة – ولقد كانت هذه الالفاظ مصادر فاستعيرت أعلاماً مذكرة أو مؤنثة وشيوع اللفظ المستعار للمذكر او المؤنث هو الذي يقيده بالجنس مذكراً او مؤنثاً . وربما حدث تردد في الصاق اللفظ بالمذكر او المؤنث ، كأن تجد ان شاباً من شبان هذا الزمان اسمه (ابتسام) وشابة مساوية له في العمر اسمها (ابتسام) ايضاً ، وليس ذلك راجعاً الى المحلية او الاقليمية فقد

---

١٥ – لزمت الألف واللام هذه الأعلام ، ولكنها جردت منها في الاستعمال الحديث ، تخففاً واختصاراً ، ونستطيع ان نقول : ان جميع الأعلام التي لزمتهـــا الألف واللام في الاستعمال القديم ، سقطت عنها هذه الزيادة اللازمة في الاستعمال الحديث . ومعلوم ان هذه الأداة زائدة اذ لا تفيد تعريفاً وتخصيصاً ، وقد عبر عنها الأقدمون بانها تزاد لمحا الأصل . ولا بد ان نسجل الى ان المغاربة في أيامنا هذه يزيدون هذه الأداة في الأعلام ومعنى ذلك انهم ما زالوا يستعملون الأعلام على صورتها القديمة مثل الحسن والحسين والعباس والحمزة، غير انهم بالغوا في هذه الطريقة فزادوا هذه الأداة في الأعلام التي لم تكن لها هذه الأداة في العصور القديمة فمن أعلامهم (البشير) وقد اشتهر مجرداً عن هذه الأداة في العصور التاريخية ومثله الحبيب ، والطيب ، والهـــادي ، والصافي ، والعربي ، والمدني ، والتهامي ، والمكي ، والمهدي ، ولعل هذه الزيادة في هذه الأعلام آتية من ان هذه الألفاظ كانت ألقاباً ثم استعملت استعمال العلم ، والعربي ، والتهامي، والجيلاني، ومثل هذه، غلبة اللقب عند الفرس على العلم في باب المنسوب مجرداً من أداة التعريف نحو كربلائي (حسين) ومشهدي (جعفر) لمن زار مقام الحسين في كربلاء ، ومن زار مشهد الامام الرضا ، ومثل هذا قد حدث عند القرويين في جنوب العراق فقد غلبت كلمة (زاير) وهي لقب على العلم الأصلي فيقال (زاير) ، ويقرن (الزاير) بالعلم ، فيقال (زاير ارحيمة) ، ويشير الزاير الى زائر أحد المراقد الشريفة للائمة الاطهار .

يكون الشاب او الشابة من جهة واحدة . ومثل هذا نقول (رجاء) علماً لمذكر او مؤنث ، ومثله (نجاة) .

ولا بد أن نعرض لاصل هذا الاستحداث في الاعلام فنقول ان الناس قد سئموا الاعلام السائرة والتي درج عليها النـــاس منذ أزمنة طويلة ، فراحوا يتصيدون هذه الاعلام . وربما كان استعمال لفظ (التصيد) مصيباً في هذا الموضوع ، ذلك انهم يتوسمون ان يكون الاسم غريباً مما لم يجر على ألسنة الناس ، وان يكون حلواً رقيقاً في أصواته ومجانسة هذه الاصوات بعضها لبعض ، ومن اجل هذا سموا (بان) علماً لانثى ، والبان شجر معروف في شبه الجزيرة ، دون ان يعرفوا حقيقة (البان) ، وربما كان في أشجارهم الحضرية الانيقة ما يفوق هذا البان جمالاً وبهاء ، ولكنهم لزموا البان لغرابته ولسهولته في اللفظ وجرسه وايقاعه .

وربما كان وقع الكلمة في الأذن ومجانسة أصواتها ، هو السبب في اختيارها دون غيرها ، ويتبين هذا مما نعرضه من الامثلة الآتية ، فقد اختاروا لفـــظ (هيام)[١٦] علماً لأنثى لما هذا اللفظ من وقع حسن دون النظر في معناه، وذلك

---

١٦ – واختيار هذه الألفاظ الرقيقة أعلاماً ولا سيا للاناث مثل (هيام) و (قياد) و (عنان) و (ناهدة) و (نهلة) و (رواء) وما أشبه ذلك ، يشبه الى حد كبير ما حدث في الأعلام التي غلبت على الجواري والقيان في العصر العباسي نحو (ناعم) و (عريب) و (ماجن) و (مشتاق) و (تباريح الكوفية) و (بنان) بضم الباء ، و (نشوان) و (شادن) و (زين) و (عارم) و (لاهي) و (شمسة الطنبورية) و (هاتف) و (خاضع) و (شمائل) و (عنان) ، انظر كتاب الموشى لأبي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء ٢١٦ – ٢٢٩ ، ومن هذا (وحيد) للمغنية التي شبب بها ابن الرومي الشاعر :

يا خليلي تيمتني وحيد ففؤادي بها معنّىً عميد

والذي نلاحظه ان أغلب هذه الاسماء مجردة من علامة التأنيث ، وربـــما كان ذلك تشبيهاً الجواري والمغنيات بالغلمان ولا سيا في هذا العصر الذي جد فيه هذا النوع من الهوى ، وقد نجد بين أسماء المغنيات والفنانات ما يشبه هذا في أيامنا هذه مثل (فاتن) و (ملك) و (زهور) و (الهام) و (راقية) وغير هذا .

انهم لو اهتدوا الى المعنى لعزفوا عن هذا الاختيار ، فمن معاني الهيــام انه داء يصيب الابل فيكسبها العطش [١٧] والى هذا أشار الشاعر :

بيَ الحب او داء الهيام أصابني   فاياك عني لا يكن بك ما بيا

ومثل هذا اختيارهم لفظ (سهام) بضم السين علماً لأنثى ، فصوت اللفظ هو الذي حملهم على هذا الاختيار دون النظر في المعنى [١٨] ، لان معنى السهام داء يصيب الابل .

ولعل من ذلك ايضاً اختيارهم (سهاد) علــماً لأنثى ، والسهاد الأرق ، ولم يسموا (بالسُهد) مما هو في معناه .

ومن ذلك ايضاً اختيارهم (عنان) علماً لانثى ، والعِنان هو اللجام ، وهو السير الذي تمسك به الدابة والجمع أعنة ، ولعل صوت الكلمة دون معناها هو الذي هداهم الى (العنان) دون (اللجام) مما هو في معناه . ولا أرى ان أحداً من الناس يرضى هذه الالفاظ أعلاماً اذا اهتدى الى معانيها .

وقد اختاروا (رند) علماً لانثى وليس الرند بالشجر البهي الجميل وعندهم من الاشجار ما يفوق هذا النبات البدوي .

(ب) الاعلام المستحدثة الاصيلة – وهي تلك التي كانت شائعة في العلمية ثم هُجرت ثم عاد اليها الناس في أيامنا هذه إحياء لاسماء الاولين الذاهبين من السلف ، وربما كان في هذا الاحياء استجابة للنزعة القومية العربية . ومن ذلك انهم بدأوا

---

١٧ – انظر لسان العرب مادة (هيم) .

١٨ – انظر اللسان مادة (سهم) .

يسمون بـ (خالد) و (طارق) و (عدنان) و (قصيّ) و (لؤيّ) و (دريد)[19] ، و (مازن) و (رائد) و (ليث) و (عاصم) وغير هذا ممـــا يدخل في هذا الباب .

ومن أعلام الاناث (عائشة) وان كانت مستعملة بلفظ عيشة بدلاً من (عائشة) [20] . وقد حمل الخفاجي لفظ (عيشة) على الخطأ[21] .

ومن هذه الأعلام (دعد) و (هند) و (أميمة) و (سلمى) و (ليلى) على ان اللفظ الدارج في (سلمى) و (ليلى) (سلمة) و (ليلة) وكأن الألف المقصورة للتأنيث مما لا يألفه الاستعمال الدارج الحديث وبخاصة في العراق .

الاعلام غير الحضرية

ويدخل في هذا الباب الاعلام القروية والبدوية . ولا بد أن نقدم لهذا الباب بشيء لنتبين طبيعة الاعلام واصولها وكيفية اطلاقها .

واطلاق الاعلام على الذوات دليل على تقدم المجتمع الانساني بصورة عامة ،

---

١٩ — ودريد من الأعلام العربية القديمة وقد جدت التسمية به في أيامنا ، ولا بد ان أذكر نكتة لطيفة في الموضوع ، وذلك ان امرأة وضعت ولداً . فـــأريد له ان يسمى باسم من هذه الاسماء الجديدة وهكذا اقترحت احداهن (دريد) فردت عليها الاخرى وهي امرأة جاهلة : مالنا ولهذا (الدرد) ! ومعنى ذلك ان دريد وهو اسم عربي يذكر هذه المرأة الجاهلة (بالدرد) و (الدرد) كلمة دخيلة فارسية وتعني الهم والألم وهي كثيرة الاستعمال في العـــامية العراقية واستعمالها قديم في هذه العامية ، وقد جـــاءت كثيراً في شعر الحسين بن الحجـــاج الشاعر البغـــدادي .

٢٠ — الذهبي ، التذكرة ١/٢٨٣ ؛ ميزان الاعتدال ٣/٢٧٠ .

٢١ — الخفاجي ، شفاء الغليل ١٣٤ .

ذلك ان اطلاق الاعلام يؤلف مرحلة حضارية في التاريخ الانساني العام ، ثم ان الاعلام تعطي صورة للمستوى الحضاري الذي يمر به المجتمع . ومن أجل ذلك فالاعلام عند الحضريين ذات دلالة عالية تدل على المستوى العقلي الخاص ، في حين ان الاعلام عند غير الحضريين تدل على مستوى خاص آخر .

والذي نعرفه ان سكان القرى في جنوبي العراق غير متحضرين ، وانهم متأخرون اذا ما قيسوا بسكان المدن او بسكان القرى الواقعة في الوسط والشمال . والناظر في أعلامهم نظر الباحث اللغوي الاجتماعي يلمح تأخرهم الاجتماعي ، فأنت تحس انهم يتشبثون بأتفه الالفاظ ليتخذوها أعلاماً لهم ، كأن تجد في أسمائهم (كشاية) وهي عود القش الدقيق ، او تجدهم يسمون بـ (خريبط) و (مطشر) وما أشبه ذلك ، وقد استوفينا ما أمكننا استيفاؤه فيما يلي هذا المكان . وربما اتخذوا من ألفاظ لا تدل على معنى معروف أعلاماً لهم ، ولعلهم أحسوا او قل تخيلوا ان يكون في هذه الالفاظ معان ، وكأن هذه الالفاظ موحية بشيء عندهم غير ان ذلك المعنى الضئيل غير معروف ولم يتم الاتفاق عليه ، ولم يجر به الاستعمال ، ومن أمثلة ذلك تسميتهم لاحد من الناس بـ (مرادو) بكسر الميم ، وآخر بـ (شليهم) ، ومثل هذا كثير عندهم .

ومما يدل على هذا انهم لا يعلقون أهمية على الاعلام ، فقد يسمون الصغير بعلم من الاعلام حتى اذا كبر اطلق عليه شيء آخر . ولا بد ان نشير الى ان منهم من لا يعرف جده وقد حدث شيء من هذا عند تسجيل النفوس في احصاء عام ١٩٤٧ فقد حدث ان القائم بالتسجيل كان يسألهم عن اسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء أجدادهم ، غير أن نفراً منهم لم يعرف جده وهو يقول للمسجل ببساطة تدل على بدائية أصيلة فيه : سجل ما شئت من أسماء ، وليكن (جليب) وهو تصغير الكلب . على ان من أعلامهم (بلاسم) وليس هذا العلم جمعاً (لبلسم) كما يتخيل الحضريون البعيدون عن البيئة الريفية القروية ، فهو يعني (من دون

اسم) أي ان صاحب هذا العلم لم يجدوا له اسماً فسموه (بلا اسم) وقد تم على طريقة نطقهم تركيب الكلمتين واستحالتا كلمة واحدة .

وهذا العلم ذو فائـــدة ودلالة للباحثين في الاحوال الاجتماعية لهذا المجتمع الريفي المتأخر .

وهم يتخذون من كل مناسبة اجتماعية او تاريخية او دينية وسيلة لاطلاق الاعلام فمجيء حاكم للاقليم لا بد ان يكون سبباً في شيوع اسمه بينهم ، ولو كان ذلك الاسم أجنبياً غير عربي ، ومن أمثلة ذلك شيوع اسم (دكسن) علماً لانثى ، وهذا العلم اسم لحـــاكم انكليزي كان في المنطقة الجنوبية في أيام الاحتلال البريطاني . ومثل هذا شيوع اسم (عصملي) بتشديد اللام وهو يعني (عثماني) وشيوع (انكريزي) و (انكريزية) وشيوع (قمنـــدار) ويعني Commandant وهي كلمة اوروبية استخدمها الاتراك في ألقابهم العسكرية وهي استعارة فرنسية .

وانهم يتخذون من حادثة تاريخية وسيلة لاطلاق العلمية كأن يكون في أعلامهم (حربي) وهو مشير الى اعلان حرب او (فتنة) علماً لانثى وهو يشير الى حدوث فتنة بينهم وبين قبيلة اخرى .

كما انهم يتخذون من المناسبة الدينية وسيلة اخرى ولذلك نجد من أسمائهم (زيارة) علماً لمذكر وهو يشير الى حدوث موسم زيارة المشاهد المقدسة كمشهد الامام علي بن أبي طالب (ر) والامام الحسين بن علي وسائر الائمة الاطهار ، ومن أجل ذلك تشيع فيهم الاعلام المصدرة بـ (عبد) أي أن المولود عبد لهؤلاء الائمة الكرام مثل (عبدعلي) و (عبدالزهرة) و (عبدالحسين) و (عبدالعباس) والى آخره ، ولكنهم ينطقون بهذه الاعلام بتصغير المضاف فتكون (عبيدعلي) و (عبيدالزهرة) توكيداً للمعنى المراد من هذه التسمية وذلك أنهم يتوسمون أن يكون هذا المولود عبداً للامام ومحتسباً له . ومن الطريف أن نذكر أنهم

يمضون في هذا السبيل الى أكثر من هذا، فأنت تجد من أعلامهم (جليب علي) والكلمة (جليب) مصغر (كلب) أي ان الطفل الذي اطلق عليه هذا العلم محسوب كلباً للامام علي (ر) . وربما كان ذلك تشويهاً للعلم (كربلائي علي) الذي أشرنا اليه .

ولا بد أن نلاحظ ان هذه البدائية عند هؤلاء ربما تشير الى الطوطمية القديمة للمجتمعات البدائية الاولى . غير اننا نلاحظ في أعلامهم ما يشير الى التسمية بأسماء الكواكب كما يحدث عند الشعوب البدائية الاخرى، ولعل سبب ذلك راجع الى ان هؤلاء لم يكونوا من الذين يدينون بتعدد الآلهة (Polythèisme) فهم مسلمون في عقيدتهم . أما شيوع اسم (كمر) في اعلامهم اي القمر فذلك الى ان القمر عند هؤلاء مهم وهو ذو فائدة لا تنكر عند القرويين والبدو ، فالليلة المقمرة جميلة بضوئها الذي يشيع المتعة عندهم ، ومن اجل ذلك ظهر ذلك في غنائهم وأدبهم .

ونستطيع ان نصنف في هذه الاعلام أصنافاً عدة وهي كما يأتي :

١ – أعلام بأسماء النبات :

ومنها (نخيلان) و (حرقش) و (تمر) و (هوبر) و (حنظل) من أعلام الرجال و (تالة) و (وردة) و (شمامة) و (تفاحة) و (خيارة) و (رمانة) و (سعدة) و (شيحة) و (كيصومة) من أعلام الاناث .

٢ – أعلام بأسماء الامكنة :

ومنها (غدير) و (وادي) و (نهر) و (جبل) و (بحر) و (شاطىء) من أسماء الرجال ، و (ثنية) بكسر الثاء و (شمرة) و (مظلمة) من أعلام الاناث .

٣ – أعلام بأسماء الحيوان :

ومنها (فهد) و (أسد) و (جرو) و (غزال) و (كليب) و (ذيب) و (ذيبان) و (بزون) و (عصفور) و (برهام) و (صكر) و (شبوط) من أعلام الرجال .

ومن أعلام الاناث (مهرة) و (كطاية) و (حمامة) و (طويرة) و (بفنية).

٤ – أعلام تدل على نماذج طبيعية :

ومنها (صلبوخ) و (صخريج) و (صخر) .

٥ – أعلام تدل على أدوات مستعملة :

ومنها (منجل) و (مجول) وهو الناعور اذا كان ذا صفين في الجرار من جهات الحديثة وعنة وراوة . و (دلة) و (سيف) و (خنجر) .

٦ – الاعلام المقرونة بدخول قائد او جيش او معركة وما دار فيها من السلاح :

ومنها (انكريزية) و (كوكس) وهو اسم المندوب السامي الانكليزي في العراق (وليم كوكس) و (برنو) نوع من السلاح و (قنيبلة) تصغير في القنبلة .

٧ – أعلام تدل على الصفات :

ومنها (ثجيل) وسببه ان الأم كانت تشعر بثقله طوال مدة الحمل ، ومنه (متعب) بكسر الميم وسببه ان الام كان قــد تعبت عند وضعه ، وربما كان (ثجيل) تفاؤلاً وتوقعاً ان يكون صاحبه ذا أخلاق مرضية هادىء الطبع :

ومنها (مظلوم) او (امظيليم) او (مظلومة) ومعناه ان ولادة الطفل اتفقت مع موت احد أبويه ، ومثله (العيبى) اشارة الى أبي الطفل الذي لم يحسن معاشرة زوجه . وقد سمعت ممن اشترك في تسجيل النفوس سنة ١٩٤٧ ان امرأة اسمها (غدا الشمر) بكسر الغين ، ومعناه ان امها وضعتها بعد جهد ونصب حتى اذا وضعت ذهب عنها الشر .

ولهم في الاعلام أساطير لا بأس ان نعرض لشيء منها ، وذلك ان أحدهم في ريف من أرياف العمارة في مناطق الاهوار اسمه (صربوط) وهو (سيد) وللسيد عند هؤلاء الناس قدسية معروفة ينبني عليها قيامه بالخوارق من الاعمال ، كأن رصاص البنادق لا يؤثر فيه ، وصاحبنا (صربوط) من هؤلاء اصحاب الخوارق فقد وضعته أمه واضطرت الى صرطه وبلعه فعاد ثانية مولوداً جديداً ومن اجل هذا سموه (صربوط) والصاد ابدال من السين . ويدخل في هذا الباب التي تدل على الكفاية والتفضيل ، ومنها (بسعاد) و (وبسنة) و (كافي) و (كفاية) و (تسواهن) و (علاهن) .

٨ — الاعلام الدالة على الزمان :

وفي هذه الاعلام يشترك اهل الحواضر مع غيرهم من سكان البوادي والارياف كالتسمية بالايام فالطفل الذي تضعه أمه في يوم الجمعة يسمى (جمعة) وهكذا قل في (سبتي) لمن يولد في ايام السبت ، و (خميس) لمن يولد في ايام الخميس .

ومن هذه الاعلام (صفر) و (رجب) و (رمضان) و (شعبان) و (عيادة) لمن ولد في العيد .

على اننا نستطيع ان نتبين ان هؤلاء القرويين يقلدون في التسمية احياناً دون معرفة معاني الاسماء التي يطلقونها في تقليدهم ، ومن ذلك ما حصل

للقرويين الذين هجروا الارياف ، واستوطنوا في المدن وعاشوا الى جوار المتحضرين ، فقد رأيت ان طفلاً من أطفال هؤلاء اسمه (احسان) وذلك تقليداً لاسم حضري وهو اسم صاحب البيت المجاور لهم ، ولو سألت والد هذا الطفل عن معنى الاسم الجديد لما وجدت عنده جواباً ، واستقراء أعلام النشء بين هؤلاء يدل على تقليد هؤلاء للحضريين في التسمية ، ومن ذلك ان احدهم حلا له ان يسمي وليدة له بـ (هيام) تقليداً لغيره وانساً بالكلمة ، ولكنه اقلع عن هذه التسمية بعد ان عرف مدلولها الشائع .

التصغير في الاعلام

التصغير معروف في العربية وأوزانه معروفة في كتب الصرف ، وكتب الصرف تكتفي بالاوزان المعروفة ، وهي تصغير الثلاثي ، والرباعي ، والخامسي .

ولكن الاستقراء في العربية فصيحها ولهجاتها الدارجة يدلنا على صيغ كثيرة في التصغير ، وقد أولع العرب بالتصغير منذ أقدم العصور ، وقد جاءت صيغة التصغير في القرآن عدة مرات في لفظ (قريش) و (شعيب) و (عزير) و (حنين) و (سليمان) وتصغير الابن على (بني) قد جاء في ست آيات على لسان شيخ من شيوخ بني اسرائيل ، او على لسان نبي . وقد جاءت هذه الكلمة المصغرة في ثلاثة فصول من أمثال سليمان في التوراة ؛ ولا شك ان استخدام هذه الصيغة المصغرة يؤدي غرضاً معنوياً .

والفائدة من التصغير معروفة فقد يفيد التحبيب ، وقد يفيد التحقير والتقليل ولعل هذا المعنى الاخير هو الذي جعل غير الحضريين من سكان القرى والبوادي يميلون الى التصغير في أعلامهم وفي الالفاظ الاخرى . ذلك ان حياتهم قاسية وبيئتهم فقيرة مجدبة فهم في فاقة وعوز وحاجة ابدا ، وليس لديهم الا التافه الحقير مما يأكلون ومما يستعملون ، ومن أجل ذلك يلصقون بهذا التافه

ألفاظاً مصغرة ، فـــلا يزهى القروي بثوبه كما يزهى الحضري المترف ، ولذا فالثوب عنده (ثويب) بالتصغير .

وللتصغير طرق غير الطرق المعروفة ، ومن ذلك أن يخـــتم الاسم بالواو والنون ، كما في (سعدون) ، و (خلدون) ، وهذه الطريقة في الاعلام شائعة في المغرب الغربي لمن اعلامهم (حمدون) و (وهبون) و (سحنون) و (جلون) و (فرحون) وغير هذا .

وهذه الطريقة في التصغير معروفة في العامية العراقية ، فتصغير (درب) (دربونة) والتاء تفيد المبالغة في التصغير ، ومثل هذا لزوم التاء في المصغر المؤنث اللفظي في فصيح العربية ، فتصغير (ساق) (سويقة) وتصغير (عين) (عيينة) وتصغير (أذن) (أذينة) والتاء في هذه الكلمات مؤكدة للتصغير ، كما هي مشيرة للتأنيث . ومنه في الدارج العـــامي قولهم (بيتونة) مصغر (بيت) ، و (شيء) يصغر على (شويونة) بتشديد الياء ، و (حبّة) تصغر على (حبّونة) .

وزيادة الواو والنون للتصغير تتفق مع ما هو معروف في السريانية عن التصغير فكلمة (كتابا) تصغر على (كتابونا) ، وتتفق كذلك مـــع ما هو معروف في العبرية عن التصغير ، فكلمة (ايشون) هو تصغير لكلمة (ايش)[٢٢] ومعناها (انسان) ، وربما كانت كلمة (ايسان) العربية قريبة من الكلمة العبرية . وربما استطعنا حمل (عبدوس) * على التصغير ، فالواو والسين أداة سريانية اخرى تذيل بها الكلمة لتصغر ، ولعـــل (حمديس) من هذا الباب ايضاً . ويكون التصغير بتذييل الاسم بالالف والنون كما في (بنيان) و (ثنيان) بتشديد الياء في كل منهما .

---

٢٢ — Gesenius' Hebrew Grammar P. 240.

* — قد تكون هذه الزيادة من تأثير اللاتينية .

ولعل كلمة (حيزوم) لصدر السفينة ، صورة مصغرة اخرى ، فالحيز هو المكان ، فاذا ختم بهذه الاداة دل على مكان بعينه ، ونستطيع أن نحمل على ذلك (بلعوم) و (حلقوم) و (زردوم) .

والمتتبع لفرائد اللغة يجد ان طريقة التصغير تختلف بين جهة واخرى ، فالاعلام (رشيد) و (حسن) و (علي) تصغر على (رشو) و (حسو) و (علو) بالتشديد في جهات معينة من العراق .

وهناك من يصغر (خديجة) على (خجة) بادغام الدال بالجيم ، ومنهم يصغرها على (خدّوج) ، ومنهم من يصغرها على (خديوج) ، ومنهم من يصغرها على (خديجة) باسكان الياء .

أما (فاطمة) فتصغر على (فطّوم) و (فطّيم) و (فطّومة) وهو شائع معروف ، وقد تصغر على (فطم) بفتحتين للتحبيب ، وقد صغرت في مصر على (فطمطم) [23] كما صغرت في الموصل على (فطوش) وهذا التصغير في (فاطمة) معروف في التركية الحديثة .

أما (زينب) فقد صغرت على (زنوبة) وعلى (زمو) بتشديد الميم وقد صغرت على (زماوي) . وأما (عائشة) فقد صغرت على (عيشة) و (عواشة) بتشديد الواو و (عويشة) .

وقد جاءت أعلام مصغرة وهي مختومة بالواو والشين لافادة التصغير كما في (دعدوش) و (حمروش) و (بوكروش) [24] وهذا شائع في المغرب .

ولعل أداة التصغير الحقيقية هي الواو الاخيرة في الكلمة كما في (قدور) من

---

٢٣ – انظر انوليتمان ، مجلة كلية الآداب ١٩٤٨ الجزء الاول .

٢٤ – والعلم (بوكروش) هو من الكنى في الاصل وقد اقيمت الكنى في المغرب مقام الاسماء كما في (بو القاسم) و (بومدين) .

عبـــد القادر و (عصفور) [25] من (صفر) و (شعرور) مصغر (شاعر) و (حبرور) في ذكر الحبارى ، و (عزوز) بالتشديد مصغر (عزيز) .

كلمة أخيرة

ونستطيع ان نتبين ان للعبيد والمماليك أسماء خاصة ما زالت مستعملة حتى يومنا ، تدل عموماً على تكريم هؤلاء باطلاقها عليهم مثل (ياقوت) و (مرجان) و (ماس) و (جوهر) ، وقديماً كانت أعلام المماليك على هذه الشاكلة . فالفقيه الشافعي المتوفى سنة ١١٧ هـ اسمه (مكحول) [26] ، لانه كان من الاسرى الذين جيء بهم من كابل . واسم كافور الاخشيدي من المماليك على هذه الشاكلة ومثله جوهر الصقلي القائد المعروف .

٢٥ – سمي (العصفور) من صوت الطائر وهو (صفر) ويدلنا على ذلك ما في العبرية فالاسم فيها هو (صفّور) بتشديد الفاء .

٢٦ – ابن خلكان ٢/٥٨٥ .

تعابير اوروبية في العربية الحديثة

بدأ الغرب يقترب من الشرق العربي في مطلع هذا القرن ، وكان الناس قبل ذلك في معزل عن هذه الحضارة الوافدة وفي مأمن من هذا الغزو الذي جر عليهم الوبال . غير أن الغزو لم يقتصر على الميدان السياسي حسب ، بل تعدى ذلك الى غيره من الميادين ، فقد اخذ هذا الشرق العربي رضي أم كره بهذه الحضارة التي تعتمد في جوانب عدة منها على الخير ، فهي ليست شراً يتمافاه الناس ابداً .

وكان من نتيجة هذه الحضارة أن تأثر العربي وهو في بيئته بها ، تأثر في أفكاره ، وتأثر في طريقة عيشه ، وتأثر في جوانب كثيرة من جوانب حياته اليومية ، وصار العربي يقرأ ثمرات الفكر الاوروبي في اللغات التي كتبت بها . وكان من جراء ذلك أن اللغة العربية الحديثة استفادت شيئاً جديداً او قل أشياء جديدة ، أقول استفادت بمعناها الواسع الشامل ، فقد جدت فيها أساليب كثيرة لم تكن الا وليدة الترجمة ، هذه الأساليب غريبة عن العربية فهي بنت ظروف وأحوال اجتماعية لم توجد في هذا الشرق العربي . غير ان العربية وهي السمحة السهلة ، اللينة ، الطيعة ، لم تتنكر لهذه الاساليب فقد قبلها الاستعمال وراضها حتى توهم القارىء وهو يقرأ صحيفته اليومية ان الذي يقرؤه عربي لم يعتوره الدخيل ، ولم يقتصر الامر على القـــارىء الذي لا يعنيه أمر العربية وأطوارها ، وموضوع اللغات وأسرارها ، بل خفي ذلك على القارىء الفطن المختص ، فقد تجاوزت هذه الاساليب لغة الصحف السائرة الى المقالة الادبية الحديثة .

ولتوضيح ما ذهبنا اليه سنستوفي ما أمكن استيفاؤه من هذه الاساليب ليقف عليها القارىء ويرى ويحكم على العربية وقدرتها على النماء والتوسع وعلى قدر مـــا تأثرت به سلباً وايجاباً ، أقول سلباً وايجاباً ، لان طائفة من هذه الاساليب لم تستفد منها العربية غنى وثروة لغوية ، فقد ترجمت وحشرت في العربية ، وكان سبب ذلك كله جهل من تصدى للترجمة باصول العربية وفنون القول فيها فلم يتيسر لهم نقل الافكار الغربية باسلوب عربي . ولو عرف هؤلاء بلاغة العرب ، وعرفوا أسرارها لما اندست في العربية أساليب غريبة عنها بحيث لا تعد من طائفة المصطلح الفني «Terme Technique» الذي نجتهد في ان يتوافر لدينا .

ولا ضير على العربية من دخول طائفة من هذه الاساليب ، بل ربما افادت منها وأثرت ونمت ، وقد علمنا ان لغتنا قبلت من الدخيل الغريب شيئاً كثيراً على مر العصور ، ومن صفات اللغة الحية أن تقبل من غيرها فتزدهر وتنمو . واذا علمنا ان اللغة ظاهرة اجتماعية ، فقد قبلنا أنها متطورة متجددة يؤثر فيها الزمان والمكان ، وقد خضعت العربية لسنة التطور ، فتنوعت أساليبها ، فماتت فيها ألفاظ وجدّت اخرى . ودونك الكثير من الفـــاظ الشعر الجاهلي التي اصبحت «متحجرات لغوية» ان جاز هذا التعبير ، والتي لا نجدها في لغة القرآن والحديث ولغة الادب في صدر الاسلام .

وقد حدثني بعضهم في ان العربية اعتمدت على المجاز والاستعارة والكناية وكانت هذه وسائل لزيادة ثروة اللغة ، فلِم نعدّ طائفة كبيرة من الاساليب الحديثة التي دخلت في لغة الصحف اليومية ولغة الكتابة السائرة مترجمة دخيلة ؟ وأقول رداً على هذا الاستفهام : ان المجاز والاستعارة والكناية من الوسائل التي أمدت العربية بأساليب كثيرة وأفادت منها فائدة عظيمة . بحيث لم نستطع الآن ان نحصي هذه الاساليب او ان نتبينها ، ذلك بأن جزءاً كبيراً من هذه المجازات مثلاً صار ملتبساً بالحقيقة او كأنه استعمال حقيقي لشيوعه وذيوعه ،

ولان الاستعمال الحقيقي بالاصالة صار منسياً ، فامحى أثره ولم يعد مستعملاً ابداً .

على ان هذه الوسائل وهي المجاز والاستعارة والكناية لم تكن مقتصرة على العربية فهي في كل اللغات ، واللغات مختلفة فيها ، فقد نجد استعمالاً مجازياً في لغة مؤدياً معنى من المعاني ، يختلف عن مجاز آخر في لغة اخرى مؤد للمعنى نفسه . وعلى هذا فالمجازات التي ذكرناها في هذه المقالة واعتبرناها من الدخيل الطارىء في العربية هي من هذا الباب ، أي مما لم تألفه العربية في أساليبها فهي مترجمات من لغة اخرى . وعمر هذه الاساليب ربما لم يتجاوز نصف القرن الماضي .

وسواء رضينا أم لم نرض فقد اندمج هذا الدخيل الوافد فتعرب . ولا بأس من ذلك كما أسلفنا ، ذلك ان طائفة كبيرة منها مما تدعو اليه الضرورة ، وان الفاظها عربية فصيحة ، وان باب التوسع والمجاز بعد كل ذلك مفتوح . ودونك شيئاً من مقررات المجمع اللغوي المصري في هذا الموضوع : (فالباب مفتوح للاساليب الاعجمية تدخله بسلام ، اذ ليس في هذه الاساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمي ، وانما هي كلمات عربية محضة ، ركبت تركيباً خالصاً ، لكنها تفيد معنى لم يسبق لاهل اللسان ان أفاده بتلك الكلمات) .

وعلى هذا فلا ينبغي ان يفهم القارىء اني في معرض تخطئة الكتاب ، او انني من اولئك الذين يبغون الحفاظ على العتيق البالي ، ولكني اسجل هذه الاساليب أخذاً بالمنهج العلمي وخدمة للعربية واظهاراً للاطوار التي تجتازها الكلمة عبر العصور وما يجد ويستحدث فيها .

وأنا اعرض الآن من هذه الاساليب ما انتهى اليه استقرائي لنصوص العربية الحديثة كما هي مثبتة في الصحف والمجلات والكتب الحديثة :

---

١ – مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ٣٣٢ .

استعمال الفعل (عاد) في تركيب لم يعرف في العربية ، وانما حدث ذلك عن طريق الترجمة كأن نقول : (لم يعد فلان قادراً) وهذا ترجمة لاستعمال اوروبي كما في الفرنسية :

Il n'est pas capable.

ونقول : يبكي فلان بكاءاً مراً ، وهو من . «Il pleure amérment.»

وما دمنا بصدد البكاء فلا بد أن نشير الى الجملة الآتية والتي تتردد في الصحف والكتابات الحديثة وهي : هو يبكي بدموع التماسيح [٢] . ومعناها معروف ، وهي من التعبير الفرنسي :

Il pleure aux Larmes de crocodile.

وفي الانكليزية :

To shed crocodiles tear.

ونقول : ابتسامة هادئه، وهذا من الفرنسية :

«Sourire Calme».

وفي الانكليزية :

« Calm smile ».

ونقول : هو يمثل الرأي العام [٣] ، وهو من قولهم في الفرنسية :

«Il represente L'opinion publique».

وفي الانكليزية :

«He represents public opinion».

ونقول : هو يسهر على المصلحة العامة ، وهذا من الفرنسية :

Il veille sur le bien commun.

---

٢ — من المفيد ان نشير الى أن شيئاً من هذا التعبير قد جاء في ارجوزة ابن المعتز في البيت الذي نثبته ، غير اننا لا بد ان نؤكد ان التعبير الشائع لم يكن عربي الاصل كما استعمل عند ابن المعتز ، وانما جاء عن طريق الترجمة من اللغات الاوروبية .

البيت : ثم بكوا من بعده وناحوا كذباً كذاك يفعل التمساح

٣ — تحميل كلمة (الرأي العام) هذا المعنى هو من الباب الذي نتحدث في هذه الصفحات ، وكذلك استعمال الفعل (مثّل) هذا الاستعمال ، داخل في هذا الباب

ونقول : هذه القضية مطروحة على بساط البحث ، وهـــذا كما في العبارة الفرنسية :

Cette cause est mise sur le tapis.

ونقول : ذر الرماد في العيون ، وهو في الفرنسية :

Il jette de la poudre aux yeux.

وفي الانكليزية :

To throw dust in the eye.

ونقول : لقتل الوقت ، وهو في الفرنسية :

Pour tuer le temps.

وفي الانكليزية :

To kill the time.

ونقول : هو يلعب دوره ، وهو في الفرنسية :

Il joue son rôle.

وفي الانكليزية :

He plays his part.

ونقول : بدوره ، وهو في الفرنسية :

à son tour.

وفي الانكليزية :

In his turn.

ونقول : أعطى وعداً ، وهو في الفرنسية :

Il a donné rendez-vous.

وفي الانكليزية :

To give a promise.

ونقول : هو أعطى صوته ، وهو في الفرنسية :

Il a donné sa voix.

وفي الانكليزية :

To give one's vote to.

ونقول : هو يكسب بعرق جبينه ، وهو في الفرنسية :

Il gagne à la sueur de son front.

ونقول : هو مع رفيقه على قدم المساواة ، وهو في الفرنسية :

Il est sur pied d'égalité avec son ami.

وفي الانكليزية :

He is on equal footing with his friend.

ونقول : حجر عثرة ، وهو في الفرنسية :

Pierre d'achoppement.

وفي الانكليزية :

A stumbing block.

ونقول : لعب ورقته الاخيرة ، وهو في الفرنسية :

Il a joué sa derniére carte.

وفي الانكليزية :

He played his last card.

ونقول : أعطاه ورقة بيضاء ، وهو في الفرنسية :

Il lui a donné une carte blanche.

وفي الانكليزية :

To give a blank cheque.

ونقول : هو يلعب بالنار ، وهو في الفرنسية :

Il joue avec le feu.

وفي الانكليزية :

To play wih fire.

ونقول : هو يصطاد في الماء العكر ، وهو في الفرنسية :

Il pêche en eau trouble.

وفي الانكليزية :

To fish in troubled water.

ونقول : على شرف فلان ، وهو في الفرنسية :

En son honneur.

وفي الانكليزية :

On his honour.

ونقول : توترت العلاقات ، وهو في الفرنسية :

Les repports sont tendus.

وفي الانكليزية :

Strained relations.

ونقول : ضحكة صفراء ، او ابتسامة صفراء ، وهو في الفرنسية :

Rire jaune.

ونقول : كرّس[4] حياته ، وهو في الفرنسية :

Il a consacré sa vie.

وفي الانكليزية :

To sacrifice one's life.

ونقول : المصائب محك الصداقة ، وهو في الفرنسية :

Les malheurs sont le pierre de touche de l'amitié.

ونقول : نزولاً عند رغبته ، وهو في الفرنسية :

Cedant à son desire.

وفي الانكليزية :

At his own request.

ونقول : الضرورة الملحة ، وهو في الفرنسية :

Necessité insistante.

وفي الانكليزية :

insisting needs.

ونقول : بكل معنى الكلمة ، وهو في الفرنسية :

Dans tout le sens du mot.

وفي الانكليزية :

In the full sense of the word.

ونقول : وضع النقاط على الحروف ، وهو في الفرنسية :

Il a mis les points sur les ii.

ونقول : أجاب بالحرف الواحد ، وهو في الفرنسية :

Il a répondu à la lettre.

---

٤ – الفعل كرّس من الالفاظ المسيحية الكنيسية وهو من أصل سرياني آرامي على ان التركيب كله دخيل في العربية وهو مترجم عن العبارة الفرنسية .

ونقول : الاوساط [5] المطلعة ، وهو في الفرنسية :

Les milieux les bien informés.

وفي الانكليزية :

Well-informed quarters.

ونقول : الاوساط الجديرة بالثقة ، وهو في الفرنسية .

Les milieux dignes de foi.

وفي الانكليزية :

Trust worthy circles.

ونقول : الدوائر العليا ، وهو في الفرنسية :

Les hauts cercles.

وفي الانكليزية :

The higher circles.

ونقول : دفع الثمن غالياً (بالاستعمال المجازي بمعنى لقي الصعاب من جرّاء أمر من الأمور ، او عمل من غير تفكير) ، وهو في الفرنسية :

Il a payé cher.

وفي الانكليزية :

He paid dear.

ونقول : ركّز [6] البحث على نقاط معينة ، وهو في الفرنسية :

Il a concentré sa recherche sur certains points.

وفي الانكليزية :

He concentrated on certain points.

ونقول : أكّد على [7] نقاط معينة ، وهو في الفرنسية :

Il a insisté sur certains points.

---

٥ - ان من يترجم العبارة الاجنبية باستعمال (المحافل المطلعة) يكون الصق بالعربية وفصاحتها ، لان الاوساط جمع وسط ، ولم يعرف عن الوسط في العربية هذا الانتقال المجازي .

٦ - التركيز بهذا المعنى دخيل استعمله المشتغلون بالكيمياء .

٧ - تعدية الفعل (أكّد) بعلى بسبب التركيب الاجنبي فالفعل الاجنبي في هذا المعنى يتعدى بهذا الحرف ، والصواب ان الفعل العربي يتعدى بنفسه .

وفي الانكليزية :

He emphasized certain points.

ونقول : أثّر عليه [٨] ، وهو في الفرنسية :

Influer sur lui.

ونقول : يبلور الفكرة ، وهو في الفرنسية :

Il cristalisé son idée.

ونقول : يسمم الرأي العام ، وهو في الفرنسية :

Il empoisonne l'opinion publique.

وفي الانكليزية :

To poison the public opinion.

ونقول : خنق الحريات ، وهو في الفرنسية :

Etranglement de libertés.

وفي الانكليزية :

To strangle the liberties.

ونقول : الضمير العالمي ، وهو في الفرنسية :

La conscience mondiale.

وفي الانكليزية :

The world conscience.

ونقول : مؤتمر المائدة المستديرة ، وهو في الفرنسية :

Congrès de table ronde.

وفي الانكليزية :

Round table conference.

ونقول : طبقه على مقياس واسع ، وهو في الفرنسية :

Il l'a pratiqué en large mesure.

وفي الانكليزية :

He applied it on a wide scale.

ونقول : هو يعمل في اطار ضيق ، وهو في الفرنسية :

Il travaille dans un cadre très restreint.

---

٨ – وتعدية الفعل (اثّر) بعلى بسبب نظيره الفعل الاجنبي الذي يتعدى بعلى ، اما الفعل العربي فالفصيح ان يتعدى بحرف الجر (في) .

وفي الانكليزية :

He works in a narrow circle.

ونقول : اطارات الجيش[9] ، وهو في الفرنسية :

Les cadres de l'armée.

ونقول : العين المجردة ، وهو في الفرنسية :

Un œil nu.

وفي الانكليزية :

Naked eye.

ونقول : ان لم تخني الذاكرة ، وهو في الفرنسية :

Si la mémoire ne m'a pas trahi.

ونقول : حرق البخور[10] لسيده ، وهو في الفرنسية :

Il a brûlé de l'encens pour son maître.

وفي الانكليزية :

He burnt the incense for his sir.

ونقول : الاكثرية الساحقة[11] ، وهو في الفرنسية :

La majorité écrasante.

وفي الانكليزية :

Overwhelming majority.

ونقول : على هامش السياسة[12] ، وهو في الفرنسية :

En marge de la politique.

---

٩ – دلالة الاطار في العربية معروفة ، ولم ينتعمل هذا الاستعمال المجازي ، واستعماله هذا على طريقة المجاز نقل للاستعمال الفرنسي الذي اشرنا اليه . ومن اجل ذلك كثر هذا الاستعمال في الصحف العربية في الشمالي الافريقي بصورة خاصة ، اما اهل الشرق العربي فيستعملون في هذا المقام ألفاظاً عربية مثل (الملاك ، والتنظيمات وما اشبه ذلك) وربما وجدنا لفظ (الكوادر) مستعملة على صورة الجمع للكلمة الاجنبية ، كما يحدث في الصحف اللبنانية والمصرية .

١٠ – تعبير ذو أصل ديني مسيحي متصل بالبخور الذي يحرق في الكنائس .

١١ – تعبير متصل بالتقاليد (البرلمانية) .

١٢ – الهامش كلمة دخيلة قديمة ولكنها لم تستعمل هذا الاستعمال المجازي .

وفي الانكليزية :

On the margin of the policy.

ونقول : التراب الوطني [13] ، وهو في الفرنسية :

Le territoire national.

وفي الانكليزية :

National territory, dominion.

ونقول : جرح شعوره ، وهو في الفرنسية :

Il a blessé son amour.

وفي الانكليزية :

He wounded his feeling.

ونقول : أخذ بنظر الاعتبار ، وهو في الفرنسية :

Il a pris en considération.

وفي الانكليزية :

He took in consideration.

ونقول : أخذ مكانه بين رفاقه ، وهو في الفرنسية :

Il a pris sa place parmi ses camarades.

وفي الانكليزية :

He took his seat between his comrades.

ونقول : التيارات الادبية ، وهو في الفرنسية :

Les courants littéraire.

وفي الانكليزية :

The literary currents.

ونقول : مع الاسف ، وهو في الفرنسية :

Avec mes regrets.

وفي الانكليزية :

With regrets.

ونقول : مع تمنياتي ، وهو في الفرنسية :

Avec mes souhaits.

---

١٣ – تعبير شائع في العربية في الشمال الافريقي .

وفي الانكليزية :

With my best wishes.

ونقول : النجاحات [14] جمعاً لنجاح ، ونشاطات جمعاً لنشاط ، وهذه شائعة في الفرنسية :

Succès. activités.

وفي الانكليزية :

Successes, activities.

ونقول : اتبعوا سياسة إلقاء القفاز [15] ، وهو في الفرنسية :

Ils ont pratiqué la politique de mettre les gants.

وفي الانكليزية :

They practised the policy of throwing down the gauntlet.

ونقول : على حساب الرأي العام ، وهو في الفرنسية :

Sur le compte de l'opinion publique.

وفي الانكليزية :

At the expense of public opinion.

ونقول : الحياة الادبية [16] ، وهو في الفرنسية :

La vie littéraire.

وفي الانكليزية :

The literary life.

ونقول : يشل الاعمال ، وهو في الفرنسية :

Il paralyse les affaire.

ونقول : ضرب الرقم القياسي او كسره ، وهو في الفرنسية .

Il a battu le record.

---

١٤ – اجاز الاقدمون جمع المصدر اذا افاد النوعية المختلفة ، واذا انتقل من الحدث الى الاسمية . كما نجده في مقررات المجمع اللغوي في القاهرة ، وهو منشور في مجلة المجمع العلمي بدمشق الجزء الخاص بمؤتمر المجامع العلمية اللغوية لسنة ١٩٥٧ .

١٥ – تعبير يتصل بالبيئة التي استخدم فيها وهي البيئة الرياضية .

١٦ – تعبير شائع في الصحف والمجلات في عصرنا الحاضر حتى خيل للمهتمين بمسائل اللغة أنه تعبير عربي في الاصل ، وليس الامر كذلك .

وفي الانكليزية :

He beats the record.

ونقول : أعمال الكاتب الكاملة [١٧] وهو في الفرنسية :

Les œvres complètes de l'écrivain.

وفي الانكليزية :

The complete works of the writer.

ونقول : لا يرقى اليه الشك ، وهو في الفرنسية :

Le doute ne remonte à lui

ونقول : تحت تأثير ، وهو في الفرنسية :

Il est sous l'influence.

وفي الانكليزية :

It is under the influence.

ونقول : البرج العاجي [١٨] ، وهو في الفرنسية :

La *tour d'ivoire*.

وفي الانكليزية :

Ivory tower.

ونقول : يلقي ضوءاً على هذه المسألة ، وهو في الفرنسية :

Il jette une lumière.

وفي الانكليزية :

To throw light on.

ونقول : على ضوء الأحداث ، وهو في الفرنسية :

A la lumière des événements.

وفي الانكليزية :

At the light of the events.

ونقول : يلقي نظرة ، وهو في الفرنسية :

Il jette un coup d'œil.

---

١٧ – لم يعرف في العربية هذا الاسلوب وانما يقال مؤلفاته أو كتبه أو آثاره أو مصنفاته .

١٨ – والفصيح أن يقال : البرج العاج .

ونقول : يمر بتجربة قاسية [19] ، وهو في الفرنسية :

Il passe une epruve dure.

وفي الانكليزية :

He goes through difficulties.

ونقول : عاش التجربة ، وهو في الفرنسية :

Il a vecu l'épruve.

ونقول : ولنقلب صفحة [20] ، وهو في الفرنسية :

Qu'on tourne la page.

وفي الانكليزية :

Turn a new page.

ونقول : المعطيات [21] ، وهو ترجمة للكلمة :

Les données.

ونقول : هو خارج امكانياتي ، وهو في الفرنسية :

Il est en dehors de mes possibilités.

ونقول : الشخصية [22] ونريد بها صاحب الشخصية رجلاً أو امرأة ، وهو في الفرنسية :

Personalité.

ونقول : الشخصية البارزة ، وهو في الفرنسية :

Personalite marquante.

وفي الانكليزية :

A marked personality.

---

١٩ – تحميل التجربة معنى الحادثة أو المحنة دخيل أجنبي ، وهو من باب التضمين في اللغة .

٢٠ – الاسلوب أجنبي ، ولعل ما يقابله في الاساليب العربية قولهم : ولنضرب صفحاً .

٢١ – يراد بالكلمة الفرنسية الافكار والمعاني ، اما (المعطيات) فهي من ابتداعات السوريين واللبنانيين .

٢٢ – تدل الشخصية على الحالة أو الهيئة التي يكون فيها الشخص ، وهي من اصطلاحات علم النفس ، ولها مدلول فلسفي ، والمصدر الصناعي مفيد في باب المصطلحات العلمية .

ونقول : يعلق أهمية خاصة ، وهو في الفرنسية :

Il attache une certaine importance.

وفي الانكليزية :

To attach importance.

ونقول : يعلق أملاً كبيراً ، وهو في الفرنسية :

Il attache une grande sepoire.

وفي الانكليزية :

To attach great hope.

ونقول : أجاب في شيء من الدهشة ، وهو في الفرنسية :

Il a repondu avec un peu d'éttonnement.

ونقول : وهو يجذب الانتباه ، وهو في الفرنسية :

Il tire l'attention.

وفي الانكليزية :

It attracts attention.

ونقول : هو يعكس الحالة الاجتماعية ، وهو في الفرنسية :

Il reflète la situation sociale.

وفي الانكليزية :

It reflects the social back-ground.

ونقول : الجنس اللطيف ، وهو في الفرنسية :

La belle sexe.

وفي الانكليزية :

The fair sex.

ونقول : وجهات النظر [٢٣] ، وهو في الفرنسية :

Les points de vue.

وفي الانكليزية :

The points of view.

---

٢٣ – دلالة (وجهات النظر) على الرأي والفكرة والنظر العقلي ، غير عربية اصيلة وانما دخلت العربية عن طريق الترجمة كما بينا .

ونقول : أعرني أذنيك ، وهو في الفرنسية :

Prêtez-moi les oreils.

وفي الانكليزية :

Lend me your ear.

ونقول : غطاء النفقات ، وهو في الفرنسية :

La couverture de frais.

وفي الانكليزية :

To cover the expenses.

ونقول : الجهاز الحكومي ، وهو في الفرنسية :

L'organ gouvernemental.

وفي الانكليزية :

The official organ.

ونقول : الماكنة الحكومية ، وهو في الفرنسية :

La machine gouvernementale.

ونقول : يحمل على الاعتقاد ، وهو في الفرنسية :

Il porte à croire.

ونقول : هو ينظر من زاوية ، وهو في الفرنسية :

Il voit d'un coin.

وفي الانكليزية :

He looks from one angle.

ونقول : حجر الزاوية ، وهو في الفرنسية :

La pierre angulaire.

وفي الانكليزية :

Corner stone.

ونقول : يحتضن الفكرة . وهو في الفرنسية :

Il couve l'idée.

ونقول : يتبنى الفكرة ، وهو في الفرنسية :

Il adopte l'idée.

وفي الانكليزية :

He adopts the idea.

ونقول : اعتنق الفكرة [٢٤] ، وهو في الفرنسية :

Il a embracé l'idée.

وفي الانكليزية :

He embraced the idea.

ونكرر الطرف الشرطي « كلما » في استعمالنا فنقول : كلما عمل كلما ربح [٢٥] ، وهو في الفرنسية :

Plus il travaille, plus il gagne.

وفي الانكليزية :

The more he works, the more he earns.

ونقول : تناول الكلمة ، وهو في الفرنسية :

Il a pris la parole.

ونقول : اعطى الكلمة ، وهو في الفرنسية :

Il a donné la parole.

وفي الانكليزية :

He gave a speech.

ونقول : عنده حق ، وهو في الفرنسية :

Il a raison.

وفي الانكليزية :

He has the right.

ونقول : سابقة خطرة ، وهو في الفرنسية :

Precedent dangereux.

وفي الانكليزية :

A dangerous precedent.

---

٢٤ – وفي العربية شيء ربما أشبه هذا ، فقد ذكر الزمخشري في أساس البلاغة ما نصه : واعتنق الامر لزمه . انظر مادة (ع ن ق) .

٢٥ – نبه اللغويون على هذا الخطأ فقل وروده ، على أنه ما زال موجوداً في لغة الجرائد .

ونقول : أزمة نفسية ، وهو في الفرنسية :

Crise psychologique.

وفي الانكليزية :

Psychological crisis.

ونقول : بوصفه أو بصفته ، وهو في الفرنسية :

En sa qualité.

وفي الانكليزية :

In his capacity.

ونقول : هو جاهل لغاية ان يكون بدائياً ، وهو في الفرنسية :

Il est ignorant à tel point qu'il soit primitif.

ونقول : حمامة السلام ، وهو في الفرنسية :

La colombe de paix.

ونقول : واذا ارتقينا « أو صعدنا أو ارتفعنا » الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو في الفرنسية :

Si nous remontons au cinquième siècle avant J. C.

ونقول : يهضم الافكار ، وهو في الفرنسية :

Il digère les idées.

وفي الانكليزية :

To digest ideas.

ونقول هو مرن [26] ، وهو في الفرنسية :

Il est souple ou flexible.

وفي الانكليزية :

He is flexible.

ونقول : هو موضوع على طاولة البحث [27] ، وهو في الفرنسية :

Il est mis sur la table de travail.

---

٢٦ – لم يعرف هذا الاستعمال المجازي في العربية ، وانما يعبر عن ذلك بعبارات أخرى كأن يقال : هو لين أو طيع أو ما في هذا المعنى .

٢٧ – الطاولة دخيلة وهي تعريب .

ونقول : الانواع الادبية [٢٨] ، وهو في الفرنسية :

Les genres littéraires.

ونقول : عاصفة من التصفيق ، وهو في الفرنسية :

Une tempête d'applaudissement.

وفي الانكليزية :

A storm of applause.

ونقول : نقطة انطلاق ، وهو في الفرنسية :

Le point de depart.

وفي الانكليزية :

Point of departure.

ونقول : طلب يدها : وهو في الفرنسية :

Il a demandé sa main.

وفي الانكليزية :

To ask the hand of.

ونقول : اصلاح جذري ، وهو في الفرنسية :

Reforme radicale.

وفي الانكليزية :

Radical reform.

ونقول : تمتد جذور المسألة ، وهو في الفرنسية :

Les racines de la question étendent.

وفي الانكليزية :

The root of the problem go deep.

ونقول : وموقفه أمام [٢٩] هذه القضية ، وهو في الفرنسية :

Sa situation devant cette question.

---

٢٨ – تعبير جديد مترجم ، وربما قيل في العربية : الفنون الادبية .

٢٩ – يقال في الاسلوب الفصيح : ازاء بدلاً من امام ، لان الامام ما كان في المقدمة ومنه سمي الامام أي الذي يأتم الناس به .

ونقول : وهذه القضية من طرف [30] السلطات الحاكمة ، وهو في الفرنسية :

Cetle problème est de la part de gouverne ment...

ونقول : تبادلا الشتائم [31] ، وهو في الفرنسية :

Il ont échangé les injures.

ونقول : تبادلا التحيات ، وهو في الفرنسية :

Il ont échangé les salutations.

وفي الانكليزية :

They exchanged greetings.

ونقول : تحت الدرس ، وهو في الفرنسية :

Il est sous l'étude.

وفي الانكليزية :

It is under study.

ونقول : يسهر على المصلحة العامة ، وهو في الفرنسية :

Il veille sur le bien commun.

ونقول : لا جديد تحت الشمس ، وهو في الفرنسية :

Rien de nouveau sous le soleil.

وفي الانكليزية :

Nothing new under the sun.

ونقول : هو رجل الساعة ، وهو في الفرنسية :

Il est l'homme de l'heure.

وفي الانكليزية :

The man of the hour.

ونقول : كلمه بطرف شفتيه [32] ، وهو في الفرنسية :

Il lui a parlé de bout de levers.

---

٣٠ – هذا التعبير شائع في بلدان الشمال الافريقي .

٣١ – يقال مثل هذا في الاسلوب الفصيح : تكايلا الشتائم .

٣٢ – كناية عن الزراية به .

ونقول : الى الملتقى، وهو في الفرنسية :

Au revoir.

ونقول : الى الغد ، وهو في الفرنسية :

A demain.

ونقول : شرب على صحته ، وهو في الفرنسية :

Il a bu à sa santé.

وفي الانكليزية :

He drank his health.

ونقول : مسألة بسيطة [٣٣] ، وهو في الفرنسية :

Une question superficièle.

وفي الانكليزية :

A simple question.

ونقول : مسأله سطحية [٣٤] ، وهو في الفرنسية :

Une question superficièle.

ونقول : تصفية القضية الفلسطينية ، وهو في الفرنسية :

La liquidation de la question palestinienne.

وفي الانكليزية :

The liquidation of the Palestine question.

ونقول : تحت رعاية ، وهو في الفرنسية :

Sous l'égide ou le haut patronage.

وفي الانكليزية :

Under the patronge of.

ونقول : هو متأثر الى درجة أنه فاقد أعصابه [٣٥] ، وهو في الفرنسية :

Il était ému jusqu'à ce qu'il perdu ses nerfs.

---

٣٣ – شاع الوصف بالبساطة في العربية ، وهو اسلوب مترجم .

٣٤ – والوصف بـ (سطحية) اسلوب مترجم أيضاً للدلالة على ان المسألة ليست متعمقة .

٣٥ – التعبير (الى درجة) ، وكذلك التعبير (فقدان الاعصاب) كلاهما مترجم كما بينا .

وفي الانكليزية :

He was so excited that he lost his self-control.

ونقول : الجيل الصاعد ، وهو في الفرنسية :

La génération montante.

وفي الانكليزية :

The rising generation.

ونقول : يضحك على الذقون ، وهو في الفرنسية :

Il rit dans sa barbe.

ونقول : ألوان صارخة ، وهو في الفرنسية :

Des couleurs criardes.

ونقول : نقد مرّ ، وهو في الفرنسية :

Critique amère.

وفي الانكليزية :

Bitter criticism.

مراجع الكتاب

المراجع العربية .

المجلات .

مجلة كلية الآداب العلوم ١٩٥٨ .

مجلة كلية الآداب ١٩٦٠ .

مجلة سومر ١٩٥٩ .

مجلة مجمع فؤاد الأول ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .

مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٩ .

مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٥٣ الجزء السابع .

مجلة الابحاث (الجامعة الاميركية ببيروت) آذار ١٩٥٨ .

مجلة المجمع العلمي في دمشق ١٩٥٧ (العدد الخاص بمؤتمر المجامع اللغوية) .

مجلة المشرق ١٩١٢ .

مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ١٩٤٨ .

مجلة الفكر التونسية ١٩٦٠ العدد الخامس .

مجلة المجلة اللبنانية آذار ١٩٥٨ .

مجلة شعر أيلول ١٩٥٧ .

مجلة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ١٩٥٨ .

صحيفة المجاهد (لسان حال جبهة التحرير الجزائرية) ١٩٦٠ العدد ٦٥ .

الكتب :

الاتباع والمزاوجة (لاحمد بن فارس) نشره المستشرق رودلف برو بمدينة غيسن سنة ١٩٠٦ م .

الاتقان في علوم القرآن (للسيوطي) . مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م.

الآثار الباقية عن القرون الخالية (للبيروني) نشره سخاو في ليبزج سنة ١٨٧٨م .

احياء النحو (لابراهيم مصطفى) القاهرة ١٩٣٧ .

أدب الكاتب (لابن قتيبة) القاهرة ١٣٥٥ .

أدب الكتاب (للصولي) القاهرة ١٣٤١ .

ارشاد الاريب ، انظر معجم الادباء .

أساس البلاغة (للزمخشري) القاهرة طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤١ هـ .

الاشباه والنظائر (للسيوطي) حيدر آباد .

الاشتقاق (لابن دريد) طبعة وستنفلد ١٨٥٤ م .

الاشتقاق (لعبدالله أمين) القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦م.

الاصابة (لابن حجر) القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ طبع مصطفى محمد .

الاغاني (لابي الفرج) القاهرة دار الكتب المصرية .

الافعال (لابن القطاع) حيدر آباد سنة ١٣٦٠ هـ .

الافعال (لابن القوطية) القاهرة سنة ١٩٥٢ م .

الاقتضاب (لابن السيد البطليوسي) بيروت سنة ١٩٠١ م .

الالفاظ الفارسية المعربة (لأدى شير) بيروت سنة ١٩٠٨ م .

الامالي (لابي علي القالي) دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ م

الامالي (للزجاجي) القاهرة سنة ١٩٣٥ م .

إنباه الرواة على أنباه النحاة (للقفطي) تحقيق أبو الفضل ابراهيم القاهرة سنة ١٩٥٠ — ١٩٥٥ م .

الانصاف في مسائل الخلاف (لابي البركات ابن الانباري) القاهرة مطبعة الاستقامة سنة ١٣٦٤ هـ .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل (للبيضاوي) طبعة فليشر ليبزك ١٨٤٦ م .

الأيام والليالي (ليحيى بن زياد الفراء) القاهرة بتحقيق ابراهيم الابياري .

البخلاء (للجاحظ) تحقيق الحاجري القاهرة سنة ١٩٤٨ .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (للسيوطي) القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

بلاغة أرسطو بين العرب واليونان (لابراهيم سلامة) القاهرة .

البيان والتبيين (للجاحظ) القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ .

تاج العروس في شرح القاموس (للزبيدي) مصر سنة ١٣٠٧ هـ .

تاريخ الأدب السرياني (لمراد كامل والبكري) القاهرة ١٩٤٩ م .

تاريخ العرب قبل الاسلام (لجواد علي) بغداد مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

تاريخ العرب في سوريا (لدوسو) القاهرة سنة ١٩٥٩ ترجمة الدواخلي ومصطفى زيادة .

تاريخ علوم اللغة العربية (لطه الراوي) بغداد ١٩٤٩ م .

تاريخ الفلسفة في الاسلام (دي بور) القاهرة ترجمة أبو ريدة .

تاريخ اللغات السامية (لاسرائيل ولفنسون) القاهرة ١٩٢٩ م .

تأويل مشكل القرآن (لابن قتيبة) القاهرة ١٣٧٣ هـ .

تذكرة الحفاظ (للذهبي) حيدر آباد سنة ١٣٣٣ — ١٣٣٤ هـ .

التطور النحوي (لبرجشتراسر) القاهرة .

تفسير الطبري (جامع البيان) القاهرة سنة ١٣٢١ ﻫ / ١٩٠٣ م .
التيسير (لابي عمرو الداني) نشره وحققه المستشرق برتزل Pretzel في الآستانة سنة ١٩٣٠ م .
الجمـــانة في ازالة الرطانة بتحقيق حسن حسني عبد الوهاب سنة ١٩٥٣ م من مطبوعات المجمع اللغوي في دمشق .
الجمهرة (لابن دريد) حيدر آباد سنة ١٣٤٤ - ١٣٥١ ﻫ .
حاشية الصبان على الاشموني مصر .
حكاية أبي القاسم البغدادي (لابي المطهر الازدي) نشر (مز) .
الحيوان (للجاحظ) تحقيق عبد السلام هارون .
خزانة الأدب (لعبد القادر البغدادي) بولاق سنة ١٢٩٩ ﻫ .
الخصائص (لابن جني) طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧١ ﻫ/١٩٥٦ م .
ديوان ابن الرومي نشر كامل الكيلاني القاهرة ١٩٢٥ م .
ديوان ابن المعتز بيروت ١٣٣١ ﻫ .
ديوان جرير (الشرح) نشر الصاوي القاهرة ١٩٣٥ م .
ديوان ذو الرمة تحقيق مكارتني كمبردج ١٩١٩ م .
ديوان الفرزدق نشر الصاوي ١٩٣٦ م .
ديوان الهذليين القاهرة طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩ ﻫ .
الرد على النحاة (لابن مضاء القرطبي) القاهرة ١٩٤٧ م .
الزينة في الالفاظ الاسلامية (لابي حاتم الرازي) القاهرة ١٩٥٧ - ١٩٥٩ م .
سر صناعة الاعراب (لابن جني) القاهرة سنة ١٩٥٦ م .
شرح الاشموني على ألفية ابن مالك القاهرة ١٩٤٧ م .

شرح ديوان المتنبي (للواحدي) برلين ١٨٦١ م .
شرح الرضى على كافية ابن الحاجب (طبعة الاستانة) ١٣١٠ هـ .
شرح الرضى على شافية ابن الحاجب القاهرة بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين .
شرح الشواهد الكبرى (للعيني) على هامش خزانة البغدادي بولاق ١٢٩٩ هـ .
شرح المفصل (لابن يعيش) ، (الطبعة الاوربية والطبعة المصرية) .
الشعر والشعراء (لابن قتيبة) ليدن ١٩٠٢ م .
الشعراء الصعاليك (ليوسف خليف) القاهرة ١٩٥٩ م .
شفاء الغليل (للخفاجي) القاهرة ١٣٢٥ هـ .
الصاحبي (لاحمد بن فارس) القاهرة ١٩١٠ م .
صبح الاعشى في صناعة الانشا (للقلقشندي) القاهرة ١٩١٣ – ١٩١٩ م .
الصحاح (للجوهري) القاهرة .
الصناعتين (لابي هلال العسكري) الآستانة ١٣٢٠ هـ .
ضحى الاسلام (لاحمد أمين) القاهرة ١٩٣٨ م .
غرامطيق اللغة الآرامية السريانية (للقس بولس الكفرنيسي) بيروت ١٩٢٩ م .
العربية (ليوهان فك) ترجمة عبد الحليم النجار القاهرة ١٩٥١ م .
العمدة (لابن رشيق القيرواني) القـــاهرة بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١٣٥٤ هـ .
العين (للخليل بن أحمد) بغداد ١٩١٤ . مـــا نشره الأب انستاس الكرملي من الكتاب .
عيون الاخبار (لابن قتيبة) القـــاهرة طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥ – ١٩٣٠ م .

فتح الباري ، لابن حجر ، بولاق ١٣٠١ هـ .

فقه اللغة ، للثعالبي ، مطبعة الاستقامة القاهرة .

فقه اللغة ، لعلي عبد الواحد وافي ، القاهرة ١٩٥٠ م .

القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، القاهرة المطبعة الحسينية ١٣٣٢ هـ .

الكامل ، للمبرد ، طبعة رايت ليبزك ١٨٧٣ – ١٨٩٢ م وطبعة زكي مبارك ومحمود شاكر القاهرة ١٩٣٧ م .

الكتاب ، لسيبويه ، بولاق ١٣١٦ هـ .

الكشاف ، للزمخشري ، القاهرة ١٩٤٦ م .

اللسان ، لابن منظور ، بيروت ١٩٥٥ – ١٩٥٦ م .

اللباب ، للقرداحي ، معجم سرياني عربي بيروت ١٨٨٧ م .

اللمعة الشهية ، للمطران يوسف داود ، الموصل ١٨٩٦ م .

ما يلحن فيه العوام ، لعلي بن حمزة الكسائي ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

المباحث اللغوية في العراق ، للدكتور مصطفى جواد ، القاهرة معهد الدراسات العليا ١٩٥٥ م .

المثل السائر ، لابن الاثير ، القاهرة ١٩٤٨ م .

مجاز القرآن ، لابي عبيدة ، تحقيق فؤاد سزكين ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٥٥ م .

محاضرات ، بول كراوس ، في كلية الآداب بالقاهرة ١٩٤٩ – ١٩٥٠ م .

مختصر في شواذ القراءات ، لابن خالويه ، القاهرة ١٩٣٤ م نشره برجشتراسر .

المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ، لاغناطيوس كويدي ، القاهرة ١٩٣٠ م .

المخصص « لابن سيده » بولاق ١٣١٦ ﻫ .

مدرسة الكوفة « للدكتور مهدي المخزومي » بغداد ١٩٥٥ م .

المزهر « للسيوطي » القاهرة مطبعة السعادة .

المصباح المنير « للفيومي » المطبعة الاميرية في القاهرة ١٩٢٥ م .

المعرب « للجواليقي » القاهرة دار الكتب المصرية ١٣٦١ ﻫ .

المفصل « للزمخشري » الطبعة الاوربية .

المستطرف في كل فن مستظرف « الابشيهي » بولاق ١٢٧٦ ﻫ .

معجم الادباء « لياقوت » القاهرة نشرة دار المأمون ، وارشاد الاريب نشرة مزجوليوث القاهرة ١٩٠٧ / ١٩٢٥ م .

معجم البلدان « لياقوت » طبع اوربا .

مغني اللبيب « لابن هشام » القاهرة ١٣١٧ ﻫ .

مقدمة ابن خلدون القاهرة ١٩٣٠ م .

مقدمة لدرس لغة العرب « للعلايلي » القاهرة « المطبعة العصرية » .

من أسرار اللغة « لابراهيم أنيس » القاهرة « مكتبة الانجلو » .

الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء « للمرزباني » القاهرة ١٣٤٣ ﻫ .

الموشى « للوشّاء » ليدن ١٨٨٦ م .

ميزان الاعتدال « للذهبي » لكنو ١٣٠١ ﻫ .

نزهة الالباء «لابن الانباري» القاهرة ١٢٩٤ ﻫ ونشرة الدكتور ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٥٩ م .

النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، دمشق ١٣٤٥ هـ .

نقوش خربة معين ، ليحيى نامي ، القاهرة ١٩٥٣ م .

النوادر ، لابي زيد ، بيروت ١٨٩٤ م .

همع الهوامع ، للسيوطي ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .

وفيات الاعيان ، لابن خلكان ، بولاق ١٢٧٥ هـ .



المراجع الاجنبية

The. Noldke, Die Semitischen Sprachen, Leipzig 1890.

E. Littman, Inscriptions, Leiden 1914.

M. Cohen, Les Langues du Monde, Paris 1952.

Bar Bahlul Lexicon, Paris,

C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen I. 1908, II. 1913.

W. Wright, Lecture on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, London, 1890.

Otto, Jesperson, Language, its nature, development and origin, London, 1947.

M. G. Demombyne et Blachère, Grammaire de l Arabe Classique, Paris, 1952.

The, Noldke, Zur Grammatik des Classichen: Arabisch, Wien 1896.

Gesenius, Hebrew Grammar, Oxford, 1910.

Wensick, Gender in the Semitic Languages, Amstrdam, 1927.

C. Brockelmann, Précis de Linguistique Sémitique, Paris, 1910.

E. Renan, Histoire générale et Système Comparé des Langues Sémitiques, Paris, 1863.

G. Dilman, Grammatik Der athiopischen Eprache Leipzig 1903.

Wright, Arabic Grammar, London, 1863.

O. Block et W. V. Wartburg, Dictionnaire étymologique de la Langue Française, Paris, 1950.

S. Gruyard, Nouvel Essai sur la Formation du Pluriel Arabe, Paris 1870.

H. Derenbourg, Essai sur les Pluriels Arabes, Paris, 1867.

J. Vendryes, Language, Paris, 1923.

Marouzeau, Lexique de la terminologie Technique, Paris, 1951.

M.F. Guyard, La Littérature Comparée, Paris, 1957.

The. Noldke, Neue Baitrage zur Semitischen Sprachwissen Schatt, Strassburg, 1910.

فهرس

«١» تمهيد ص ٥ .
«٢» مقدمة الكتاب ص ٧ .
«٣» في تاريخ المشكلة اللغوية «١» ص ١٣ .
«٤» في تاريخ المشكلة اللغوية «٢» ص ٣١ .
«٥» الفعل والنظام الفعلي في العربية ص ٥١ .
«٦» التركيب والبناء في العربية ص ٦٣ .
«٧» بحث مقارن في التثنية ص ٧٥ .
«٨» الجمع في العربية « بحث ومقارنة » ص ٩٣ .
«٩» الاعراب في اللغة ودلالته «بحث مقارن في اللغات السامية» ص ١١٧ .
«١٠» النون والميم في اللغة العربية ص ١٢٥ .
«١١» نظرة في التنوين ص ١٣٩ .
«١٢» بحوث في اللغة ص ١٥٣ .
«١» صلة العربية بين المولد الجديد والمصطلح الفني ص ١٥٣ .
«٢» مكانة الجديد في اللغة ص ١٥٩ .
«٣» هجرة الالفاظ ص ١٦٤ .
«١٣» العربية بين الجمود والتطور والتوليد ص ١٦٩ .

«١٤» المقارنات في الادب واللغة والنصو ص ١٨٣ .

«١٥» حقيقة التضمين في علوم العربية ص ٢٠١ .

«١٦» الثقافة العربية والاقليمية ص ٢٢١ .

«١٧» الثقافة العامية في التاريخ ص ٢٢٩ .

«١٨» الدخيل في الثقافة العربية الاسلامية ص ٢٤١ .

«١٩» في الثقافة السريانية ص ٢٤٧ .

«٢٠» تعليق على مقال « عربى ، آرامى ، عبرى » ص ٢٥٥ .

«٢١» الأعلام « بحث تاريخي في اللغة واللهجات » ص ٢٦١ .

«٢٢» تعابير اوربية في العربية الحديثة ص ٢٨٣ .